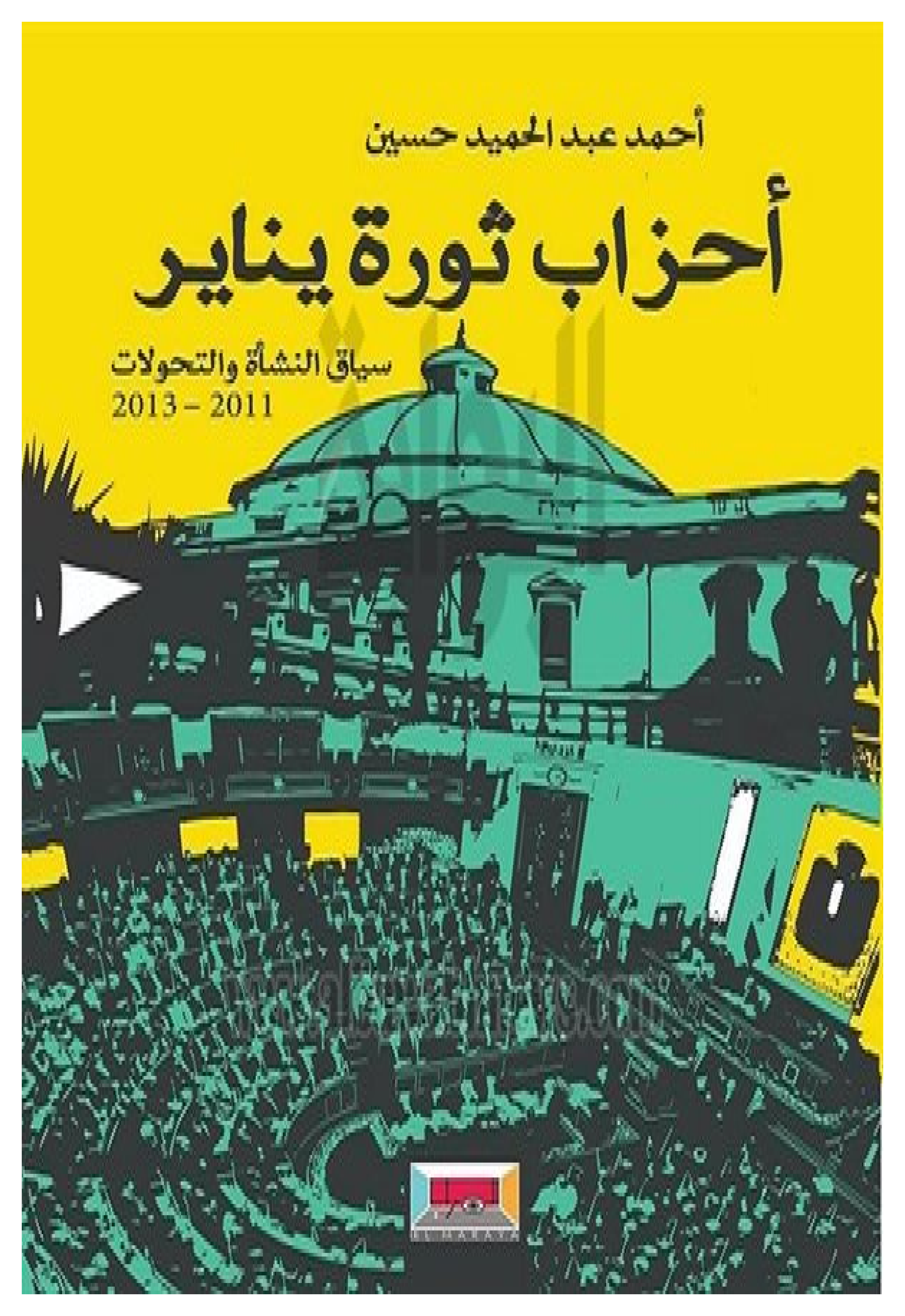

أحمد عبد الحميد حسين
أحزاب ثورة يناير
سياق النشأة والتحولات
2013 - 2011

أحزاب ثورة يناير

سياق النشأة والتحولات 2011-2013

أحزاب ثورة يناير

سياق النشأة والتحولات 2011-2013

أحمد عبد الحميد حسين

تصميم غلاف/ محمد سيد

إخراج داخلي/ محمد ندا

تدقيق لغوي/ مدحت كسّاب

الطبعة الأولى، القاهرة 2018

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2488

الترقيم الدولي

978-977-6648-22-7

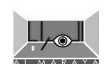
-1 مصر – الأحزاب السياسية

-2 مصر – الأحوال السياسية

هذا الكتاب بالتعاون مع مؤسسة روزا

لوكسمبورج، مكتب شمال افريقيا





تليفون: 20223961548+

البريد الإلكتروني: elmaraya@elmaraya.net

العنوان: 23 ش عبد الخالق ثروت، الطابق

الثاني، شقة 17، القاهرة، ج م ع

أحزاب ثورة يناير

سياق النشأة والتحولات 2011 – 2013

أحمد عبد الحميد حسين

دار المرايا للإنتاج الثقافي

إلى العزيز، وليد شوقي.

كل الحب والمودة.

شكر وتقدير

لا يمكنني سوى تقديم الشكر الجزيل للأستاذ يحيى فكري، مدير دار المرايا للإنتاج الثقافي، على الملاحظات والتعليقات الهامة للغاية التي أفادتني بشكل كبير أثناء العمل على هذا الكتاب، والمراجعة والتنقيحات التي قام بها بعدها، كما أشكر أيضًا الصديق العزيز، الباحث محمد رمضان على ملاحظاته الهامة بعد قراءته لأجزاء من الكتاب.

كذلك أود أن أشكر كل من: محمد نعيم، ومحمد صلاح، وأحمد علي، وهند محمد، ومصطفى إبراهيم، ومحمد سالم، أعضاء الأحزاب (السابقين والحاليين) الذين قاموا، بعد مقابلاتي معهم، بمراجعة النسخة الأولى ووضع تعليقاتهم وتصويباتهم عليها.

مقدمة

مثّلت ثورة الخامس والعشرين من يناير فرصة جيدة لصناعة أفق جديد لتغيير جذريّ في مصر. ليس فقط عن طريق الإطاحة بحكم نظام مبارك، وإنما بتفكيك المنظومة السُلطوِّية، وإعادة الاعتبار لفكرة التغيير الجذري. ذلك بجذب قطاعات عديدة للمشاركة في إدارة السلطة بمستوياتها المختلفة، وفتح المجال لتأسيس تنظيمات ومؤسسات وسيطة متنوعة تُمكِّن المواطنين من الرقابة على السلطة، والمشاركة في صياغة وتنفيذ السياسات والتشريعات، والدفاع عن حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبالفعل شهدت الفترة التي تلت الإطاحة بمبارك مباشرة زخمًا واسعًا تمثل في ظهور عدد كبير من الأحزاب والحركات الجديدة، وتعاظُم لنشاط الحراك الطلابي بالجامعات، وكذلك ظهور الكثير من القنوات والمنابر الإعلامية الجديدة الخاصة والمستقلة، ومراكز الأبحاث والدراسات، ومؤسسات تنموية ومجتمع مدني. كل هذه الكيانات استقبلت عضويات ضخمة من القادمين الجدد المهتمين بالعمل السياسي والمجتمعي، وكأن نظام مبارك كان حاجزًا كبيرًا أمام مجال حيّ ينتظر فقط فرصة موت الإله القابض على السلطة.

عملت الثورة أيضًا على إعادة إحياء القوى القديمة، التي قدمت نفسها في قوالب وأطر سياسية جديدة، لتتشكل الأحزاب التي نشأت بعد ثورة يناير من رافدين أساسيِّين: الأول، من القوى القديمة وتشكيلاتها؛ والثاني، من شباب الحركات الاحتجاجية، أو ما أصطلح على تسميتهم «شباب الثورة».

ومن ثم أصبح هناك ثلاثة أنواع من الأحزاب نشأت في المجال السياسي بعد

الثـورة مبـاشرة:

1- النــوع الأول أحــزاب تشــكلت بالأســاس مــن قــوى قديمــة، وشــبكات اجتماعيــة كانـت حـاضرة قبـل الثـورة، مثـل أحـزاب: الحريـة والعدالـة، والنـور، والبنـاء والتنميـة (الـذراع السياسـية للجماعـة الإسـلامية)، والمصريـين الأحـرار، والأحـزاب التـي تخلقـت من المجموعـات المنفرطـة عـن الحـزب الوطنـي الديمقراطـي الـذي تـم حلـه بعـد الثـورة، وغيرهـا. هـذا بالإضافـة إلى الأحـزاب القديمـة التـي اسـتمرت بعـد الثـورة، مثـل أحـزاب: الوفـد، والتجمـع، والنـاصري.

2- النـوع الثـاني أحـزاب شـكلتها بالأسـاس مجموعـات شـبابية صرف مـن ضمـن شـباب الثـورة، مثـل أحـزاب: العـدل، والتيـار المـصري، ومـصر الحريـة.

3- والنـوع الثالـث أحـزاب تشـكلت مـن خليـط مـا بـين قـوى قديمـة، ومجموعـات مـن شـباب الثـورة، مثـل أحـزاب: المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي، والتحالـف الشـعبي الاشـتراكي، ومـصر القويـة، والدسـتور، والتيـار الشـعبي.

هــذا الكتــاب يتنــاول تحديــدًا أحــزاب النــوع الثالــث، ونمــوذج واحــد مــن أحــزاب النـوع الثـاني، هـو التيـار المـصري، لارتباطـه بالأولـين. حيـث يـدرس ظـروف نشـأة هـذه الأحـزاب، والخلفيـات السياسـية والاجتماعيـة للتكوينـات التـي شـكلتها، ودور النشـأة والخـبرات التنظيميـة القديمـة وتأثيراتهـا عـلى خطابهـا السـياسي، والسـلوك الـذي انتهجتـه في بنـاء التنظيـم الجديـد، والميـول التـي أثـرت عليهـا في بنـاء تحالفاتهـا وجبهاتهـا. كذلـك سـيناقش الكتـاب قـدرة التنظيـم الداخـلي لتلـك الأحـزاب ومرونتـه في التفاعـل مـع الحـراك الثـوري والسـياسي، بالإضافـة إلى اسـتعراض مشـاريعها وبرامجهـا.

ويحـاول الكتـاب عـبر فصولـه التسـعة رصـد تحـولات المجـال السـياسي في مـصر خـلال عامـي الثـورة 2011-2013. فيتنـاول الفصـل الأول ملامـح النظـام السـياسي قبـل الثـورة، ويتطـرق لبنيـة النظـام السياسـية والاجتماعيـة، والمحـددات الاقتصاديـة لـه. ثـم يتنـاول الفصـل الثـاني ائتـلاف شـباب الثـورة، كأحـد أبـرز الائتلافـات التـي ظهـرت خـلال الثـورة، الـذي شـكل لبرهـة حالـة منظمـة تصـدرت المشـهد الثـوري. وقـد لعـب الائتـلاف دورًا قياديًـا، إلى حـد كبـير، في الدعـوة للتظاهـرات خـلال شـهور الثـورة الأولى. إلا أن دوره القيـادي هـذا لم يسـتمر طويـلًا، لأسـباب ذاتيـة وموضوعيـة جعلـت مـن وجـوده في المجـال السـياسي حينهـا غـير ذي جـدوى. ذلـك بعـد أن انـصرف عنـه أغلـب عنـاصره القياديـة ليؤسسـوا، أو يشـاركوا في تأسـيس، كيانـات سياسـية جديـدة، مارسـوا مـن خلالها نشـاطهم السـياسي، وهـي الأحـزاب التـي سـتتناولها الفصـول التاليـة.

يسـتعرض الفصـل الثالـث نشـأة الحـزب المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي، وهـو الحـزب الـذي حـاول تجميـع تيـارات متنوعـة، مـا بـين يسـار ديمقراطـي وليبراليـين اجتماعيـين، إلى

جانب مجموعات تتبنى مفهوم السوق الاجتماعي، والإصلاح التدريجي للمجتمع والحكم لتحقيق دولة الرفاه في إطار سوق رأسمالية منظَّمة. يرصد الفصل الظروف التي أحاطت بنشأة الحزب، ومواقفه من الصراع السياسي والاجتماعي، وطبيعة التحالفات التي انخرط فيها، ونهجه في التنافس مع الدولة القديمة والإسلاميين على مواقع السلطة السياسية والاجتماعية. كما يحلل الفصل السمات التي ميّزت مواقف مجموعة اليسار الديمقراطي (أحد أهم مكونات الحزب) ورؤيتها السياسية والتنظيمية، مقارنة بغيرها من مجموعات اليسار.

ويقوم الفصل الرابع بدراسة حزب التحالف الشعبي الاشتراكي. وهو الحزب الذي جرى تأسيسه بعد الثورة مباشرة كمحاولة لبناء حزب لـ«اليسار العريض»، وهو التعبير السياسي الذي تم استخدامه حينها لتوصيف طيف كبير من المجموعات السياسية. وسيرصد الفصل ظروف نشأة الحزب، والمجموعات التي شاركت في تأسيسه، وتحديد ملامح كل مجموعة وتميزها عن الأخريات. كما سيحلل الخلافات التي نشأت بين المجموعات المؤسسة للحزب، حول شكله ومضمونه وطريقة بناءه، وأي تحالفات يجب أن يؤسسها، والرؤى المتباينة حول الصراعات الدائرة في المجال السياسي بعد الثورة.

أما الفصل الخامس فيتناول حزب التيار المصري. وهو الحزب الوحيد الذي يعرض له الكتاب من ضمن أحزاب النوع الثاني المشار إليه أعلاه (الأحزاب التي تشكلت من قوى شبابية صرف) وذلك لخصوصية تركيبته. فالكتلة المؤسسة للحزب كتلة شبابية كانت ضمن الفاعلين الرئيسيين في ائتلاف شباب الثورة، لكنها أيضًا كتلة منشقة عن الإخوان وتملك خبرة تنظيمية وحركية كبيرة اكتسبتها عبر نشاطها داخل الجماعة. كما أن الحزب هو الوحيد أيضًا من ضمن الأحزاب الشبابية الصرف الذي لم يترك نفسه للتبدد، وإنما اندمج في النهاية داخل أحد أحزاب النوع الثالث هو مصر القوية. ويحلل الفصل التحولات التي مرت بالحزب منذ نشأته، والعقبات التي واجهها. كما سيرصد التصدعات التي حدثت داخله في سياق أزمة المسار الديمقراطي عامة.

ويختص الفصل السادس بحزب مصر القوية. وهو الحزب الذي أسسه عبد المنعم أبو الفتوح، وفريق حملته في الانتخابات الرئاسية عام 2012. وهي الحملة التي شارك فيها عناصر ليبرالية ويسارية إلى جانب الإسلاميين، وحظت بدعم قطاع لا بأس به من الحركات الثورية الشبابية، وكانت تطرح برنامجًا رئاسيًّا يميل إلى الديمقراطية الاجتماعية بشقيها السياسي والاقتصادي. وقد أدى الزخم المصاحب للحملة إلى دفع أعضاءها للعمل على تأسيس مشروع حزبي جديد. وسيرصد الفصل

التحـولات التـي مـرَّت بالحـزب منـذ نشـأته في نوفمـبر 2012، ويحلـل أنمـاط عضويتـه، وخطابـه ومشروعـه السـياسي. كـما سيسـتعرض العقبـات التـي واجهتـه نتيجـة تعـثر التحـول الديمقراطـي، والاسـتقطاب الـذي هيمـن عـلى المجالَـيْن السـياسي والعـام.

بينـما يرصـد الفصـل السـابع نشـأة حـزب الدسـتور. وهـو الحـزب الـذي جـرى تأسيسـه في منتصـف عـام 2012، وكان أبـرز وأهـم مؤسسـيه، محمـد البرادعـي، ومعـه مجموعـة كبـيرة مـن الرمـوز السياسـية. وهـو الحـزب الـذي ضـم، منـذ لحظـة تأسيسـه الأولى، أعـدادًا غفـيرة مـن شـباب الثـورة الجـدد، وكان بمثابـة تجربتهـم السياسـية الأولى. وسـيحلل الفصـل المجموعـات التـي شـكلت الحـزب، وخطابـه ومشروعـه وبرنامجـه السـياسي، والـدور المحـوري للبرادعـي داخلـه. كـما سيسـتعرض الصراعـات الداخليـة التـي شـهدها نتيجـة لمجمـل أزماتـه الذاتيـة والموضوعيـة.

ويتنـاول الفصـل الثامـن التيـار الشـعبي. وهـو التيـار الـذي تأسـس عـلى هيـكل حملـة الانتخابـات الرئاسـية لحمديـن صباحـي عـام 2012. وقـد حصـد حمديـن في هـذه الانتخابـات مـا يقـرب مـن 5 مليـون صـوت وحـلَّ في المركـز الثالـث، ليتصـدر قائمـة مرشـحي الثـورة. وقـد رأى سـاعتها هـو ورفاقـه ضرورة اسـتثمار هـذا الفـوز في تأسـيس إطـار تنظيمـي جامـع غـير مؤدلـج، يتجـاوز الأحـزاب والحـركات الاحتجاجيـة، ويتسـع في ذات الوقـت لـكل الأحـزاب والحـركات ممَـن يؤمنـون -في نظـر مؤسسـيه- بأهـداف الثـورة الأساسـية، وبحيـث يصبـح في النهايـة قيـادة للثـورة. ويسـتعرض الفصـل خلفيـة المجموعـة المؤسسـة، وتطورهـا قبـل الثـورة وبعدهـا. كـما يحلـل أفـكاره ومواقفـه وهيكلـه التنظيمـي، والعلاقـة بينـه وبـين حـزب الكرامـة، التـي انتهـت باندماجهـما وتحولهـما إلى حـزب تيـار الكرامـة.

ويناقـش الفصـل التاسـع الانتخابـات البرلمانيـة عـام 2011/2012، التـي جـرت في منـاخ هـو الأكـثر انفتاحًـا في تاريـخ الحيـاة البرلمانيـة المصريـة. حيـث تخلصـت مـن هيمنـة الوطنـي الديمقراطـي، والقيـود الأمنيـة، وجـرت في ظـل شروط تضمـن درجـة عاليـة مـن النزاهـة، مـع مشـاركة جماهيريـة واسـعة، وحالـة مـن التفـاؤل العـام. وقـد انخرطـت جميـع القـوى السياسـية في المعركـة بثقلهـا كلـه، وكان الـصراع والتنافـس عـلى أشـده بسـبب متغـيرات الوضـع بعـد ينايـر، حيـث تسـابق الجميـع ليـس فقـط لضـمان مواقعهـم داخـل المجـال السـياسي الجديـد، وإنمـا أيضًـا لضـمان مسـاهمتهم في وضـع الإطـار القانـوني والدسـتوري لنظـام مـا بعـد الثـورة. ويرصـد الفصـل المحـددات التـي ارتبطـت بتشـكيل القوائـم الانتخابيـة الرئيسـية، والمفاوضـات التـي دارت حولهـا، وحـالات الشـد والجـذب التـي صاحبتهـا، والنتائـج التـي أسـفرت عنهـا.

■ الفصل الأول

تمهيد:

المجال السياسي في مصر قبل ثورة يناير

تشـكَّل النظـام الـذي أدار الدولـة المصريـة قبـل ثـورة ينايـر مـن بنيـة مركبـة، كان عـلى قمتهـا رئيـس قـادم مـن المؤسسـة العسـكرية كعنـصر أسـاسي يمثـل جـزءًا مـن إرث دولـة يوليـو، التـي وضـع أسسـها العسـكريون الذيـن قـادوا حركـة الجيـش في 23 يوليـو عـام 1952، وغـيروا مـن بنيـة النظـام السـياسي للدولـة المصريـة تمامًـا، كـما وضعـوا قواعـد سياسـية واجتماعيـة تختلـف كليًّـا عـما كان عليـه الوضـع في الفـترة الملكيـة. لـذا فمـن المهـم التطـرق لملامـح النظـام السـياسي لدولـة يوليـو الـذي أسسـه جـمال عبـد النـاصر، وأعـاد السـادات تشـكيله لاحقًـا، قبـل اسـتعراض النظـام السـياسي في عهـد مبـارك، وصـولًا إلى عشـية ثـورة ينايـر.

أولًا: تأسيس دولة يوليو

أتت حركة الجيش في 23 يوليو 1952 بمجموعة من الضباط المنعزلين عن أيِّ قوى سياسية، فمن بين التنظيمات السياسية التي تكاثرت في الجيش بعد الحرب العالمية الثانية، تميز تنظيم الضباط الأحرار بانفصاله عنها كافة، رغم أن كثيرًا من أعضائه -بمن فيهم جمال عبد الناصر- كانوا في فترة من الفترات أعضاء في التنظيم السري للإخوان. وبالتالي لم يجتمع أعضاء التنظيم على رؤية سياسية واحدة، وإنما تجمعوا على رؤية وطنية عامة، استقَوها من مختلف الاتجاهات الوطنية السلطوية القائمة على هامش الحياة السياسية البرلمانية: الإخوان، مصر الفتاة، الحزب الوطني، لكن دون التزام سياسي محدد برؤية أي منها، وقد تخلص تنظيم الضباط الأحرار ممن استمر ولاؤهم لأي تنظيم سياسي آخر، إخوانًا كانوا أو شيوعيين.[1]

كان هناك نفور شديد لدى عبدالناصر وزملائه وتخوف شديد من فكرة التنظيمات الحزبية، وكان يرفض أن يُقيّد حركته بأي التزام تجاه أيديولوجية محددة أو حزب سياسي جماهيري حقيقي يقود مشروعًا للتغيير الاجتماعي الشامل من أسفل. لذا فضَّل الاعتماد على الزعامة الشخصية وعلى طبقة ضباط الجيش التي كان يغلب عليها الميول البرجوازية الصغيرة، ومعاداة السياسة، وأيضًا على البيروقراطية التي تضخمت في عصره بشكل كبير. وفي المركز كانت تتواجد شبكة مؤسسات أمنية، تابعة للجيش والمخابرات، كانت تعمل على ضبط هذه العلاقات.[2]

لم يكن لحركة ضباط 23 يوليو تنظيم سياسي قادر على الإسهام المباشر في وضع قرارات الثورة موضع التنفيذ، ولزمها بالضرورة أن تهيمن بضباطها العسكريين القادمين من قلب الجيش على جهاز الدولة القائم، لا لتحركه فقط ولكن لتتحرك به، كما لزمها لهذه الهيمنة تطهير جهاز الدولة الإداري كي تضمن ولائه، وتم التطهير عن طريق ضباط عسكريين، تولَّوا إدارة المؤسسات الإعلامية وإدارة المؤسسات الكبرى بالدولة. ومن جهة أخرى، فإن حالة الصراع بين القوى السياسية المنظمة والسلطة الجديدة، التي اختارت استخدام أدوات الدولة في هذا الصراع، قد فرضت على الأخيرة الاهتمام بأجهزة الأمن، وبسبب انبثاقها -السلطة الجديدة- من الجيش، لذا صار ركيزتها الأساسية في الصراع.[3]

وكبقية أجهزة الدولة، أُعيد تشكيل الأجهزة الأمنية بسيطرة من الأجهزة الأمنية

1- شريف يونس، تنظيم الدولة وفرص اليسار الديمقراطي، البوصلة، (1/ 6/ 2006)، تاريخ زيارة الرابط 13/ 12/ 2018 : http://bosla.blogspot.com/2006/06/blog-post_115628588613940590.html

2- أشرف الشريف، كمال الدين حسين ووجوه دولة يوليو المحافظة، مدى مصر، (1 / 10 / 2015) تاريخ زيارة الرابط 1 / 11/ 2018 : https://goo.gl/0aARQd+

3- طارق البشري، الديمقراطية ونظام 23 يوليو (1952-1970)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987، ص 92,93، بتصرف بسيط

التابعة للجيش مباشرة حينها، مثل البوليس الحربي الذي قام بعمليات مختلفة ضد تكوينات المعارضة التي وقفت أمام تمدد حركة الضباط، مثل اعتقال ضباط سلاح الفرسان، والإخوان، والشيوعيين وغيرهم.

لم يكن يكفي القيام بتطويع الدولة والمجتمع، والهيمنةُ على أجهزة الدولة، والسيطرة على أجهزة الأمن، وضرب الحركة الحزبية، بل لزم أيضًا سدُّ النوافذ وتضييق الروافد بالنسبة لاحتمالات ظهور معارضة جديدة، سواء للثورة من حيث هي أهداف وغايات، أم للسلطة الجديدة بوصفها كذلك. هذا كان يعني إحكام قدر كافٍ من الهيمنة على المؤسسات التي تنطلق منها أنواع المقاومة والمعارضة؛ أي الجامعات والنقابات والأحزاب القديمة (خصوصًا حزب الوفد صاحب الأغلبية) والصحف والمؤسسات الأهلية وغيرها.[4]

وفي مارس 1954، وبعد هزيمة القوى الديمقراطية والشعبية والأحزاب الوفد والشيوعييّن والنقابات المختلفة والحركة الطلابية، بالإضافة لجماعة الإخوان المسلمين؛ انفرد جمال عبدالناصر -والضباط الذين انحازوا له ضد عودة الجيش للثكنات- بالسلطة، وبدأت مرحلة تصفية للمجال العام والسياسي بجملة من القرارات التي قضت تمامًا على الأحزاب القديمة والنقابات والحركات الطلابية والعمالية. وتأسس نظام سلطوي قائم على انفراد عبدالناصر بالسلطة تعاونه أجهزة تنفيذية، وجهاز سياسي شكلي وحيد (هيئة التحرير، ثم الاتحاد القومي، الذي تغير اسمه لاحقًا للاتحاد الاشتراكي) كانت وظيفته الوحيدة تعبئة الشارع وراء قرارات رأس النظام المختلفة.

وحتى عام 1964، جمع الضباط، ثم عبد الناصر وحده، سلطة التشريع والتنفيذ في أيديهم، حيث بلغ مجموع فترات انعقاد المجالس النيابية التي أنشؤوها تحت الوصاية حتى ذلك التاريخ 12 شهرًا لا غير، اتسع لهم الوقت لما يقرب من 12 سنة ليغيروا ويبدلوا في التشريعات بإرادتهم المنفردة، وأولها الدساتير، بما يُتيح لهم إخضاع مؤسسات الدولة لنظامهم الجديد ومحاصرتها قانونيًا بما يكفل لهم عقد برلمان يتصرف في حدود معينة تضمن استمرار الثورة ممثلة في سلطة الضباط. هكذا تم إخضاع الصحافة والإعلام والجمعيات الأهلية والنقابات والوزارات لسلطة مجموعة محدودة تتخذ قراراتها بشكل سري.[5]

كان الهدف المحدد لدولة يوليو طوال الوقت هو تأسيس سلطة موحدة تعمل لأجل أهداف مركزية مرتبطة ببناء دولة جديدة. وكان المشروع الحاضر في ذهن عبدالناصر وحده يتم بناؤه من أعلى هرم الدولة لأسفلها وليس العكس، ويدور

4- المصدر السابق، ص 95

5- شريف يونس، تنظيم الدولة وفرص اليسار الديمقراطي، مصدر سبق ذكره

حـول رؤيتـه الذاتيـة وشـخصه فحسـب. ثـم لاحقًـا؛ تعـرض النظـام النـاصري لمجموعـة مـن الهـزَّات كان أبرزهـا فشـل الوحـدة مـع سـوريا، وتـأزم الأوضـاع الاقتصاديـة في بدايـة السـتينيات، ثـم الهزيمـة القاسـية التـي تلقاهـا في 5 يونيـو 1967 وأثـرت قليـلًا عـلى مراكـز قوتـه بطبيعـة الحـال، لكـن بقـي النظـام بتكويناتـه الداخليـة كـما هـو، وبنفـس تصوراتـه السياسـية والاقتصاديـة، وإن عمـل عبدالنـاصر عـلى محاولـة تلجيـم الجيـش -الـذي كان تحـت سـيطرة عبدالحكيـم عامـر ومجموعتـه- والمخابـرات العامـة بعـد الهزيمـة، ليصبـح تحـت سـيطرته الكاملـة.

ثانيًا: السادات والجيش والانفتاح بعد وفاة جمال عبدالناصر في سبتمبر 1970، تولى رئاسة الجمهورية أنور السادات، نائب عبدالناصر، والرجل صاحب التوجهات اليمينية في النظام الناصري، وقد تخلص السادات من رجال عبدالناصر في السلطة فيما عرف لدى الإعلام الرسمي حينها بثورة التصحيح، وأحدث تغييرات في رأس المؤسسة العسكرية خلال فترة قصيرة، واهتم الرجل باستكمال بناء الجيش لخوض المواجهة مع إسرائيل، وبعد حرب أكتوبر ومنذ منتصف السبعينيات طرأت على دولة يوليو تغييرات كبيرة في خططها السياسي والاقتصادي.

أدار السادات ظهره للاتحاد السوفييتي، وكان قبلها قد طرد الخبراء السوفييت من الجيش قبل الحرب. كما قام بتحرير الاقتصاد نسبيًا، حيث دفعت سياسة الانفتاح الاقتصادي التي تبناها إلى إطلاق جماح أنشطة رأس المال الخاص والأجنبي في المجالات الاقتصادية المختلفة. وقد تم تدشين عصر الانفتاح بعدة تشريعات صدرت في تلك الفترة، أهمها القانون رقم 43 لسنة 1974 المعروف بقانون استثمار المال العربي والأجنبي والمناطق الحرة، الذي أباح لرأس المال الأجنبي الاشتغال في كثير من المجالات، كذلك قانون رقم 93 لسنة 74 الذي أقرّ حق الأفراد في تمثيل الشركات الأجنبية وفتح الوكالات للاستيراد منها، ثم القانون رقم 118 لسنة 1975 الذي فتح باب التصدير والاستيراد أمام القطاع الخاص، والقانون رقم 97 لسنة 1976 للنقد الأجنبي الذي أتاح للأفراد حيازة العملات الأجنبية من أي مصدر.[6]

إلا أن سياسة السادات الانفتاحية كانت غير منضبطة بالمرة، فوزعت تصاريح الاستيراد وتوكيلات المصدرين الأجانب على محاسيبَ للسلطة والموالين لها، وظهرت طبقة طفيلية اغتنت بشكل غير طبيعي مستفيدة بمناخ اقتصادي عشوائي، وسرعان ما اندمجت لاحقًا في السلطة.

كان على السادات -في ظل حركة احتجاجية بدأت في الشارع وفي الجامعة، تتكون للضغط عليه من أجل دخول الحرب، وبعدها ضد سياساته الاقتصادية- أن يعمل على خلق قدر من الليبرالية السياسية يتماشى مع هذا التوجه نحو الليبرالية الاقتصادية، فصدر قرار من قمة السلطة بالتعددية الحزبية في العام 1976 بالسماح بثلاثة منابر.[7]

ثم صدر قرار في نوفمبر 1976 بتحويل هذه المنابر إلى أحزاب سياسية، وفي يونيو1977

6- إبراهيم حجاج، التغيرات الاقتصادية في المجتمع المصري خلال فترة الانفتاح، الحوار المتمدن، 12 نوفمبر 2010 : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236568

7- عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، دار جزيرة الورد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2010، ص 22

صدر قانون تنظيم الأحزاب الذي يقضي بالتحول إلى النظام التعددي، مع عدم إلغاء الاتحاد الاشتراكي الذي أُعطي له الكثير من الصلاحيات ومنها حق الموافقة على تأسيس الأحزاب الجديدة عبر المادة السابعة من قانون الأحزاب فيما قبل تعديل 1981. اتبع بعدها السادات هذه الخطوات وقام بتأسيس حزب جديد أطلق عليه الحزب الوطني الديمقراطي، دعا من خلاله أعضاء حزب مصر العربي الاشتراكي إلى الانضمام إليه وتولَّى هو رئاسته، كما قام السادات في عام 1981 قبل وفاته بإجراء تعديل في قانون الأحزاب يسمح للجنة شؤون الأحزاب -التي تأسست بموجب القانون 40 لعام 1977 ويتولى رئاستها رئيس مجلس الشورى ويدخل في عضويتها وزراء الداخلية والعدل وشؤون مجلسي الشعب والشورى وثلاثة من القضاة السابقين- بحق الموافقة على طلبات تأسيس أحزاب جديدة دون غيرها. ويشترط لتكوين أي حزب جديد توفر شرط التميز الذي يعني ضرورة أن يتضمن برنامج الحزب المتقدم ما يختلف عما تتضمنه برامج الأحزاب الموجودة، وتلتزم في مبادئها وأهدافها وبرامجها وسياساتها مع مبادئ الشريعة الإسلامية ومبادئ ثورتي يوليو 52 ومايو 1971، ومقتضيات الحفاظ على النظام الاشتراكي والديمقراطي والمكاسب الاشتراكية، ويحظر إقامة أحزاب على أسس طبقية أو دينية.[8]

وضع القانون 40 لسنة 1977 بكل تعديلاته قيودًا متنوعة على تأسيس الأحزاب، أبرزها وضع شروط غامضة يمكن تفسيرها فى غير صالح الحزب، مثل عدم تعارض مبادئ الحزب مع ضرورات الحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي والنظام الديمقراطي، وأن يكون للحزب برامج تمثل إضافة للحياة السياسية، أما القيد الحقيقي الذي لم يكن منه فكاكًا فكان لجنة شئون الأحزاب التي جاءت أغلبيتها من الحكومة وتمتعت خلال هذه المرحلة بسلطة تكاد تكون مطلقة في الرقابة والهيمنة على الأحزاب القائمة، من خلال قدرتها على تجميد نشاط أي حزب لأجل غير مسمى، وحظر نشاطه، وإلغائه فى بعض الحالات، ورفضت اللجنة أكثر من 70 طلبًا لتأسيس أحزاب، منذ صدور القانون عام 1977 وحتى تعديلات 2011.[9]

من ناحية أخرى، انتهى دور المخابرات والشرطة العسكرية في تطويع المعارضة بعد وفاة عبدالناصر، واعتمد السادات على المؤسسة الأمنية الشرطية كأداة لتطويع المعارضة الداخلية، وضبط أي حراك اجتماعي في الشارع، وهو الأمر الذي تكرَّس لاحقًا بشكل أكبر في عهد مبارك.

8- رامز جلال أسعد، أثر الأحزاب السياسية على التحول الديمقراطى في مصر»2013-2015»، المركز الديمقراطي العربي، (18/ 5/ 2015)، شوهد في 13/ 12/ 2018 : https://democraticac.de/?p=1231

9- فريد زهران، قانون الأحزاب السياسية في مصر..التطور التاريخي والتجارب الأخرى (3-8)، صفحة الكاتب على موقع فيسبوك، (9/ 10/ 2014)، شوهد في 4/ 10/ 2018: https://goo.gl/nwUbVv.

ثالثًا: نظام مبارك ورث نظـامُ مبـارك نظـامَ السـادات بتناقضاتـه المختلفـة، لقـد كان نظامًـا اسـتبدايًا يشـتمل عـلى تعدديـة منقوصـة تمثلـت في وجـود حيـاة سياسـية محـدودة للغايـة ينظمهـا بالأسـاس حـزب السـلطة المسـيطر عـلى الحكومـة والبرلمـان، وعـلى الهامـش توجـد بضعـة أحـزاب وصفـت بالأحـزاب الكارتونيـة، يملـك بعضهـا صحفًـا، كانـت تتنـاول الشـأن الداخـلي بنقـد تعلـو نبرتـه أو تخفـت وفقًـا للسـياق الـذي يتيحـه النظـام.

ورِث نظـامُ مبـارك في تعدديتِـه السياسـية نظـامَ السـادات، كنظـام يرتكـز عـلى فكـرة الحـزب الواحـد، حـزب السـلطة الـذي تلتـف حولـه بعـض الأحـزاب المعارضـة الصغـيرة غـير الجذريـة التـي يعطيهـا النظـام شرعيـة بهـدف إضفـاء مظهـر ديمقراطـي شـكلي عـلى الديكتاتوريـة، لـوأد إمكانيـة ظهـور ديمقراطيـة حقيقيـة. إلا أن الفـارق بـين السـادات ومبـارك في هـذا السـياق؛ أن تعدديـة السـادات المقيـدة أتـت في لحظـة اسـتثنائية لخدمـة التوجـه الجديـد الـذي سـلكه السـادات، غـير أن المعادلـة التـي وضعهـا السـادات فجـرت معارضـة أوسـع مـما قـدر، وهـددت بـأن تتحـول التعدديـة المقيـدة مـن صـمام أمـان للنظـام إلى شـوكة في جنبـه، وفي المقابـل فـإن مبـارك -الـذي حافـظ شـكليًا عـلى نفـس الصيغـة- حطـم تلـك الإمكانيـة بتصفيتـه لأي مظهـر مـن مظاهـر التعدديـة في التعدديـة المقيـدة! [10]

كـما ورِث مبـارك مـن السـادات خطَّـه السـياسي ورؤيتـه الاقتصاديـة، القائمـة عـلى خلـق نظـام رأسـمالي يوفـر مـوارده بالأسـاس مـن مصـادر ريعيـة، ومنظومـة إنتـاج هشـة، في ظـل موازنـة ماليـة مأزومـة طـوال الوقـت، لا يسـند وضعهـا المـتردي سـواء التبرعـات والتمويـلات القادمـة مـن الخـارج، أو الديـون المحصَّلـة مـن الداخـل، وإن عمـل مبـارك عـلى كبـح سياسـة الانفتـاح مقابـل دور أكـبر قليـلًا للدولـة مـن أجـل تحجيـم الخسـائر التـي لحقـت باقتصـاد مـأزوم.

تحـدث الباحـث سـامر سـليمان، في كتابـه المهـم «النظـام القـوي والدولـة الضعيفـة»، عـن أن الدولـة المصريـة في عهـد مبـارك كانـت تسـير وفـق ميكانيزمـات بعينهـا حـددت شـكل تركيبـة السـلطة ووزن القـوى داخلهـا. هـذه المعادلـة كان مـن الممكـن تحليلهـا بدقـة عنـد دراسـة مسـارات إنفـاق الدولـة للمـوارد وتوزيعهـا. وذكـر سـليمان أن المـوارد الماليـة للدولـة المصريـة قـد تزايـدت لصالـح قطاعـات عـلى حسـاب قطاعـات أخـرى،

10- تامر وجيه، انتخابات 2005 ومستقبل السياسة في مصر، مجلة أوراق اشتراكية، (1 يناير 2006)، شوهد في 18 / 12/ 2013 : https://revsoc.me/politics/ntkhbt-2005-wmstqbl-lsys-fy-msr/

فكان الإنفاق العام يزيد في مسارات بعينها لهدف أساسي وهو تثبيت نظام الحكم بشكل رئيسي، وفي هذا الإطار نوه سليمان إلى مسارين أساسيين في إنفاق الدولة هما: الأجهزة الأمنية (تحديدًا الشرطة وفي القلب منها جهاز أمن الدولة)، والأجهزة الأيديولوجية التي تقوم بعملية سيطرة معنوية على عقول المواطنين دعمًا للسيطرة المادية التي تقوم بها الأجهزة الأمنية، وتمثلت الأجهزة الأيديولوجية هذه في وزارتي الثقافة والأوقاف، والأخيرة تشرف على تعيين ومتابعة خطباء المساجد المنتشرة في أنحاء الجمهورية.[11]

كما رفعت الموارد المخصصة لوزارة الداخلية بدءًا من التسعينيات، في الوقت الذي تناقصت فيه موارد وزارة الدفاع قبلها في الثمانينيات، خصوصًا مع تصاعد حدة المواجهة بين الدولة وبين الجماعات الجهادية حينها، لكن تُرِكت للجيش له حرية التصرف في تأسيس قطاعاته الاقتصادية الخاصة به بعد تقليل موارده التي يتلقاها من الدولة. كانت الفكرة أقرب لصفقة غير مكتوبة بين رأس النظام وبين الجيش، حيث ينسحب الأخير من التواجد المباشر في السلطة، على أن تُترك له مساحات تحرك عبر تعيينات نوعية في جهاز الدولة الإداري كالمحليات، والشركات العامة والقابضة، وتأسيس شركاته الخاصة به.[12]

بداية من العام 2000 شهد المجال السياسي صعودًا لافتًا لجمال مبارك ومجموعة من رجال أعمال قريبين منه داخل الحزب الوطني، كانت تلك المجموعة بمثابة الحرس الوطني الجديد مقابل قيادات الحزب الوطني القدامى الذين كانوا يسيطرون على مفاصل الحزب والحكومة، بالإضافة لسيطرتهم على طريقة تشكيل مجلسي الشعب والشورى. غير أن عام 2004 كان عام التواجد الأكبر لمجموعة جمال مبارك، حيث تولى أحمد نظيف، أحد أهم رجال الأعمال المقربين منه رئاسة الحكومة، وقد ضمت الحكومة -التي شكلها الرجل القادم من وزارة الاتصالات- وزراء قدامى محسوبين على الحرس القديم (كمال الشاذلي ومحمود أبو الليل وفاروق حسني)، وضمت بالمقابل وزراء في مناصب حيوية أقرب للحرس الجديد (رشيد محمد رشيد لوزارة الصناعة والتجارة، وطارق كامل لوزارة الاتصالات).[13]

مع بداية الألفية الجديدة؛ تحول نظام مبارك نسبيًا -بقدوم رجال الأعمال- من نظام رأسمالي تقليدي -قائم على السوق مع تدخل نسبي للدولة، ووجود قطاع عام وتعليم وقطاع صحي مجاني ومظلة دعم- إلى نظام اقتصاد سوق حر بشكل أكبر، أي بتدخل أقل من الدولة، واحتفاظ محدود بخصائص النظام القديم، خوفًا

11- للمزيد انظر: سامر سليمان، النظام القوي والدولة الضعيفة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2013، ص 87-88

12- المصدر ذاته، ص 84

13- أميرة محمد صلاح متولي، حكومة نظيف تؤدي اليمين بعد حسم وزارة العدل لصالح المستشار أبوالليل، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، (13/ 7 / 2004)، تاريخ الوصول 19 / 10 / 2018 :http://archive.aawsat.com/details.asp?article=244668&issueno=9359

من غضب الشارع وحفاظًا على قواعد اجتماعية يمكن خسارتها. من ناحية أخرى زاد الاعتماد على جهاز الداخلية الذي أمسك بمفاصل الدولة، وكانت له اليد الطولى في رسم كثير من معالم الحياة السياسية حتى الثورة.

كان مبارك يرأس الحزب الوطني الذي كانت له الأغلبية طوال الوقت في البرلمان، وهو الحزب القديم الذي تم حله بعد الثورة مباشرة، وقد مثل الحزب تجمعًا كبيرًا لرجال أعمال وعائلات ارتبطت مصالحهم بمصالح النظام. أما الحكومة فكانت تمثل الجهاز التنفيذي للنظام، وكانت في الأغلب تتشكل من رجال تكنوقراط قادمين من جهاز الدولة الإداري، أو مرتبطين بصلات تنظيمية مع الحزب الوطني.

وكانت السلطة التنفيذية في يد الحزب الوطني المنحل منذ أُعيد النظام الحزبي في منتصف السبعينيات، حزب واحد يحكم مندمجًا في أجهزة الحكم، بغير تعديل، ولا تغيير، ولا تبديل، لمدة تزيد على ربع القرن، وكفل ذلك للحكومة أن توحد سلطة التنفيذ مع سلطة التشريع في الحزب، وأن يندمج ذلك بما لا يقوم به في الواقع أي تعدد أو تنوع أو تداول في الهيئة القابضة على سدة الحكم.[14]

وفي السنوات الأخيرة من حكم مبارك؛ زادت سيطرة جناح جمال مبارك الذي كان يقود لجنة السياسات بالحزب الوطني الديمقراطي الحاكم حينها، ويعاونه في هذا الإطار رجل الأعمال أحمد عزّ، الذي كان يشغل منصب أمين تنظيم الحزب ذاته، وفي السنوات الأخيرة من حكم مبارك تضخم نفوذ عزّ للدرجة التي تحكم فيها في اختيار من يمثلون الحزب في الانتخابات التشريعية.

كان أحمد عزّ يمثل شريحة مهمة للغاية، تزايد نفوذها مع ظهور جمال مبارك، الذي كانت الأوضاع تُرتب من أجل توريثه السلطة. وقد بدأت هذه المجموعة في التوسع مع التحولات الاقتصادية الكبيرة في منتصف التسعينيات، ثم زاد نفوذها مع بداية الألفية وظهور جمال مبارك الذي أسس لجنة كبيرة للسياسات داخل الحزب الوطني، كان أغلبها من رجال الأعمال الذين سيطروا على الحكومة في العقد الأخير من نظام مبارك، وكان دعمهم واضحًا لجمال لإيصاله لكرسي الرئاسة، وهو الأمر الذي كانت تعترض عليه المؤسسة العسكرية، غير أن قدوم الثورة عطل مشروع التوريث، وقلَّل كثيرًا من هيمنة المجموعة وقوتها.

بالطبع هذا التقدم من الحرس الجديد كان يلقى تبرمًا مكتومًا داخل الجيش، خصوصًا في السنوات الأخيرة من حكم مبارك التي شهدت تعثرًا واضحًا بسبب الركود الاقتصادي جراء الأزمات التي لحقت بالاقتصاد العالمي (خصوصًا بعد الأزمة العالمية في 2008)، وتصاعد الاحتجاجات الداخلية المتتالية على السياسات الاقتصادية

14- طارق البشري، مصر بين العصيان والتفكك، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 2010، ص 17

المرتبطة بأجندة الإصلاحات التي طبقتها حكومة أحمد نظيف.

يشير عمرو عادلي، باحث الاقتصاد السياسي، أنه ورغم نجاح النموذج الاقتصادي الذي تأسس في السنوات الأخيرة من حكم مبارك في توليد معدلات نمو مرتفعة بلغ متوسطها السنويّ بين عامي 2004 و2010 نحو 6%، ورغم جذبه لاستثمارات أجنبية وصلت إلى عشرة مليارات دولار قبل اندلاع الأزمة المالية العالمية في 2008 مباشرة، ورغم الارتفاع غير المسبوق خلال تلك الفترة في الصادرات الصناعية وغير الصناعية -هذا النجاح على مستوى المؤشرات الاقتصادية الكلية، القائم على منطلقات نيوليبرالية- إلا أن هذا النظام قد أثبت عجزه عن تحقيق التنمية لصالح القواعد العريضة من المصريين، ما أسهم في تأجيج الصراع الاجتماعي، وتعميق أزمة شرعية النظام السياسي، ممهدًا السبيل أمام اتساع الاحتجاج العمالي على شكل الإضرابات العمالية منذ 2004.[15]

كان ترسيخ دعائم السلطة كجانب من استراتيجية نظام مبارك يتم من خلال شبكة واسعة من المحاسيب والمقربين، وكانت الحسابات واضحة وتتمتع بقداسة الاستمرارية؛ فكلما كانت الوظائف التي يمنحها القائد أكثر كان الولاء له أعظم وأكبر، وفي الوقت نفسه الذي كان يتم فيه تحديث الدولة وتفعيل تشريعات وقوانين جديدة، كانت الأقسام الإدارية والوزارات على مستوى الدولة القديمة تتوسع وتتمدد ويتم خلق كيانات جديدة، بينما القليل منها فقط كان يتم إلغاؤه، وقد أصبحت أجور موظفي الحكومة نتيجة هذا التضخم تشكل 90% من المصروفات الجارية للإدارة المحلية بالمقارنة إلى ما يقرب من 60%-70% النسبة المعيارية السائدة حول العالم، كما تبلغ نسبة العاملين في الإدارة المحلية إلى عدد المواطنين 1 : 21، بينما تتراوح النسبة في أوروبا الغربية التي تتمتع باللامركزية من 1 : 70 إلى 1 : 80.[16]

كانت هناك مجموعتان أساسيتان تسيطران على جهاز الإدارة المحلية: أعضاء الحزب الوطني القديم، وكانوا يسيطرون على المناصب التنفيذية الدنيا والمتوسطة وجزء من المناصب العليا؛ ورجال قادمون من مؤسسات أمنية يسيطرون على المناصب العليا في المحليات، خصوصًا المحافظين ومساعديهم.

هذه المنظومة المكونة من رجال الأعمال، وأعضاء الحزب الوطني القديم، والأجهزة الأمنية، والشريحة العليا في الجهاز البيروقراطي بالدولة؛ كانت تتواجد في تحالف اجتماعي يتغير بشكل طفيف حسب تقلبات سياسية بعينها، فتتقدم مجموعة

15- عمرو عادلي، دور الدولة الاقتصادي وإعادة تصميم نموذج التنمية في مصر، مجلة الديمقراطية، العدد 57، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، يناير 2015، ص 98.

16- بدون مؤلف، لماذا توقفت الثورة عند مستوى المحليات؟، موقع تضامن، (25 / 6/ 2013)، تاريخ زيارة الرابط 11/ 7/ 2018: https://goo.gl/bC3VNL

للأمام على حساب مجموعة أخرى، أو تختفي شريحة من مجموعة ما بسبب ظروف استثنائية، لكن في المجمل فإن نظام مبارك وقبله السادات كان يتكون من تحالف واسع يشمل بداخله البيروقراطية العسكرية والمدنية، مع طبقة أو شريحة من رجال الأعمال المتداخلة مع كبار رموز التنظيم السياسي القائم (حزب وطني أو اتحاد اشتراكي)، وشريحة من النخب الثقافية والإعلامية، وقد تم تدعيم هذه التحالفات بعلاقات نسب ومصاهرة وشراكات تجارية واسعة.

واعتمدت هذه التركيبة في سلطة نظام مبارك على بنية قاعدية من عائلات كبيرة تمتد جذورها بالمحافظات والقرى والأرياف، وهي عائلات في الأغلب لها تواجد قوي من حيث الانتشار المجتمعي، والثقل الاقتصادي، والارتباط بأجهزة الدولة الكبيرة عبر أبنائها سواء في الجيش أو الشرطة أو الجهاز الإداري للدولة، وأيضًا التمثيل السياسي عبر حزب السلطة القديم: الحزب الوطني المنحل.

وتسلطت هذه التركيبة على الحكم، فكانت تدير الدولة المصرية تحت حالة من الطوارئ الدائمة منذ أن فُرضت في أكتوبر 1981 وحتى الثورة، لقد كانت حالة من الحكم المطلق تدير مجالًا سياسيًا محدودًا للغاية ومتحكّمًا فيه لأقصى مدى.

رابعًا: الأحزاب السياسية والحركات الاحتجاجية قبل الثورة

في عهد نظام مبارك؛ تمثلت خارطة التنظيمات السياسية والاجتماعية في المجموعات الآتية:

1. الأحزاب التقليدية

كما سبق ذكره، سمح السادات بتعددية سياسية مقيدة منذ منتصف السبعينيات، أفرزت في البداية ثلاثة أحزاب أساسية، ثم أسس هو الحزب الوطني الديمقراطي الذي ترأسه، ثم ترأسه من خلفه حسني مبارك حتى ثورة يناير.

كان الوطني الديمقراطي هو الجهاز الحزبي الذي يشكل الجسد السياسي لنظام مبارك، وكان مهيمنًا وحده طيلة أكثر من 30 عامًا على الأغلبية البرلمانية في مجلسي الشعب والشورى، وظل وحده مسيطرًا على كل الانتخابات البرلمانية التي أجريت طيلة فترة عهد مبارك حتى آخر انتخابات برلمانية أجريت في عهده، وهي انتخابات عام 2010، حيث جمع 439 مقعدًا، ولم يترك مقاعد برلمانية سوى لستة أحزاب: 5 مقاعد للتجمع، 6 مقاعد للوفد، ومقعد واحد لأربعة أحزاب أخرى، فضلًا عن 49 مقعدًا مستقلًا سرعان ما هرول معظم أصحابها إلى حزب الحكومة. هكذا ظل حزب السلطة متربعًا على الحياة الحزبية، وممسكًا بسلطات مقاليد الحكم ومقاعد البرلمان[17] حتى قامت ثورة يناير التي ضغطت لحل آخر حكومة لمبارك بجوار غرفتي البرلمان، مجلسِي الشعب والشورى.

كان المرور الشرعي للتواجد في المسار السياسي الرسمي، والالتحاق بالحياة الحزبية في عهد مبارك يمر عبر لجنة شؤون الأحزاب التي كان يرأسها رئيس مجلس الشورى -الغرفة التشريعية الثانية، والتي كانت تسيطر عليها أيضًا أغلبية الحزب الوطني- وبأغلبية ممثلين عن وزارات تنفيذية كان أبرزها وزير الداخلية، وكانت للجنة القول الفصل في الموافقة على تمرير رخصة الحزب وتأسيسه أو عدم قبوله، ومن ثَمَّ كان حزب الحكومة أو حكومة الحزب الوطني، تتحكم في نشأة الأحزاب ورفضها، وتتدخل كذلك في الفصل بين قياديّيها حال نشأ نزاع داخلي ما، وهو ما مهد في بعض الحالات لشق وتدمير تجربة الحزب بشكل كامل، كما حدث على سبيل المثال في تجارب مثل: حزب العمل الاشتراكي وحزب الغد.

بجوار الأحزاب الثلاثة الأولى التي تأسست في عهد السادات، وهي مصر العربي

17- شوقي السيد، حال الأحزاب السياسية في مصر!، المصري اليوم، (13/ 12/ 2017)، شوهد في 27 / 11/ 2018 : https://www.almasryalyoum.com/news/details/1231606

الاشـتراكي، والأحـرار الاشـتراكيين، والتجمـع التقدمـي الوحـدودي، بـدأت تظهـر أحزابًـا أخـرى، فظهـر الوفـد الجديـد عـام 1978، ثـم تـم تجميـد نشـاطه بعدهـا بعـدة أشـهر بسـبب صدامـه مـع السـادات، ثـم عـاد واسـتأنف نشـاطه في نوفمـبر عـام 1983 بحكـم محكمـة، وفي نفـس العـام أي 78 تأسـس حـزبي العمـل الاشـتراكي، والوطنـي الديمقراطـي، وفي الثمانينيـات ظهـر حـزب الأمـة، وشـهدت التسـعينيات موجـة أحـزاب أخـرى هـي: مـصر الفتـاة، والخـضر، والاتحـادي الديمقراطـي، والعـربي النـاصري، والعدالـة الاجتماعيـة، والتكافـل الاجتماعـي.[18]

وباسـتثناء الوفـد والتجمـع لم يكـن للأحـزاب السـابق ذكرهـا أي وجـود فعـلي. حـزب التجمـع -الحـزب الشرعـي الرسـمي الوحيـد المعـبر عـن اليسـار حتـى ثـورة ينايـر- بـدأ بدايـة قويـة، وكان لـه وزن مهـم خـلال السـبعينيات والثمانينيـات، حيـث ضـمَّ سـاعتها عضويـة لا بـأس بهـا، لكـن سرعـان مـا تراجعـت حركتـه، وتناقصـت عضويتـه بـدءًا مـن الضربـات المتلاحقـة التـي تلقاهـا بعـد مظاهـرات ينايـر 1977، والتظاهـرات التـي أعقبـت اتفاقيـة كامـب ديفيـد -التـي لم تطـل الحـزب وحـده، بـل امتـدت إلى التضييـق عـلى مجمـل المجـال العـام-[19] ثـم تناقصـت عضويتـه في الثمانينيـات، مـع خـروج الكثـير مـن أعضائـه القوميـين والناصريـين، بعـد تأسـيس أكـثر مـن حـزب قومـي/ نـاصري خـلال تلـك الفـترة.[20] وفي التسـعينيات مـع تصاعـد حـدة المواجهـات بـين نظـام مبـارك والإسـلاميين، سرعـان مـا أخـذ التجمـع جانـب السـلطة، وهـو مـا قلـص عضويتـه تمامًـا، وظـل طيلـة التسـعينيات وبدايـة الألفيـة حتـى الثـورة لا يتعـدى في حجمـه أو نفـوذه سـوى مسـاحة محـدودة جـدًا، ثـم انحـسر دوره تمامًـا، مـع زيـادة حـدة الانشـقاقات بداخلـه، وبـروز مجموعـات بالحـزب مناهضـة لسياسـات رئيسـه، رفعـت السـعيد، مثـل مجموعـة التغيـير، التـي كانـت تطالـب بإقصائـه عـن رئاسـة الحـزب، وانشـقت عنـه بعـد الثـورة.[21]

في فـترة التسـعينيات كذلـك، وتحديـدًا في منتصفهـا خرجـت تجربتـان حزبيتـان لم يكتمـلا، بسـبب عـدم حصولهـما عـلى رخصـة رسـمية، ومـع ذلـك ظلـت المجموعتـان اللتـان شـكلتا التجربتـين تمارسـان النشـاط السـياسي، وهـما حـزب الكرامـة المنشـق عـن الحـزب العـربي النـاصري، وحـزب الوسـط المنشـق عـن الإخـوان المسـلمين، وكلاهـما حصـل عـلى الرخصـة الرسـمية بعـد الثـورة.

18- عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، مركز البحوث العربية والأفريقية/ جزيرة الورد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010، ص 58.

19- أحمد عبدالحميد حسين، حبيبة محسن،الحركات اليسارية في مصر، في خليل كلفت (محرر)، خارطة اليسار العربي، روزا لوكسمبورج، تونس، 2014، ص 54

20- المصدر نفسه، ص 54.

21- عبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف الشعبي الاشتراكي ورئيسه السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18 / 11/ 2018.

وخلال العشر سنوات الأولى للألفية الجديدة ظهرت عدة أحزاب أخرى، ضمنهما تجربتان مهمتان: حزب الغد، وحزب الجبهة الديمقراطية. تأسس الأول عام 2004، برئاسة أيمن نور، الذي كان عضوًا بحزب الوفد ثم انشق. واتخذ أيمن نور مع حزبه مسارًا معارضًا لنظام مبارك، تكلل بترشح نور في الانتخابات الرئاسية عام 2005، حيث فجّر مفاجأة بحلوله في المرتبة الثانية، تاليًا لمبارك، بعد حصوله على 540 ألف و405 صوت، وجاء الدكتور نعمان جمعة رئيس حزب الوفد في المرتبة الثالثة وحصل على 208 آلاف و891 صوتا.[22] جاءت هذه الانتخابات في ظل سياق دولي داعم للإصلاحات السياسية، وربما كان الضغط الدولي من أبرز أسباب اتباع نمط الانتخابات التعددية، ومحليًا تزامنت مع انفتاح نسبي على المشاركة السياسية لقوى الإسلام السياسي، خاصة جماعة الإخوان المسلمين، وظهر ذلك في برلمان 2005 الذي شهد حضورًا إسلاميًا غير مسبوق، بينما لم تُتاح لهم الفرصة في الدفع بمرشح خلال الانتخابات الرئاسية.[23]

وقد تأسس حزب الجبهة الديمقراطية عام 2007، وجاء تأسيسه أيضًا بمثابة مفاجأة، بسبب امتناع النظام عادة عن إعطاء الأحزاب الجديدة رخصة شرعية للممارسة السياسية. كما أن الحزب خرج إلى الوجود في وقت كان يشهد حالة من الانحسار السياسي، حيث توازت نشأته مع التعديلات الدستورية التي قيدت الترشح للانتخابات الرئاسية، وقلصت من الإشراف القضائي على الانتخابات، هذا غير أن مؤسسه، الدكتور أسامة الغزالي حرب، كان عضوًا بلجنة السياسات في الحزب الوطني الديمقراطي، وأحدثت استقالته قبل تأسيس حزب الجبهة دويًا حينها.

لقد استقال حرب، الذي كان يشغل رئيس تحرير مجلة السياسة -تصدر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية- من الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم عام 2005، وأعلن رفضه لتعديل المادة 76 من الدستور، وانضم إلى المعارضة التي انتقدت التعديل الدستوري، لتضمنه شروطًا تعجيزية تحول دون الترشح لرئاسة الجمهورية. وشارك مع حرب في تأسيس الحزب نحو 80 من المثقفين والمفكرين المصريين ككاتب السيناريو أسامة أنور عكاشة، والاقتصادي المصري حازم الببلاوي، والوزير السابق وأستاذ القانون يحيى الجمل. كما نجح الجبهة -وهو حزب ليبرالي يدافع عن مبادئ الليبرالية السياسية والاقتصادية-[24] في استقطاب مجموعة كبيرة من الناشطين الشباب الجدد، الذين شارك بعضهم لاحقًا في تأسيس ائتلاف شباب الثورة.

22- مبارك لولاية خامسة بـ 88%، الشرق الأوسط « اللندنية»، (10 / 9/ 2005) العدد 9783، تاريخ الوصول للرابط 8/ 1/ 2019: http://archive.aawsat.com/details.asp?article=322557&issueno=9783#.XDSXoYJR2M8.

23- سمير رمزي، محددات التنافسية في الانتخابات الرئاسية المصرية، مركز البديل للتخطيط والدراسات الإستراتيجية، (14/ 10/ 2017)، تاريخ الوصول للرابط : 8/ 1/ 2019 : https://goo.gl/RgcZuG.

24- تأسيس حزب ليبرالي في مصر، جريدة «الوسط» البحرينية، العدد 1722، (الخميس 24/ 5/ 2007)، تاريخ زيارة الرابط 7 / 1/ 2019: http://www.alwasatnews.com/news/233592.html.

2. الإخوان المسلمون

بعد خروج الإخوان المسلمين والإسلاميين من سجون عبدالناصر، أفسح السادات لهم المجال للتواجد في المجال السياسي والاجتماعي مرة أخرى، استفاد كل طرفٍ من الآخر؛ أحدهما تمدد وقوى من وجود تنظيمه في المجال العام، والآخر حاول الاستفادة من وجود الإسلاميين في كبح المجموعات اليسارية والقومية المناهضة لسياساته. ذلك قبل أن ينقلب الإسلاميون على السادات في آخر عهده إثر اتفاقية كامب ديفيد، ثم سقوطه قتيلًا بيد قيادات الجماعات الجهادية. بعدها جاء مبارك الذي اتخذ من جماعة الإخوان موقفًا وسطيًّا، لا هو قمعها مثل عبد الناصر، ولا هو فتح المجال لها كي يزداد نفوذها بالحياة السياسية. ففي الفترة الأولى من حكم مبارك بالثمانينيات استغل الإخوان عدم ضغط النظام عليهم في بناء قواعد لهم بالمواقع المحلية، والجامعات، وأغلب النقابات المهنية، وتدريجيًا دخل الإخوان غمار العمل السياسي بعد أن أعادوا بناء تنظيمهم بشكل قوي. وقد كان مبارك حريصًا في بداية حكمه ألا يدخل في مواجهة مباشرة مع الإخوان، ولذا أجَّل المواجهة معهم إلى ما بعد تصفية خصومه من الإسلاميين الأكثر راديكالية مثل الجهاد والجماعة الإسلامية.

كان مبارك يعِي جيدًا أن الدخول في مواجهة مع الحركات الإسلامية مجتمعة قد تكلفه اهتزاز سلطته، خصوصًا أن الأمور على الساحة السياسية لم تكن مستقرة له بعدُ بشكل كليّ، بعد عاصفة اغتيال السادات، والعزلة العربية الناتجة عن اتفاقية كامب ديفيد، والوضع الاقتصادي المتردي، ومن ثَمَّ قرر بشكل واضح قصر المواجهة على الجماعات الجهادية، ومحاولة تثبيت أركان سلطته.

في هذه الفترة نجح الإخوان في احتكار الفضاء الديني والاجتماعي بشكل كبير، كما شاركت الجماعة بقوة في انتخابات 1984 و1987، وسعت لإعادة تقديم نفسها بعقد تحالفات سياسية وانتخابية مع أحزاب المعارضة، وهو ما حدث أولًا في انتخابات عام 1984 التي خاضتها على قائمة الوفد، وحصلت آنذاك على تسعة مقاعد من إجمالي 58 مقعدًا فازت بها القائمة، وثانيًا في انتخابات 1987، عندما دخلت الجماعة في تحالف ضم حزبي الأحرار والعمل، تحت مسمى التحالف الإسلامي الذي نجح في الحصول على حوالي 56 مقعدًا ذهب منها 36 للإخوان، وهي الانتخابات التي شهدت ظهور شعار الإخوان الشهير «الإسلام هو الحل».[25]

ومع بداية التسعينيات غيَّر مبارك استراتيجيته نحو الجماعة؛ فبدأ بفرض رقابة جزئية على أنشطة الإخوان المجتمعية، وتم التضييق عليهم بشكل أكبر في النقابات

25- خليل العناني، مبارك والإخوان.. خبرة الثلاثين عاما، الجزيرة نت، الخميس 13 -10- 2011، http://studies.aljazeera.net/fil htm.20118711364838513/08/es/2011

والجامعـات، ثـم صعّـد النظـام المواجهـة معهـم، فتـم القبـض عـلى بعـض قيـادات الجماعـة النوعيـين، عـلى خلفيـة مجموعـة مـن القضايـا مثـل: قضيـة سلسـبيل الشـهيرة. وظلــت فــترة التســعينيات والعشريــة الأولى مــن الألفيــة تشــهد قضايــا محاكــمات عسـكرية لكبـار قيـادات الإخـوان؛ كان الغـرض الوحيـد مـن هـذه المحاكـمات هـو تقليـم أظافـر الجماعـة بحيـث لا تتعـدى الإطـار المرسـوم لهـا مـن قبـل النظـام.

كان مبـارك يتبـع مـع الإخـوان سياسـة الإضعـاف، لكـن ليـس لدرجـة الاسـتئصال بشـكل كامـل، فقـد اسـتخدم تنظيمهـم -المحجَّمـة حركتـه- كفزاعـة للغـرب لعـدم الضغـط عليـه مـن أجـل إصلاحـات سياسـية كبـيرة، حيـث لا بديـل لـه سـوى الإسـلاميين، في ظـل ضعـف المعارضـة المدنيـة وفقرهـا. كـما كان نجـاح الإخـوان في الانتخابـات البرلمانيـة والنقابـات يثـير فزعًـا لـدى قطاعـات داخليـة مـن بعـض أحـزاب المعارضـة والأقبـاط، خشـية مـن وصولهـم للحكـم، فمبـارك، بالنسـبة لهـم، أهـون الشريّـن وأسـلمهما.

رغـم التضييـق السـياسي إلا أن الإخـوان نجحـوا في خلـق تواجـد مجتمعـي قـوي بدرجـة كبـيرة، فتجـذرت شـبكاتهم الخدميـة عـبر مؤسسـات منتـشرة في القـرى والأحيـاء، خصوصًا في الأقاليـم، والمناطـق التـي لا تطالهـا خدمـات الدولـة، وهيمـن الإخـوان عـلى عـدد كبـير مـن المسـاجد والزوايـا، التـي صـارت بالنسـبة إليهـم محاضـن اسـتقطاب عضويـات جديـدة، ومنافـذ لكسـب التعاطـف، ونـشر الأفـكار.

وكانـت وزارة الأوقـاف قـد أعلنـت في التسـعينيات عـن خطـط لـلإشراف عـلى جميـع المسـاجد في مـصر بحلـول عـام 2000. رغـم ذلـك ظلـت عمليـة إلحـاق المسـاجد بالـوزارة مجـرد عمليـة شـكلية، فقـد مارسـت الحـركات الدينيـة مثـل الإخـوان المسـلمين والسـلفيين الأنشـطة الدعويـة في عـدد كبـير مـن المسـاجد دون أن تسـمح للأئمـة المعتمديـن مـن الـوزارة باعتـلاء المنابـر. يكمـن أحـد الأسـباب الرئيسـة لذلـك في أن الدولـة المصريـة لم تكـن تملـك المـوارد الماليـة والبشريـة اللازمـة لإحـكام قبضتهـا عـلى تلـك الممارسـات.[26]

آثـرت حكومـة مبـارك أيضًـا عـدم اتّخـاذ إجـراءات صارمـة ضـد بعـض التيـارات الدينيـة. فسَـعَت إلى منـح بعـض الجماعـات الإسـلامية حريـة نسـبية باعتبارهـا مكافـأة لهـا عـلى التزامهـا بعـدم انتقـاد نظـام مبـارك وأداة لضـمان التزامهـا. هكـذا أتـاح مبـارك للجمعيـات الدينيـة مثـل الجمعيـة الشرعيـة، وهـي إحـدى المنظـمات الإسـلامية الأكـثر رسـوخًا في مـصر، والدعـوة السـلفية، هامشًـا مـن الحريـة. وفي المقابـل امتنعـت هـذه الحـركات عـن انتقـاد الحكومـة وسياسـاتها.[27]

مـع مطلـع الألفيـة وتزامنًـا مـع حادثـة 11 سـبتمبر تغـيرت الظـروف العالميـة كثـيرًا، وتغير

26- جورج فهمي، «الدولة المصرية والمجال الديني»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (18 / 9/ 2014)، شوهد في 5/ 1/ 2019: http:// carnegie-mec.org/2014/09/18/ar-pub-56640..

27- المصدر نفسه.

معها أيضًا بعض الشيء خطاب الحركات الإسلامية؛ فالجماعات السلفية الجهادية بدأت تطرح مراجعات كانت بذرتها قد وُضِعت في السجون أواخر التسعينيات، وجماعة الإخوان بدأت تتجه للتحالف مع المجموعات والقوى المدنية الأخرى للضغط على النظام لتوسعة المجال السياسي ورفض المحاكمات العسكرية للمدنيين، وعملت على التنسيق الجبهوي مع حلفاء غير إسلاميين للعمل على القضايا المشتركة مثل: الفاعليات التي انطلقت في الشارع وفي النقابات رفضًا للاحتلال الأمريكي والصهيوني، ثم طرحت الجماعة مبادرتها الشهيرة للإصلاح في مارس 2004. ومع التحولات الطارئة على السياسية الأمريكية نحو الشرق الأوسط وضغط إدارة الرئيس بوش الابن على بعض الأنظمة العربية والإسلامية للإصلاح السياسي؛ اضطر النظام المصري مرغمًا على إفساح المجال لدخول لاعبين جدد للساحة السياسية، ومن ثَمَّ تواجد أكبر للإخوان، وشهد عام 2005 أول انتخابات رئاسية حلَّ فيها أيمن نور في المركز الثاني وصيفًا لمبارك، وهو ما أعطى أملًا للقوى السياسية في حدوث انفراجة نوعية بالحياة السياسية المصرية، التي شهدت ركودًا طوال أكثر من 25 عامًا متصلة.

وقد برز الإخوان، خلال السنوات الأخيرة من حكم مبارك، كمنافس وحيد يمكن أن يمثل بديلًا للنظام، وهو ما ظهر واضحًا في انتخابات مجلس الشعب عام 2005، حيث حصدت الجماعة 88 مقعدًا، وهو ما وازى تقريبًا عدد المقاعد التي حصلت عليها أحزاب المعارضة مجتمعة. كشف هذا الفوز الكبير للإخوان -رغم ترشحهم على أقل من ثلث المقاعد- عن هشاشة الحزب الوطني، الذي أكمل بقية أغلبيته عبر ضم النواب المستقلين، كما أنه أظهر أيضًا ضعف المعارضة اليسارية والليبرالية، التي بدت متآكلة وهشة إلى حد كبير، وتفتقد القدرة على بناء قواعد جماهيرية حقيقية.

إلا أن الأمر لم يستمر هكذا كثيرًا؛ فالمجال السياسي الذي شهد حراكًا جيدًا -نوعا ما- منذ مطلع الألفية، شهد انتكاسة كبيرة بعد عامي 2006 و2007، فتم سجن معارضين بارزين مثل أيمن نور، ومنيت انتفاضة القضاة، والتي كانت تهدف لتحقيق بعض المطالب مثل استقلال القضاء والإشراف الكامل على الانتخابات، في 2006 بانتكاسة، كما قام النظام في 2007 بتعديلات دستورية طالت 34 مادة قيدت بشكل تام الترشح للرئاسة سوى لمرشح من داخل النظام، وسمحت دستوريًّا بإحالة المدنيين لمحاكمات عسكرية، وإعطاء الحق لرئيس الجمهورية في حلّ البرلمان دون الرجوع لاستفتاء، وتخفيف الإشراف القضائي على الانتخابات[28]، كما شهدت انتخابات المحليات في 2008 وانتخابات 2010 تزويرًا على نطاق واسع، وهو ما زاد لاحقًا من وتيرة التوتر الذي أسهم في الوصول لمشهد يناير 2011.

28- ناثان براون وميشيل دن، التعديلات الدستورية المثيرة للجدل في مصر: تحليلا نصيا، كارنيجي، واشنطن، 2007، ص 1- 5

3. السلفية العلمية والجهادية

بجوار جماعة الإخوان المسلمين كانت هناك مجموعات إسلامية على يسارها، وأخرى على يمينها، كان على يسارها أحزاب رسمية مثل حزب العمل الذي تنازعته مجموعات إسلامية وأخرى ذات ميل اشتراكي إلى أن تجمد وضعه القانوني تقريبًا قبل الثورة. وكان هناك أيضًا حزب الوسط الذي ظل وضعه القانوني مجمدًا طيلة أكثر من خمسة عشر عامًا، ثم حصل على الإشهار الرسمي بعد الثورة مباشرة. وعلى يمين الإخوان كانت هناك عدة مجموعات سلفية علمية وجهادية، دخلت جميعها المجال السياسي بثقلها التنظيمي والاجتماعي بعد الثورة مباشرة، رغم رفضها -قبل الثورة- للممارسة السياسية في أُطرها القائمة لعدم موافقتها للشريعة الإسلامية، وفقًا لتصوراتهم، مثل الدعوة السلفية التي أسست حزب النور.

وفي مساحة أقصى اليمين هذه تقف مجموعة من التكوينات السلفية متعددة المشارب، ما بين سلفية علمية وسلفية جهادية، وكلاهما يتفرع إلى مجموعات فرعية، لكن كلها تتقاطع مع بعضها البعض في مساحة الأفكار، كما أن البعض منهم ظهر إلى حيز الوجود في توقيت واحد تقريبًا، وإن اختلفت مساراتهم لاحقًا.

كانت نشأة الدعوة السلفية بالإسكندرية متزامنة مع النشأة الثانية لجماعة الإخوان المسلمين بعد خروجهم من السجون في منتصف السبعينيات. كان هناك مجموعات سلفية تقليدية مكتفية بالعمل الاجتماعي والدعوي مثل جمعية أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية؛ إلا أن الدعوة السلفية اتخذت مسارًا مختلفًا حيث اتجهت إلى العمل الحركي لاحقًا انطلاقًا من النشاط الطلابي بالجامعات. وقتها كانت الحركة الطلابية مقسمة ما بين تيارات ناصرية ويسارية، وأخرى إسلامية لا تربطها صلات تنظيمية بتنظيم إسلامي كبير.

كانت هذه المجموعات الصغيرة التي تكونت كَنَوَيَاتٍ تنظيمية داخل العمل الطلابي تحاول منافسة التيارَيْن اليساري والناصري على اتحادات الطلبة في بداية السبعينيات، ثم سيطرت عليها فعليًا تقريبًا في منتصف ونهايات السبعينيات، وكانت تعتمد في أفكارها التي كونتها في البداية على أدبيات خليط ما بين سلفية وإخوانية، مثل كتابات وخطب ولقاءات شخصية مع الشيخ محمد الغزالي، وكتب أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية، وكتب أبي الأعلى المودودي، وكتب العقيدة والأخلاق والفقه، والأخيرة كان أبرزها على سبيل المثال كتاب «فقه السنة» للشيخ الأزهري، الذي كان عضوًا بالإخوان، الشيخ سيد سابق.[29]

ولاحقًا قامت نفس المجموعة وعبر اتحاد الطلبة بنشر وطبع سلسلة كتيبات

29- عبدالمنعم أبو الفتوح، شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984 (تحرير حسام تمام)، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2012، ص 36-37

بعنوان «صوت الحق»، التي شكلت وعي هذا التيار، وقد طبعوا منها بأنفسهم عدة كتب صدرت عن نفس السلسلة مثل «رسالة المؤتمر الخامس» للإمام الشهيد حسن البنا، و«المصطلحات الأربعة»، و«نظرية الإسلام السياسية» لأبي الأعلي المودودي، و«هذا الدين»، و«المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب، وكتب أخرى له ولابن القيم، وللشعراوي، وناصر الدين الألباني.[30]

وبالطبع يظهر من عناوين الكتب التي اهتمت بها مجموعة شباب الجامعة من الإسلاميين في بداية تحركهم لبناء نشاط إسلامي ما بالجامعة، وجود خليط من الأفكار التي اعتمدوا عليها في تشكيل وعي إسلامي جديد، في بيئة كان فيها غياب واضح لأي رافد فكري إسلامي، مع غياب الإخوان وبُعد نفس المجموعة عن تأثيرات أخرى مثل الصوفية والأزهر.

كانت المجموعات الطلابية الإسلامية تعمل في هذا الوقت تحت يافطة جامعة هي «الجماعة الإسلامية»، وهو اسم كان يعبر حينها عن شرائح هجين ستتفرق لاحقًا على تنظيمات ومجموعات عديدة، كما سيلي ذكره، وبعد خروج الإخوان بفترة -وفقًا لسرد أحد القيادات الذين كانوا من أبرز رموز الحركة حينها وهو عبدالمنعم أبو الفتوح الذي ترأس قيادة الحركة وقيادة الاتحاد الطلابي بالجامعة- تواصل جزء من هذا التيار مع قيادات من جماعة الإخوان مبكرًا، من بين هؤلاء أفراد كانوا في التنظيم القديم مثل الشيخ محمد الغزالي، وعبدالمنعم أبو الفضل، ثم لاحقًا عمر التلمساني، وفتحي رفاعي[31] وآخرين، قبل أن تتطور هذه اللقاءات إلى شكل رسمي فيما بعد، أعقبها انضمام هؤلاء الشباب لجسد تنظيم الجماعة، وهو ما أعطى الأخيرة دفعة كبيرة للتواجد على الأرض مرة ثانية. وقد مثّل التحاق هذا التكوين الشبابي كبير العدد، المنظم بشكل جيد لجسد الجماعة الذي كان بمثابة هيكل ضعيف تشرف عليه مجموعة من القادة كبار السن، بمثابة نشأة ثانية للجماعة.

لاحقًا ووفقًا لسرد واحد آخر من قيادات الحركة، فقد رفض قطاعٌ من طلاب الجماعة الإسلامية بالجامعات الانضمام لتنظيم الإخوان المسلمين. هؤلاء انقسموا إلى تيارين، الأول رفض الانضمام بحجة أن أفكار تنظيم الإخوان المسلمين لا تعبر بشكل كامل عن توجهات السلف الصالح، وأن أفكار الجماعة بالتزامها ببعض الآراء السياسية وغيرها تجعلها من وجهة نظرهم من الجماعات التي تتبنى صيغًا ابتداعية في الدين.[32] هذا التيار كان أميل لتبني آراء سلفية صرفة من التي انتشرت

30- المصدر نفسه ص 45

31- المصدر نفسه، ص 39

32- أبو العلا ماضي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، أغسطس 2009

وقتها عبر الكتب القادمة من المملكة العربية السعودية، وبعض الكتب التي كانت تصدرها جمعية أنصار السنة المحمدية، ثم انفصلت عناصره عن الجماعة الإسلامية، وبدأوا في تأسيس مدرسة سلفية جديدة، كان أغلب قادتها من الإسكندرية، فكانوا نواة الحركة بها، عُرفت فيما بعد باسم «الدعوة السلفية السكندرية»، نسبة لأهم قادتها الذين قادوا حركتها وتنظيمها وعملها الدعوي طيلة أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، وهم: إسماعيل المقدم، وأحمد فريد، وأسامة عبدالعظيم، ثم الجيل الثاني من المدرسة السلفية، وأبرزهم ياسر برهامي، وكلهم من كليات الطب بجامعة الإسكندرية. وقد ركز هذا الفريق على الاهتمام بالعلم الشرعي السلفي التقليدي من أمهات الكتب فقط، والتركيز على تصحيح العقائد والاهتمام بتنقية القلوب والهدي الظاهر مثل اللحية والجلباب والغترة السعودية. وتُعتبر هذه المدرسة امتدادًا واضحًا للمدرسة السلفية السعودية، ويُعتبر شيوخ المدرسة السلفية السعودية مثل العلماء والمشايخ ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين وغيرهم، هم الأئمة والعلماء المعتمدون لديها.[33]

لم تتبنَّ المدرسة السلفية السكندرية منهج العنف بالمرة، كما لم تنشغل بالسياسة، واهتمت فقط بالعمل الدعوي والاجتماعي، والاهتمام بنشر ما سمَّوْه بالعلم الشرعي، وانتشرت بشكل كبير في الإسكندرية، ومحافظات الدلتا، حتى إذا جاءت الثورة غيرت تلك المدرسة من استراتيجيتها تمامًا ودخلت المجال السياسي بقوة، واعتمدت على قوتها التنظيمية، ووجودها الاجتماعي كي تحتلَّ -كما سيأتي لاحقًا- المرتبة الثانية في أول انتخابات برلمانية عن طريق ذراعها السياسية، حزب النور.

دعا الشيوخ في عظاتهم إلى الالتزام بالأصولية السنيّة –السلفية- في مواجهة معتقدات وممارسات الصوفية، والشيعة، والمسلمين الليبراليين، وشدّدوا على السلوكيات الاجتماعية المُحافظة للغاية التي أشاروا إلى إنهم استقوها من سنّة الرسول. فأصدروا الفتاوى والكتب التي تحظر الاختلاط بين الجنسين، ومُصافحة الرجل للمرأة، وتشجيع الذكور المسلمين على إطلاق اللحى، لكنهم تجنّبوا مناقشة القضايا السياسية الساخنة. وحين بحثوا بالفعل مسائل الحوكمة، التزموا فقط بالبيانات النظرية العامة. فهم، على سبيل المثال، اعتبروا الديمقراطية وكل أنواع الأنظمة السياسية التي تستقي شرعيتها من الشعب لا من الله، مخالفة للعقيدة الإسلامية، بيد أنهم تجنّبوا إدانة النظام المصري علنًا. كما أنهم رفضوا الاشتراك في الانتخابات، مُجادلين بأن التغيير لايمكن أن ينبثق سوى من أسفل، عبر نشر الدعوة

33- ناجح إبراهيم، السلفيون المصريون قبل وبعد ثورة 25 يناير ، دورية الإسلاميون في عام، العدد الثاني، دار الانتشار العربي ومركز صناعة الفكر للدراسات، 2012، ص 67

لبلـورة الطائفـة المؤمنـة.[34]

التيـار الثـاني مـن أعضـاء الجماعـة الإسـلامية، الـذي رفـض الانضـمام للإخـوان، هـم مَـن غلُـب عـلى رؤيتهـم الفكـر السـلفي الجهـادي، وكان أغلبـه مـن قـادة الجماعـة الإسـلامية بالجامعـات بالصعيـد -باسـتثناء أبـو العـلا مـاضي الـذي انضم لاحقـا للإخـوان كعبدالمنعم أبـو الفتـوح وعصـام العريـان وغيرهـما- كان رمـوز هـذا التيـار: كـرم زهـدي، وأسـامة حافـظ، وناجـح إبراهيـم، وعاصـم عبدالماجـد، وعصـام دربالـة، وهـم أنفسـهم الذيـن أسسـوا لاحقًـا تنظيـم الجماعـة الإسـلامية الـذي انتهـج مسـار العنـف ضـد النظـام، حتـى تـم القضـاء عليـه تقريبًـا مـع منتصـف التسـعينيات.[35]

ظـل اسـم «الجماعـة الإسـلامية» يُطلـق بشـكل عـام عـلى تيـار الطلبـة الإسـلاميين، لكـن منـذ أن اتخـذ كل فريـق طريقًـا مختلفـة، التزم فريقان منهما باسـمين مختلفين؛ فالسـلفيون العلميـون صـار يُطلـق عليهـم «المدرسـة السـلفية السـكندرية»، والمجموعـة التـي انضـوت تحـت تنظيـم الإخـوان حملـت بالطبـع اسـم جماعتهـا الجديـدة، فيـما احتفـظ الفريـق الثالـث باسـم «الجماعـة الإسـلامية».

وإلى جانـب جماعـة أنصـار السـنة المحمديـة، التـي لم تنشـغل في المطلـق بالعمـل السـياسي، واكتفـت بالعمـل الدعـوي؛ والجمعيـة الشرعيـة لتعـاون العاملـين بالكتـاب والسـنة، التـي أسسـها الشـيخ محمـود خطـاب السـبكي في أواخـر القـرن التاسـع عـشر، وعملـت بشـكل رسـمي في بدايـات القـرن العشريـن، كجمعيـة أهليـة؛[36] ومدرسـة الدعوة السـلفية بالإسـكندرية، أكـبر المجموعـات السـلفية حجـمًا؛ نشـأ رافـد آخـر للسـلفية، هـو المدرسـة السـلفية بالقاهـرة، التـي أسسـها مشـايخ مثـل :سـيد العـربي، ومحمـد عبدالمقصـود، والشـيخ نشـأت إبراهيـم، وفـوزي السـعيد، وتسـمى هـذه المدرسـة بالمدرسـة «السـلفية الحركيـة». يختلـف هـذا الرافـد السـلفي عـن السـلفية العلميـة بنقـده الواضـح للأنظمـة غـير الإسـلامية، و ويرفـض التنظيـم بمعنـى وجـود كيـان منظـم قائـم عـلى السـمع والطاعـة حيـث يـرى بعـدم مشروعيـة تكويـن الجماعـات، بسـبب أنهـا تـؤدي للفرقـة، لـذا فقـد كانـوا غـير منتظمـين في جماعـة، كـما كانـوا يرفضـون تطبيـق الشريعـة عـن طريـق الديمقراطيـة، لأنـه لـو صَّـوت النـاس لصالـح تطبيـق الشريعـة، ثـم وافـق المجلـس أو الدولـة عـلى ذلـك، لم يعـد ذلـك إسـلامًا، بـل يجـب أن يتـم تطبيـق الشريعـة رغـم أنـف المعارضـين لأنهـا حكـم اللـه، كـما أن هـذه المدرسـة لهـا موقـف واضـح برفـض العمـل المسـلح، وإنشـاء منظـمات إسـلامية سريـة.[37] وبعـد الثـورة

34- ستيفان لاكروا، مصر: السلفيون البراغماتيون، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، واشنطن/ بيروت، 2016، ص 11.

35- عبدالمنعم أبو الفتوح، شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984، ص 90، مصدر سابق، وأبو العلا ماضي، مقابلة شخصية، مصدر سابق

36- حسن سلامة، السلفيون في مصر..معضلة أم حل؟، مجلة الديمقراطية، العدد 38، السنة العاشرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، إبريل 2010، ص68.

37- المصدر السابق، ص 72، وأحمد زغلول شلاطة، الحالة السلفية المعاصرة في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2016، ص 16.

أسست هذه المجموعة حزب الأصالة، الذي كان رئيسه اللواء عادل عبدالمقصود أخو الشيخ محمد عبدالمقصود.

4. الحركات الاحتجاجية الراديكالية

إلى جانب الأحزاب التقليدية التي كانت قائمة قبل الثورة، كان هناك مجموعة من الأحزاب غير الرسمية، مثل حزبي الكرامة والوسط، اللذان شارك أفراد منهما لاحقًا في تأسيس حركات هامة مثل كفاية. كما كان هناك أيضًا مجموعة من التنظيمات اليسارية، أبرزها منظمة الاشتراكيين الثوريين، التي نشأت في بداية التسعينات، وصارت من أنشط المجموعات اليسارية على الساحة حينها، وساهمت في تأسيس أغلب الحركات الاحتجاجية التي ظهرت بعد بداية الألفية الجديدة مثل: اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة، وأجيج، والحملة الشعبية لمناهضة العدوان الأمريكي الصهيوني، وكفاية، وشباب من أجل التغيير، وتضامن، وحشد. وقد انشق عن الاشتراكيين الثوريين عام 2010، كما سيأتي ذكره، مجموعة تيار التجديد الاشتراكي، التي كان لها دور مهم أيضًا في الحراك الاحتجاجي قبل الثورة وبعدها، وساهمت بفاعلية في تأسيس حركة شباب من أجل العدالة والحرية، التي اشتركت مع بعض المجموعات السياسية الأخرى في تأسيس ائتلاف شباب الثورة وشاركت في تنظيم بعض المظاهرات الداعية للنزول يوم 25 يناير 2011. كان هناك أيضًا مجموعات يسارية أخرى أقل ظهورًا، مثل المركز الديمقراطي الاجتماعي، وحزب الشعب الاشتراكي الذي تفكك بعد رحيل مؤسسيه البارزين: نبيل الهلالي ويوسف درويش، عام 2007، وحزب العمال الشيوعي الموحد الذي اختفى تقريبًا ولم يعد له وجود منذ أواخر التسعينيات.

وكان قد ظهر مع بداية الألفية نمط جديد من الحركات الاحتجاجية بدأ مع اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة، التي تأسست في زخم الحراك داخل الشارع المصري للتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000. وقد نجح هذا النمط في تجاوز مشاكل الائتلافات والتحالفات الجبهوية السابقة، التي كانت تنتهي بالفشل، بسبب عدم الاتفاق على برنامج عابر للخلفيات الأيديولوجية والسياسية. لقد بعثت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ومن بعدها الحرب على العراق عام 2003، روحًا جديدة وسط الحركة السياسية -الراديكالية منها بشكل خاص- دفعت في اتجاه تأسيس سلسلة من الأُطر الاحتجاجية كان أبرزها كفاية عام 2004، التي ضمت تيارات متنوعة من ناصريين ويساريين وإسلاميين، ورفعت شعار «لا للتمديد.. لا للتوريث»، وأثرت بشكل كبير على المجال السياسي ساعتها، وصولًا إلى الجمعية الوطنية من أجل التغيير عام 2010، التي ضمت كل الطيف السياسي في مصر، ولعبت دورًا هامًا في التعبئة التي أسفرت عن ثورة يناير.

وعقب الانتخابات الرئاسية ثم البرلمانية عام 2005 شهد المجال السياسي حالة من

التراجـع، حيـث ظهـر من الانتخابـات البرلمانية 2005 الضعف الشـديد للقوى غير الإسـلامية. كـما لم تسـتطع كفايـة أن تبلـور مطالبها السياسـية في مشروع عملي يمكـن أن يدفعها خطوة أخـرى للأمـام، ولم تسـتطع أن تنظـم نفسـها لتقـود المواجهـة مع النظـام في مسـاحات أخرى غـير مسـاحة الاحتجـاج التقليدي، ففقـدت المبادرة وبدأت تضعف بشـكل كبـير، مع تصاعد نـبرة تشـاؤم شـديدة فيـما يخص مسـار الإصلاح السـياسي عقـب التعديلات الدسـتورية التي قـام بهـا نظـام مبـارك في 2007، والتـي كانت كلهـا تدعم مـشروع التوريث من جهـة، وتضع قيـودًا عـلى المجال السـياسي من جهـة ثانية.

نشـأ مـع كفايـة جناح شـبابي لها، هو «شـباب من أجل التغيـير»، لعب دورًا مهـمًا في تعبئة طيـف واسـع من الشـباب -إسـلاميين، وقوميين، ويسـاريين، وليبراليين- داخـل معركة التغيير. ومـع تراجـع «كفاية» بدأت تظهر سلسـلة من المجموعات الاحتجاجيـة، انطلقت مع إضراب عـمال غـزل المحلـة في ديسـمبر 2006، مثـل مجموعتي تضامن وحشـد وغيرهـما، وإن كانت جميعًـا أقـل شـأنًا وأضعـف تأثـيرًا بكثير مـن كفاية. ومـع إضراب غزل المحلة الأخـير في أبريل 2008، وُلـدت حركـة احتجاجيـة جديـدة شـبابية بالأسـاس، هـي 6 أبريـل، التـي نجحـت في جـذب أعـداد غفـيرة مـن الشـباب، وبعدها ظهرت حركة شـباب مـن أجل العدالـة والحرية.

وقـد تميـزت الفـترة من ديسـمبر 2006 إلى أبريـل 2008، بوجود حـراك مجتمعي كبير، ظهر خلالـه عـدد كبير من الحركات الاحتجاجيـة المطالبة بتغيير الأوضـاع الاقتصادية والاجتماعية، والتـي لم تطـرح أي منهـا بشـكل مبـاشر أجنـدة مطالب سياسـية. ضغطت جميعها بالأسـاس لانتـزاع مطالـب اقتصاديـة واجتماعيـة، وكان لهـا أجنـدة منخفضـة ومحـددة. أبـرز هـذه الحـركات هـي: حركـة عـمال غـزل المحلـة، وحركـة موظفـي الضرائـب العقاريـة، وحركـة عـمال شركـة طنطـا للكتـان، وغيرهـا. وقـد حققـت أغلـب هـذه الحـركات مكاسـب مباشرة لصالـح أطرفهـا، بسـبب اعتمادهـا على كتل جماهيريـة منظمة، ونجاحها في الحشـد والتعبئة ومواصلـة الضغـط عـبر تعطيـل مصالـح الخصم.[38]

ومـع عـودة البرادعـي إلى مـصر عـام 2010، وانطـلاق حملـة للمطالبـة بتغيـير الدسـتور، ظهـرت موجـة تفـاؤل كبـيرة. ومع دخول المسـار السـياسي في حالـة انغلاق تام بسـبب تزوير الانتخابـات البرلمانيـة 2010، التي أنتجت برلمانًا مشـوهًا بأغلبية سـاحقة للحـزب الحاكم، زاد الاحتقان في الشـارع المصري الذي كان يمتلئ بالنقمة من السياسـات الاقتصادية والاجتماعية. كان الوضـع سـاعتها ينتظـر شرارة تُطلق فـورة الغضب، وجاءت هذه الـشرارة من تونس على شـكل ثـورة، انتقلـت سريعًـا إلى مصر لتنفجر الأوضـاع في يناير 2011 في ثـورة كبرى، أطاحت في نهايـة المطاف بنظـام مبارك.

38- دينا شحاتة (محرر)، عودة السياسة..الحركات الاحتجاجية الجديدة في مصر، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2010، ص 12

مراجع الفصل الأول

أولا. كتب

- أحمد عبدالحميد حسين، حبيبة محسن،الحركات اليسارية في مصر، في خليل كلفت (محرر)، خارطة اليسار العربي، روزا لوكسمبورج، تونس، 2014.
- أحمد زغلول شلاطة، الحالة السلفية المعاصرة في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2016
- دينا شحاتة «محرر»، عودة السياسة.. الحركات الاحتجاجية الجديدة في مصر، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2010
- سامر سليمان، النظام القوي والدولة الضعيفة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2013
- طارق البشري، الديمقراطية ونظام 23 يوليو « 1952-1970»، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987
- طارق البشري، مصر بين العصيان والتفكك، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 2010
- عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، مركز البحثو العربية والأفريقية/ دار جزيرة الورد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2010
- عبدالمنعم أبو الفتوح، شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984، «تحرير حسام تمام»، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2012
- ناجح إبراهيم، السلفيون المصريون قبل وبعد ثورة 25 يناير، دورية الإسلاميون في عام، العدد الثاني، دار الانتشار العربي ومركز صناعة الفكر للدراسات، 2012

ثانيا. دراسات

- إبراهيم حجاج، التغيرات الاقتصادية في المجتمع المصري خلال فترة الانفتاح، الحوار المتمدن، 12 نوفمبر 2010 : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236568
- بدون مؤلف، لماذا توقفت الثورة عند مستوى المحليات؟، موقع تضامن، «25 / 6/ 2013»، تاريخ زيارة الرابط 11/ 7/ 2018: https://goo.gl/bC3VNL.
- جورج فهمي، «الدولة المصرية والمجال الديني»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (18 / 9/ 2014)، شوهد في 5/ 1/ 2019: http://carnegie-mec.org/2014/09/18/

.56640-pub-ar
- حسن سلامة، السلفيون في مصر..معضلة أم حل؟، مجلة الديمقراطية، العدد 38، السنة العاشرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، إبريل 2010.
- رامز جلال أسعد، أثر الأحزاب السياسية على التحول الديمقراطى في مصر«2013-2015»، المركز الديمقراطي الاجتماعي، « 18/ 5/ 2015»، شوهد في 13/ 12/ 2018 : https://democraticac.de/?p=1231.
- ستيفان لاكروا، مصر: السلفيون البراغماتيون، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، واشنطن/ بيروت، 2016.
- سمير رمزي، محددات التنافسية في الانتخابات الرئاسية المصرية، مركز البديل للتخطيط والدراسات الإستراتيجية، (14/ 10/ 2017)، تاريخ الوصول للرابط : 8/ 1/ 2019 : https://goo.gl/RgcZuG
- شريف يونس، تنظيم الدولة وفرص اليسار الديمقراطي، البوصلة، « 1/ 6/ 2006»، تاريخ زيارة الرابط 13/ 12/ 2018 : http://bosla.blogspot.com/2006/06/blog-post_115628588613940590.html.
- عمرو عادلي، دور الدولة الاقتصادي وإعادة تصميم نموذج التنمية في مصر، مجلة الديمقراطية، العدد 57، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، يناير 2015.
- ناثان براون وميشيل دن، التعديلات الدستورية المثيرة للجدل في مصر: تحليلا نصيا، كارنيجي، واشنطن، 2007.
-

ثالثا. صحف ومواقع

- أشرف الشريف، كمال الدين حسين ووجوه دولة يوليو المحافظة، مدى مصر، «1 / 10 / 2015 » تاريخ زيارة الرابط 1 / 11/ 2018 : https://goo.gl/0aARQd
- أميرة محمد صلاح متولي، حكومة نظيف تؤدي اليمين بعد حسم وزارة العدل لصالح المستشار أبوالليل، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، « 13/ 7 / 2004»، تاريخ الوصول 19 / 10 / 2018 :http://archive.aawsat.com/details.asp?article=244668&issueno=9359.
- تامر وجيه، انتخابات 2005 ومستقبل السياسة في مصر، مجلة أوراق اشتراكية، «1 يناير 2006»، شوهد في 18 / 12/ 2013 : https://revsoc.me/politics/ntkhbt-2005-wmstqbl-lsys-fy-msr/.

- تأسيس حزب ليبرالي في مصر، جريدة «الوسط» البحرينية، العدد 1722، (الخميس 24/ 5/ 2007)، تاريخ زيارة الرابط 7 / 1/ 2019: http://www.alwasatnews.com/news/233592.html.
- شوقي السيد، حال الأحزاب السياسية في مصر!، المصري اليوم، « 13/ 12/ 2017»، شوهد في 27 / 11/ 2018 : https://www.almasryalyoum.com/news/details/1231606.
- مبارك لولاية خامسة بـ %88، الشرق الأوسط « اللندنية»، (10 / 9/ 2005) العدد 9783، تاريخ الوصول للرابط 8/ 1/ 2019: http://archive.aawsat.com/details.asp?article=322557&issueno=9783#.XDSXoYJR2M8
- «هيئة قضائية مصرية توصي المحكمة الإدارية العليا بحل حزب الحرية والعدالة»، روسيا اليوم، 7/ 10/ 2013، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://goo.gl/L2MXJW

■ الفصل الثانـي

ائتلاف شباب الثورة..

تمثيل ما لا يمكن تمثيله

تقديم: ظهـرت مجموعـات واسـعة مـن الائتلافـات الثوريـة خـلال أيـام الثـورة مبـاشرة، كانـت فكـرة «الائتـلاف» لامعـة وبرَّاقـة لمجموعـات احتجاجيـة رأت في شـكل الائتلافـات نمطًـا تنظيميًّـا أقـرب للحـراك الثـوري، الـذي كان يرفـع أهدافًـا أساسـية تتمثـل في: رحيـل رأس النظـام، ومحاسـبة مسـئولية، والمطالبـة بالعدالـة الاجتماعيـة، والحريـات السياسـية.

كانـت الائتلافـات تضـم طيفًـا واسـعًا مـن الثـوار مختلفـي الاتجاهـات السياسـية، وبعضهـم -وكانـوا الأغلبيـة- لا يحـدد لنفسـه موقعًـا أيدلوجيًـا بعينـه، وبالتـالي كان مـن الصعوبـة خلـق إطـار أيديولوجـي وسـياسي محـدد المعـالم يحتـوي هـؤلاء الأفـراد بداخله، عـلى الأقـل لفـترة مـن الزمـن حتـى يسـتقر الحـراك الثـوري قليـلًا ويبدأ السـياق السـياسي ذاتـه بخلـق أحـد الاتجاهـين؛ إمـا أن يفـرز أحزابًـا جديـدة تحتـوي مَـن يمكـن احتـواؤه مـن تلـك المجموعـات (وهـذا مـا حـدث بالفعـل، في الشـهور التـي تلـت التنحـي) أو تكمـل هـذه الائتلافـات عـلى وضعهـا، مـع تطـور هياكلهـا ورؤيتهـا بشـكل أكـبر بحيـث تتحـول إلى تيـار ثـوري جامـع متوحـد يسـتكمل أهـداف الثـورة، ويحقـق مطالبهـا، تمنـى البعـض هـذا الأمـر، وحـاول قـدر جهـده أن يسـتمر بهـذه الصيغـة، لكـن قدراتـه وأدواتـه كانـت أضعـف عـلى الاسـتمرار.

ظلـت بعـض الائتلافـات لفـترة مـن الزمـن مكتفيـة بإطارهـا التنظيمـي البسـيط الـذي تأسسـت عليـه، متوجسـة مـن الفعـل السـياسي التقليـدي (وهـو الأمـر نفسـه الـذي انطبـق عـلى بعـض الحـركات الاحتجاجيـة الشـبابية) مكتفيـة فقـط بالعمـل الاحتجاجـي وحـده، وبـذل النـداءات لمـلء الميادـيـن حتـى تحللـت وحدهـا بعـد فقدانهـا صيغـة مناسـبة للتواجـد، أو بعـد أن انعـدم تأثيرهـا بسـبب خفـوت الزخـم الثـوري وأفولـه، وبسـبب عـدم قدرتهـا عـلى إدراك أن الحـراك الثـوري لـن يسـتمر إلا بوجـود فعـل سـياسي ثـوري منظـم، وأن التعـالي عـلى السياسـة بالاحتـماء بالتطهـر الثـوري هـو مهلكـة للثـورة ذاتهـا.

يشـير الكاتـب السـوري ياسـين الحـاج صالـح إلى هـذه المعضلـة حينـما يتحـدث عـن ظاهـرة التعـالي عـلى السياسـة التـي ظهـرت وسـط شـبان ثوريـين ومثقفـين ومفكريـن لا يريـدون أن يشـغلوا أنفسـهم بالسياسـة وصراعاتهـا، كي يهتمـوا أكـثر بقضايـا هـي في الحقيقـة انعـكاس للسياسـة بشـكل مـا أو بآخـر، وقـد حـال هـذا الموقـف التطهّـري مـن السياسـة دون تطويـر تفكـير وخطـاب سـياسي ملائـم للثـورة، ويمكـن القـول اليـوم إن ثمَّةَ ثـورة كانـت، لكـن ليـس هنـاك سياسـة ثوريـة، يعنـي تحديـدًا بالمصطلـح الأخـير: سياسـة

مدركـة لمحـرّكات الثـورة وجذورهـا الاجتماعيـة والسياسـية.[1]

كان جـزء مـن خـبرة الائتلافـات قادمـا مـن خـبرة الحـركات الاحتجاجيـة الصغـيرة التـي كانـت موجـودة قبـل الثـورة، ولم يكـن لأغلبهـا أجنـدة سياسـية واضحـة، اللهـم سـوى شـعارات ورؤى بسـيطة ترتبـط تحديـدًا بالضغـط عـلى مبـارك لإفسـاح قـدر أكـبر مـن الحركـة السياسـية، ورفـض ممارسـات الشرطـة، ودعـم الانتفاضـات العماليـة، وتنظيـم الفعاليـات الثوريـة لدعـم هـذه القضيـة وتلـك، وكان النمـط الغالـب عـلى البنيـة التنظيميـة لهـذه الحـركات هـو البنـاء الأفقـي الفضفـاض غـير الهـيراركي الـذي يتشـكل مـن لجـان نوعيـة تديـر حركـة، مكونهـا في الأغلـب مـن أفـراد أغلبهـم قـادم مـن الشرائـح الدنيـا والوسـطى، كحركـة 6 أبريـل، وشـباب مـن أجـل العدالـة والحريـة أو الحـركات ذات الطابـع الائتـلافي الواسـع، ذي الطابـع التنظيمـي الفضفـاض جـدًا، لكـن مكونهـا التنظيمـي يرتكـز عـلى نخـب سياسـية قديمـة، مثـل حركـة كفايـة.

كانـت الائتلافـات الثوريـة التـي ظهـرت في ميـدان التحريـر -ابنـة لحظـة الحـراك الثوري العفـويّ- تمثيـلًا خالصًـا معـبرًا عـن الفوضويـة واللاتنظيـم اللذيـن صبغـا الثـورة المصريـة وحركتهـا مـن لحظـة انفجارهـا، وتشـكلت أغلـب الائتلافـات في البدايـة -باسـتثناء عـدة ائتلافـات تعـد عـلى أصابـع اليـد- مـن داخـل الميـدان، كل منهـا حمـل اسـمًا مختلفًـا، ثـم تداعـت عـدوى هـذه الائتلافـات مـن المركـز للأطـراف المختلفـة، نتـاج توافـد أفـراد الأطـراف والهوامـش عـلى المركـز (التحريـر/ شـوارع القاهـرة الرئيسـة/ الإسـكندرية/ وغيرهـا) طـوال الوقـت أثنـاء الاعتصامـات والتظاهـرات التـي اسـتمرت ثمانيـة عـشر يومًـا قبـل تنحـي مبـارك، ثـم التظاهـرات، خصوصًـا أيـام الجمـع، في الشـهور التـي تلـت الثـورة.

ثـم ظهـرت ائتلافـات معـبرة عـن فئـات بعينهـا، تضغـط لتحقيـق مطالبهـا الخاصـة بهـا، وهـي ائتلافـات أخـذت شـكلًا عامًّـا يضـم أبنـاء المهنـة الواحـدة، مثـل: ائتـلاف شـباب الأطبـاء، والائتـلاف العـام للمعلمـين الشرفـاء، وائتـلاف الأطبـاء البيطريـين، وائتلاف أنـا صيـدلي. وظهـرت فئـة ثالثـة جديـدة وهـي ائتلافـات تبلـور نشـاطها في التوعيـة والتثقيـف والعمـل الاجتماعـي السـياسي غـير المبـاشر، مثـل تقديـم الخدمـات العامـة الخاصـة بالديمقراطيـة ودعمهـا مثـل: ائتـلاف شـباب حقـوق الإنسـان، والائتـلاف المـدني الديمقراطـي بالإسـكندرية، وائتـلاف تنميـة مـصر، وائتـلاف الكرامـة، وائتـلاف المـصري الحـر، وائتـلاف الصـوت الحـر. وهنـاك ائتلافـات عـبرت عـن شرائـح دينيـة بعينهـا،

1- ياسين الحاج صالح، الثورة والسياسة: والنقاش السياسي، موقع الجمهوريةالآ ، (18 / 3/ 2014)، تاريخ الإطلاع 6 / 12/ 2018 : https:// www.aljumhuriya.net/ar/25912

مثل: الائتلاف الإسلامي المصري، وائتلاف الأقباط،[2] والائتلافات الأخيرة كانت تحاول بالضرورة رفع شعارات ومطالب دينية بالأساس، كدعم تطبيق الشريعة بالنسبة للأول، وحق بناء الكنائس وممارسة الشعائر بالنسبة للثاني.

في هذا الفصل سنسرد تطور حركة أبرز ائتلاف ثوري ظهر خلال أحداث ثورة الخامس والعشرين من يناير، وهو «ائتلاف شباب الثورة»، الذي ظهر قبل قيام الثورة بأيام قلائل وشكل لبرهة حالة منظمة كان من الممكن التعويل عليها في قيادة المشهد الثوري، حيث مارس بشكل كبير دور قيادي في التظاهرات التي دعت لتنحي مبارك، والشهور التي تلتها، لكن هذه الحالة لم تستمر طويلًا بسبب ظروف ذاتية وموضوعية جعلت من وجوده في المجال السياسي حينها غير ذي جدوى، بعد أن انصرف أغلب أعضائه إلى مجموعات سياسية جديدة انضموا إليها، ومارسوا من خلالها نشاطهم السياسي والحزبي، وهي الأحزاب التي سيتم الحديث عنها في الفصول اللاحقة.

2- محمد أبو العينين، من أبطال الثورة إلى الأطباء إلى شباب كفر البطيخ ائتلافات بدون أصوات، جريدة الأهرام المسائي، العدد 7413، السنة 21، (14/ 8/ 2011)، تاريخ زيارة الرابط 1 / 12/ 2018 : http://massai.ahram.org.eg/archive/Inner.aspx?ContentID=38137&typeid=1&issueid=693

أولًا: بداية التأسيس

في السادس من يونيو عام 2010 سقط شاب في أواخر العشرينيات من عمره، يدعى خالد سعيد من مدينة الإسكندرية صريعًا إثر اعتداء اثنان من مخبري قسم سيدي جابر عليه، ثم بعد أن سحب جسده في عربة شرطة، تم إلقاء جثته بعدها بفترة قصيرة في قارعة الشارع بعد أن دُسَّت مخدرات في فمه وملابسه، وقد تعرض وجهه وجسده لتشويه كبير.[3] هنا أصبحت قضية خالد سعيد مثار اهتمام كبير للغاية من قبل المؤسسات الحقوقية والصحف الخاصة للتدليل على الانتهاكات التي كانت ترتكبها داخلية مبارك ضد المواطنين.

أدت صفحة كلنا خالد سعيد، التي تأسست بعد مقتله بعدة أيام، دورًا كبيرًا في الدعوة للتظاهرات التي اندلعت فيما بعد، حيث دعت الصفحة لمجموعة من الوقفات الصامتة، بملابس سوداء في المحافظات، وقد لقت الصفحة تجاوبًا كبيرًا للغاية من متابعيها، ومن نشطاء الحركات الاحتجاجية الذين اشتبكوا مع التظاهرات بدعمها، والدعوة للانضمام إليها.

كانت أول وقفة دعت إليها الحركة بالإسكندرية يوم الجمعة 18/ 6/ 2010، أي بعد مقتل خالد سعيد بأقل من أسبوعين، ونجحت نجاحًا باهرًا، إذ اشترك فيها مئات الشباب، ولأول مرة الأمهات والأسر تشترك بشكل غير متوقع، كما ضمت الوقفة شبابًا غير مسيس لم يمارس التظاهر من قبل.[4] استغلت الصفحة الأمر، خصوصًا مع تجاوب الحركات الاحتجاجية كـ6 إبريل والجمعية الوطنية للتغيير وكفاية وغيرها مع قضية خالد سعيد، ودعت لتظاهرة أمام وزارة الداخلية، تم فضها بالقوة بعد دقائق من بدايتها.[5] ثم دعت الصفحة لوقفة ثانية يوم الجمعة 25/ 6/ 2010 انضم لها البرادعي وشباب من الإخوان، انطلاقًا من مسجد سيدي جابر بالإسكندرية، وقدر عدد المشاركين فيها بنحو 5 آلاف متظاهر، بينما استمر الشباب بملابسهم السوداء في وقفتهم الصامتة على الكورنيش.[6]

ووفقًا لشهادة عبد الرحمن منصور وأحمد صالح مديرا صفحة كلنا خالد سعيد، أن الصفحة ظلت قاصرة على المجال الافتراضي، وحافظت على طابعها الإعلامي

3- شاهر عيّاد، بالفيديو والصور..خالد سعيد من ضحية تعذيب إلى مفجر ثورة القصاص من «الداخلية»، المصري اليوم، (28/ 10/ 2011)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://www.almasryalyoum.com/news/details/121627.

4- عمرو مجدي، «كلنا خالد سعيد»..شهيد يرحل وشعب يبعث، بحث في نشأة الصفحة وتطوراتها ومشاركتها في الثورة المصرية، في أحمد عبدالحميد حسين (محرر)، يوميات الثورة المصرية يناير 2011، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، بيروت، ص 24.

5

6- عمرو مجدي، «كلنا خالد سعيد»..شهيد يرحل وشعب يبعث، مصد إعادة تشريح جثة خالد سعيد بعد اتهام الأمن المصري بفتله، دويتش فيلة، (16/ 6/ 2010)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/qitQaRر سابق، ص 24.

التحريـضي، وكانــت تتلقــى دعــمًا مــن ناشــطين كثيريــن أرســلوا لهــا مــوادًا توثيقيــة مصــوّرة، إلى أن عمــد مؤسســوها للتواصــل والتنســيق مــع القــوى الشــبابية المختلفــة الأخـرى قبـل عـشرة أيـام مـن انـدلاع الثـورة تقريبًـا، وأدى محمـود سـامي (مسـؤول العمـل الجماهـيري في حركـة 6 إبريـل، وعضـو المكتـب التنفيـذي لاحقًـا في ائتـلاف شـباب الثـورة)، دور همـزة الوصـل بـين مسـؤولي الصفحـة وباقـي الحـركات، بينـما اسـتغل وائـل غنيـم مهاراتـه وخبرتـه في التسـويق الإليكـتروني لتوسـيع انتشـار الصفحـة عـلى شـبكات التواصـل الاجتماعـي.[7]

تصاعـد الحـراك الاحتجاجـي في نهايـة عـام 2010 إثـر انفجـار كنيسـة القديسـين، ومقتـل الشـاب السـلفي سـيد بـلال. وبعدهـا جـاء الحـدث الأبـرز، المحـوري والأهـم، وهـو اشـتعال الثـورة التونسـية، التـي كانـت بمثابـة شرارة كبـيرة حثَّـت عـلى التقـاء مجموعـة مـن ممثـلي الحـركات الشـبابية في منتصـف ينايـر عـام 2011، ليقـرروا أيَّ فعـل يمكـن أن يتخـذوه لتصعيـد الحـراك الاحتجاجـي وأخـذه خطـوة إلى الأمـام، واسـتغلال حـدث الثـورة التونسـية لتعبئـة الشـارع المـصري، وكان ذلـك بالتـوازي مـع الدعـوة التـي أطلقتهـا صفحـة كلنـا خالـد سـعيد عـلى موقـع الفيسـبوك للتظاهـر ضـد ممارسـات التعذيـب التـي قـام بهـا أفـراد محسـوبون عـلى الداخليـة في يـوم 25 ينايـر 2011، وهـو اليـوم الـذي يواكـب احتفـال الشرطـة بعيدهـا السـنويّ.

قبلهـا، وتحديـدًا قبـل الثـورة بشـهرين وعـلى حـد روايـة، زيـاد العليمـي، عضـو المكتـب التنفيـذي لائتـلاف شـباب الثـورة كانـت هنـاك عـدة اجتماعـات بـين ممثلـين عـن حـركات الحملـة الشـعبية لدعـم البرادعـى، وشـباب حـزب الجبهـة، وشـباب مـن أجـل العدالـة والحريـة، وحركـة 6 أبريـل، للتضامـن مـع المظاهـرات التـي انطلقـت في مجموعـة مـن المحافظـات، رفضًـا للانتهـاكات والتعذيـب التـي طالـت الشـابيّن خالـد سـعيد وسـيد بـلال قبـل مصرعهـما، كـما كانـت هنـاك اجتماعـات لهـذه الحـركات بهـدف انتخـاب الشـباب الذيـن سـيمثلون داخـل البرلمـان الشـعبي، الـذى اتفقـت القـوى السياسـية عـلى تأسيسـه، اعتراضًـا عـلى تزويـر الانتخابـات البرلمانيـة في 2010، وبعـد فـترة قصـيرة، حدثـت تفجـيرات كنيسـة القديسـين، فقـررت هـذه المجموعـة المسـاهمة في صنـع دروع بشريـة لحمايـة الكنائـس أثنـاء الاحتفـال بأعيـاد الميـلاد.[8]

وقبـل عيـد الشرطـة بأيـام، أي يـوم 25 ينايـر، نفـس المجموعـة قـررت الاسـتجابة لدعـوة صفحـة كلنـا خالـد سـعيد، والتنسـيق لمجموعـة مـن التظاهـرات بالقاهـرة، والحشـد أمـام مقـر وزارة الداخليـة المصريـة في يـوم عيـد الشرطـة 25 ينايـر 2011، وتصعيـد مطالـب

7- عزمي بشارة، ثورة مصر (ج1) من جمهورية يوليو إلى ثورة يناير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 ، بيروت، مايو 2016، ص 364.

8- زياد العليمي، أسرار الثورة «1»، المصري اليوم، (18/ 1/ 2012)، تاريخ زيارة الرابط 8/ 1/ 2019: https://www.almasryalyoum.com/news/details/213884.

الاحتجاج لدرجة المطالبة بإقالة وزير الداخلية حينها حبيب العادلي.[9]

كان التنسيق بين المجموعات الأربع وبين صفحة كلنا خالد سعيد يتم عبر أحد مديرين الصفحة، وهو أحمد صالح، وكان التنسيق يتم عبر إرسال رسائل على الـ«بي بي إم» غير المراقب وقتها، (وفقًا لرواية زياد العليمي، لكن وفقًا لرواية محمود سامي وعبدالرحمن منصور وأحمد صالح، والأخيران هما مديرا صفحة كلنا سعيد بجوار وائل غنيم، فقد كان سامي -مسئول العمل الجماهيري بحركة 6 إبريل- هو مسئول التنسيق) وكان التنسيق بالأساس يتم تحديدًا حول أماكن المظاهرات في القاهرة والمحافظات، وكان يتم الإعلان عن هذه المظاهرات والتجمعات عبر صفحة كلنا خالد سعيد. وتم الاتفاق على تحديد 20 تظاهرة فى 16 محافظة، 4 منها فى القاهرة، الأولى عند مصطفى محمود، والثانية عند ميدان لاظوغلى، والتي تم التوقع ألا يذهب إليها أحد، وعند دوران شبرا، وميدان العباسية.[10] كل هذا الترتيب كان يتم قبل أن تنتصر الثورة التونسية بهروب بن علي، ومع هروب الأخير، وانتصار الثورة التونسية حفزّ الأمل لدى هذه المجموعات، بالإضافة لمجموعات أخرى احتجاجية وسياسية للنزول ضد نظام مبارك، حيث أشعل نجاح الثورة التونسية الأمل لديهم في تحقيق أمر مماثل في مصر.

وفقًا لرواية محمود سامي، الذي شارك في تأسيس الائتلاف، وفي الاجتماعات التحضيرية لتظاهرات 25 يناير 2011، أن الاجتماع التنسيقي الأول تم يوم 15 يناير 2011، وحضره منسقون عن الحركات الأربع السابق ذكرها، بالإضافة لناشطين مستقلين، شرح لهم محمود سامي خطته، التي أسماها كرة الثلج، وتتلخص فى عدم الذهاب للتظاهر مباشرة، بل البدء بمسيرات من مناطق شعبية ذات كثافة سكانية عالية، وجذب الناس عبر الهتاف بهتافات بسيطة تتحدث عن مطالب معيشية قريبة منهم فقط. يقول سامي: «كرة الثلج تكبر تدريجيًا باستمرار خلال سيرها، وهذا ما تمنيت أن يحدث مع مسيراتنا، أن يزداد الناس مع كل خطوة نخطوها، وكل شارع نتجاوزه، وكل عمارة نمر بها، حتى نصل إلى كتلة لا يستطيع أى عدد من قوات الأمن أن يقف أمامها». شرح سامي لزملائه أن هذه الوسيلة ستقرب الناس منهم، وستكسر حاجز الخوف لديهم، لاقى هذا الكلام قبولًا عند جميع الحاضرين، خاصة أنه قد ظهر تشدد الأمن فى قمع التحركات المختلفة عن المألوف، فى مقابل التسامح النسبى مع الأنشطة المعتادة كالتظاهر عند نقابة الصحفيين. وبالفعل قام سامي لاحقًا ومعه خالد عبدالحميد، عضو حركة شباب من أجل العدالة والحرية وتيار

9- المصدر نفسه، ومقابلات ونقاشات جماعية للباحث مع أعضاء سابقين بائتلاف شباب الثورة، القاهرة، في الفترة من سبتمبر -ديسمبر 2013، وديسمبر 2015

10- زياد العليمي، المصدر السابق.

التجديد الاشتراكي، وعمرو عز، عضو حركة 6 إبريل، بالذهاب لناهيا وقياس المسافة بينها وبين مسجد مصطفى محمود على الأقدام، ليعاينوا خط السير ميدانيًا، واختاروا نقطة البدء من مسجد السنية فى ناهيا، واختبروا بأنفسهم الوقت الذى يستغرقه قطع المسافة على الأقدام من ناهيا لمصطفى محمود.[11] ووفقًا لكلام زياد العليمي كان الغرض أن «يحسبوا بدقة الوقت اللازم لتصل مظاهرة ناهيا إلى مكان التجمع فى جامعة الدول العربية، وكانت المسافة حوالى 20 دقيقة، قدروا أنها ستزيد إلى نصف ساعة، فحددوا ساعة الصفر فى ناهيا قبل 30 دقيقة من انطلاق المظاهرات فى الساعة الثانية بكل المحافظات»، لكن في رواية العليمي، الشخصان اللذان ذهبا لقياس وقت المسافة بين ناهيا ومسجد مصطفى محمود كانا خالد السيد، عضو حركة شباب من أجل العدالة والحرية، وأحمد الجوهري، عضو الحملة الشعبية لدعم البرادعي.[12]

من المهم هنا الإشارة إلى أن أكثر من حركة سياسية ومجموعة شبابية (وعدد ضخم للغاية من المستقلين وناشطي الفيسبوك وغيرهم) تعاملوا مع دعوة صفحة كلنا خالد سعيد قبل الاجتماع السابق ذكره، فعقدت مجموعات شبابية عدة اجتماعات، كل على حدة، قبل أن تتألف أنوية وتحالفات ومجموعات منظمة تجمع أغلبيتهم في خطة واحدة، وربما كان هذا أحد أسباب سوء التفاهم الذي ظهر من حين لآخر بين الثوار، حتى كاد يدب النزاع والخلاف بينهم في الميدان، ثم بين صفوفهم في المرحلة الانتقالية، إذ ظنت مجموعات شبابية أنها هي من خطط للثورة، وغيرها سرقها منها، كما ظل طول الوقت بعض المجموعات تردد بنبرة وُصفت بأنها متعالية مسألة أنهم: «هم من فجر الثورة، ومن نظمها»، وكان هذا الاختلاف على شرف البدء بالثورة قبل ضمان نجاح أهدافها من الخلافات التي وصفت بالصبيانية والتي نجح الإعلام في أن يشغل بها بعض الناشطين.[13]

في الرابع والعشرين من يناير 2011 تواصلت مجموعة من شباب لجنة الطلبة المركزية واللجنة السياسية بجماعة الإخوان بعدد من أفراد المجموعة السابقة، حيث قرروا القيام بمشاركتهم في فعالية 25 يناير بعيدًا عن قرار الجماعة بعدم المشاركة، ليكسب مجموعة الائتلاف فريقًا مهمًّا في التنسيق لتظاهرات 25 يناير.[14]

إلى حد كبير استثمر شباب الإخوان المسلمين الذين ساهموا في تأسيس ائتلاف شباب الثورة علاقاتهم السابقة مع ناشطين من الليبراليين واليساريين والقوميين وبعض المستقلين الذين عملوا معهم خلال فترة الجامعة وعبر لجان التنسيق التي

11- محمد أبو الغيط، بالصور: الشروق تنشر خرائط خطة «كرة الثلج» التي أطلقت شرارة الثورة المصرية، (24/ 1/ 2013)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=24012013&id=b3c9d405-d921-4bf5-b448-06cff3d995bc.

12- زياد العليمي، مصدر سبق ذكره.

13- عزمي بشارة، ثورة مصر (ج1) من جمهورية يوليو إلى ثورة يناير، ص 366.

14- محمد بدوي، 25 و28 يناير..الطريق إلى التحرير، في أحمد عبدالحميد حسين (محرر)، مصدر سبق ذكره، ص 37-39

تأسست في العشر سنوات الأخيرة، حيث شارك شباب الإخوان في أعمال تنسيقية مع المجموعات والحركات السياسية المختلفة مثل تنظيم حملات المقاطعة للمنتجات الأمريكية والصهيونية، والتصدي لمحاولات التطبيع مع إسرائيل، وتنظيم المؤتمرات والتظاهرات لدعم المقاومة وتأييد الانتفاضة الفلسطينية بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وتنظيم حملات وتكوين الروابط الطلابية كرابطة طلاب من أجل فلسطين للمطالبة برفع الحصار عن غزة، وتنظيم الفعاليات لرفض الاعتداءات الأمريكية المتكررة على العراق تسعينيات القرن الماضي، والغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق عامي 2001 و2003.[15]

وفي المقر المؤقت لحركة شباب من أجل العدالة والحرية بوسط البلد -وكان مقرًّا بالأساس لتيار التجديد الاشتراكي- أقيمت ثلاث ورش عمل لنشطاء بعض الحركات المشاركة في تنظيم مظاهرات اليوم التالي. كان موضوع الورشة الأول حقوقيًّا، يوضح للناشطين كيفية التعامل مع الشرطة والنيابة حال القبض عليهم، فيما كانت موضوع الورشة الثانية تقني، يعرض الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا في كيفية توثيق الأحداث والانتهاكات، وورشة تشرح كيفية التواصل مع رؤوس المجموعات في التظاهرات التي سيتم تنظيمها، وتم الاتفاق في هذه الورش على خروج عدة مسيرات، واحدة من مسجد مصطفى محمود بالمهندسين، وواحدة من مسجد الخازندار بشبرا، ومسيرة ثالثة -تم الاتفاق على أن تكون مسيرة سرية غير معلنة حال تم حصار المسيرتين الأولى والثانية- تنطلق من شارع ناهيا ببولاق الدكرور.[16]

لاحظ هنا أن أماكن التظاهرات، وفقًا لكلام محمد بدوي، أحد أعضاء حركة شباب من أجل العدالة والحرية يختلف عن كلام زياد العليمي، والأمر ربما يرجع لتغيير الأماكن الذي كان يتم طوال الوقت خوفًا من الترصد الأمني، أو اختيار أماكن مناسبة أكثر لاستقطاب تجمعات شعبية نحوها.

دخلت كل تلك المسيرات التحرير، لتقابل تظاهرات أخرى نُظّمت من قبل شباب الوفد والغد وحركة كفاية وحزب العمل وبعض المجموعات الأخرى، لتطوف لاحقًا بشارع شبرا ورمسيس، حيث رفع المتظاهرون لافتات تندد بممارسات الداخلية، وتهتف بسقوط حبيب العادلي وزير الداخلية وقتها.

شارك الائتلاف لاحقًا في الدعوة وتنظيم تظاهرات يوم 28 يناير -التي كانت أكبر بكثير من تظاهرات يوم 25 يناير- لتعبر المسيرات الحاشدة كوبري الجلاء وكوبري قصر النيل، وشارع الجيزة القادمة من مسجد الاستقامة، حيث انطلقت كل تلك

15- محمد القصاص مؤسس حزب « التيار المصري»، والمسؤول السابق لمجموعة «شباب الإخوان» في «ائتلاف شباب الثورة»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 24 / 10/ 2013

16- محمد بدوي، 25 و28 يناير.. الطريق إلى التحرير، مصدر سابق

المسيرات إلى ميدان التحرير، ونجحت في كسر الأطواق الأمنية المختلفة الموجودة في الشوارع المؤدية للميدان، لتجتمع تلك الحشود البشرية الضخمة في ميدان التحرير، وبدأت تغير من هتافاتها من المطالبة بإسقاط حبيب العادلي إلى المطالبة بإسقاط نظام مبارك بأكمله.

ثانيًا: الائتلاف بعد التنحي

في الأشـهر الأولى بعـد التنحـي كان للائتـلاف ثقـل كبـير ناتـجٌ مـن عـدم وجـود قيـادة حقيقيـة للمشـهد الثـوري، إضافـة إلى قدرتـه عـلى الحشـد مـن أجـل مطالـب مثَّلـت بدرجـة كبـير المـزاج العـام للمحتشـدين بالميـدان.

كان ثقـل الائتـلاف قادمًـا مـن الفـراغ الكبـير في المشـهد الثـوري الـذي نجـم عـن غيـاب حركـة ثوريـة كبـيرة، وكان ميـدان التحريـر وحشـوده في حاجـةٍ إلى فاعـل مـا يقـوم عـلى الأقـل بتحديـد خطواتـه القادمـة، فارتمـى المشـهد الثـوري في حِجـرِ المجموعـة الصغـيرة، وكان الحـراك الثـوري أشـبه بطوفـان ضخـم للغايـة يجـري في مجـرى واسـع، يحتـاج فقـط لمـن يوجهـه نحـو مسـار مـا.

كان للثـورة المصريـة فواعـل مختلفـون ومتنوعـون، أهمهـم كان في الأطـراف والهوامـش، ونظـرًا لأن المركـز يفـرض إرادتـه أخـذت القاهـرة وحدهـا كل الانتبـاه، وسـاعد عـلى ذلـك تمركـز التظاهـرات في ميـدان التحريـر وتحولـه لبـؤرة الثـورة، وهـو مـا أدى إلى اسـتقطاب التحريـر لـكل الأضـواء الإعلاميـة وبالتبعيـة بـروز المجموعـات الثوريـة التـي قـادت المشـهد بداخلـه.

امتـدت الثـورة جغرافيًـا مـن السـويس والإسـكندرية مـرورًا بالمنصـورة والمحلـة حتـى قلـب محافظـات الصعيـد، لكـن طيلـة أيـام الثـورة الأولى، وقبـل التنحـي تحديـدًا، ظهـر ميـدان التحريـر في المخيلـة الثوريـة الطوباويـة وكأنـه قـد اختـزل الثـورة بداخلـه، بفاعليـه المنتمـين لشريحـة الطبقـة الوسـطى والمناديـن بهتافـات تحـث عـلى إسـقاط النظـام. وعمليًـا تحولـت هـذه الهتافـات لضربـات موجعـة مؤثـرة في هيـاكل النظـام، بإضرابـات العـمال في الأيـام الأخـيرة قبـل التنحـي، تلـك التـي فرضـت إرادة الثـورة عـلى نظـام مبـارك.

يمكننـا هنـا الاسـتدلال بإضرابـات يـوم واحـد فقـط لنـدرك مـدى التأثـير الواسـع الـذي أحدثتـه الإضرابـات العماليـة والمهنيـة عـلى نظـام مبـارك قبـل التنحـي مبـاشرة، ففـي التاسـع مـن فبرايـر 2011، قبـل التنحـي بيومـين، دخل عـمال المصانـع البتروليـة في إضراب كبـير للتعبـير عـن مطالبهـم ورفضهـم لاسـتمرار المهنـدس سـامح فهمـي وزيـرًا للبـترول، وقطـع موظفـو الهـلال الأحمـر في رمسـيس الشـارع محتجـين عـلى عـدم تعيينهـم رغـم عملهـم لمُـددٍ تتجـاوز عشريـن عامًـا، وشـارك أيضًـا في الإضرابـات عـمال ورش بـولاق وورش كـوم أبـو راضي وعـمال شركـة ميـاه الـشرب والـصرف الصحـي بالقاهـرة وهيئـة

النظافـة.[17] كـما امتـدت الاحتجاجـات العماليـة إلى 15 موقعًـا في 7 محافظـات يـوم 9 فبرايـر 2011، ليرتفـع عـدد المواقـع العماليـة التـي أعلـن العـمال الاعتصـام فيهـا إلى 60 موقعًـا، مـن بينهـا 15 موقعًـا عماليًـا في السـويس، و11 موقعًـا في الإسـكندرية، و35 موقعًـا في القاهـرة، و6 مواقـع في محافظـات أخـرى. وقـدرت قيـادات عماليـة حينهـا -وفقًـا لجريـدة البديـل- عـدد المشـاركين في الاحتجاجـات بمـا يـتراوح بـين 250 ألفـا إلى 300 ألـف عامـل، وأعلـن جانـب كبـير مـن المحتجـين مسـاندتهم لثـورة الغضـب المصريـة، فيـما دارت أغلـب المطالـب بـين تحسـين الأجـور، ومحاسـبة الفاسـدين، والتثبيـت والرعايـة الطبيـة، وأعلـن العـمال والعاملـون المحتجـون تصعيـد احتجاجاتهـم حتـى تسـتجيب الحكومـة لمطالبهـم. كـما شـهدت القاهـرة توقـف خطـوط السـكك الحديديـة بسـبب إضراب أكـثر مـن 2000 عامـل، فيـما قطـع العاملـون بالتأمـين الصحـي شـارع رمسـيس، وأعلـن عـمال النقـل العـام اعتصامًـا مفتوحًـا في مقـر الشركـة بمدينـة نـصر. كـما أضرب العاملـون المؤقتـون بمستشـفي أجـا بالدقهليـة، واعتصـم مئـات العـمال بشركتـي شـويبس، والنيـل للغـزل والنسـيج بالمنوفيـة، كـما اسـتمر اعتصـام عـمال شركـة التمسـاح وعـمال المـواني بالإسـماعيلية، بينـما تظاهـر العاملـون بحـي أول وحـي ثـانٍ وهيئـة الـري والـصرف الصحـي لـصرف الحوافـز ومنحـة المولـد النبـوي. وتظاهـر عـمال بتروتريـد بالجيـزة لـصرف الأربـاح، وطالـب العاملـون في هيئـة الرقابـة عـلي الأدويـة بزيـادة الأجـور بعـد أن تجمهـروا أمـام مقـر الهيئـة بالعجـوزة، وقطـع مئـات مـن الأهـالي بأسـيوط الطريـق السريـع احتجاجًـا عـلى توقـف المخابـز، واعتصـم 200 عامـل بشركـة بـترول أسـيوط للمطالبـة بالتثبيـت، وأعلـن عـمال غـزل المحلـة الإضراب عـن العمـل للمطالبـة بحـد أدنى للأجـور 1500 جنيـه ومحاسـبة الفاسـدين.[18]

وداخـل ميـدان التحريـر والشـوارع المؤديـة إليـه والمناطـق المحيطـة بـه؛ كان واضحًـا أن هنـاك فريقـين ليـس بينهـما صراع أو تنافـس، إنمـا اسـتفاد كل منهـما مـن الآخـر، لكـن كلًّا منهـما كان يسـتخدم اسـتراتيجية مختلفـة، وتكتيـكات وشـعارات متباينـة؛ الأوَّلـون ضمـوا خليـط واسـع مـن شـباب الجامعـة، وثوريّـين مـن حـركات احتجاجيـة صغـيرة، وموظفـين في مهـن مرموقـة بالقطـاع الخـاص، وسياسـيين قدامـى، وجميعهـم -في عـز الالتحـام مـع قـوات الأمـن- يميلـون إلى التظاهـر السـلمي ويرفعـون شـعار «سـلميّة»، أمـا الآخـرون -القادمـون مـن الأحيـاء الشـعبية، وهـي الفئـات الأقـل تعليـمًا- الأكـثر عـداءً للشرطـة، فكانـوا يتبنـون تكتيـكات أكـثر عنفًـا لكـسر إرادة خصـوم الأمـس، ويرفعـون شـعارات المـوت لمـن عذبوهـم مـن قبـل في زنازيـن الأقسـام. كان للفريـق الأول تمثيلاتـه السياسـية

17- أحمد الشريف، تنحي مبارك..10 أيام من عمر «ثورة يناير»، أخبار اليوم، (11/ 2/ 2011)، شوهد في 1/ 12 / 2018 : https://goo.gl/hk7R9X

18- «ثورة العمال: احتجاجات عمالية لأكثر من 300 ألف عامل في 60 موقعا عماليا بـ 9 محافظات»، جريدة البديل، (9 / 1/ 2011)، تاريخ زيارة الرابط 1 / 5/ 2013 : goo.gl/23QvGc

والثوريـة ورمـوزه وشـهداؤه، لكـن لم يكـن للفريـق الثـاني سـوى الوصـم أو المـوت.

لقـد حظـى الائتـلاف بتأثـير سـياسي وإعلامـي كبـير كونه يمثـل رايـة لمجموعات سياسـية مهمـة، والأهميـة هنـا ليسـت في حجـم قواعدهـا الجماهيريـة، بـل في حضورهـا السـياسي والثـوري والقـوى التـي تعـبر عنهـا. فقـد ضـم ممثلـين عـن الجمعيـة الوطنيـة للتغيـير التـي كان منسـقها العـام محمـد البرادعـي، الـذي حـاز وقتهـا عـلى أهميـة كبـيرة بسـبب ثقـة أغلـب المجموعـات السياسـية بـه، فضـلًا عـن حضوره الـدولي وانتمائـه لجهـاز الدولة البيروقراطـي، وتأثـيره عـلى شـباب الثـورة لاحقًـا. كـما كان الائتـلاف يضـم ممثلـين عـن حركـة لهـا ثقـل عـلى مسـتوى الحـراك الاحتجاجـي قبـل الثـورة، وهـي حركـة 6 أبريـل، وبعـض الحـركات الشـبابية الأخـرى، الصاعـدة في ذلـك الوقـت، مثـل حركـة شـباب مـن أجـل العدالـة والحريـة. كذلـك ضـم ممثلـين عـن حـزب الجبهـة الديموقراطيـة، ولاحقًـا انضـم لـه ممثلـون عـن أحـزاب الكرامـة، والوفـد، والغـد، والتجمـع. هـذا بالإضافـة لوجـود مهـمّ ومؤثـر لشـباب الإخـوان المسـلمين، القـوة الأكـبر سياسـيًا وتنظيميًـا، ذات القـدرة الكبـيرة عـلى التعبئـة والحشـد. كان يصعـب عـلى الإخـوان وقتهـا، مـع انـدلاع الثـورة وتسـارع حركتهـا، أن يُجـاروا هـذه الاندفاعـة الواسـعة، فتصرفـوا بطريقـة تليـق بحركـة سياسـية واجتماعيـة ديناصوريـة، حيـث تبنـوا مـن ناحيـة خطابًـا سياسـيًا متحفظًا عـبر القيـادة الرسـمية في مكتـب الإرشـاد، ومـن ناحيـة أخـرى تركـوا البـاب مواربًـا للمفاوضـات مـع رجـال النظـام، ومـن ناحيـة ثالثـة تركـوا لشـبابهم المشـارك في الائتـلاف فرصـة التحـدث باسـم الجماعـة، وتمثيلهـا داخـل الكيـان الائتـلافي الأهـم. ومـن ثـم كانـت دعـوة الائتـلاف -الـذي ضـمَّ شـباب الإخـوان بداخلـه- لتظاهـرة مـا تعنـي ضمنًـا حشـد جماعـة الإخـوان المسـلمين للفعاليـات المختلفـة التـي يحشـد ويعبـئ لهـا الأول.

لقـد نجـح ائتـلاف شـباب الثـورة في الاسـتغلال السـياسي للقـوة التـي خـرج بهـا مـن الميـدان، وهـو مـا عـزَّز مـن وضعـه أمـام المجلـس العسـكري الـذي أدار الفـترة الانتقاليـة، فدخـل في تفـاوض مـع مسـؤوليه، وحقـق بعضًـا مـن مطالبـه السياسـية، أبرزهـا كان الضغـط عـلى المجلـس العسـكري لإقالـة حكومـة أحمـد شـفيق، آخـر رئيـس وزراء لمبارك.

ومـع صعـود اسـم الائتـلاف إعلاميًـا وبـروزه في واجهـة المشـهد الثـوري؛ بـدأ التهافـت عـلى الالتحـاق بمكتبـه التنفيـذي مـن قبـل قـوى ومجموعـات سياسـية لم تلتحـق بـه منـذ البدايـة، وبصـورة أقـرب للعـدوى بـدأت تظهـر في كل حـيّ وحـارة ومنطقـة وإدارة صناعيـة مـا ونقابـة، ائتلافـات في الشـهور التـي تلـت تنحـي مبـارك، كلٌّ منهـا يتحـدث باسـم الائتـلاف ونيابـة عنـه.

لاحقًـا أسـهم الائتـلاف في الدعـوة لمظاهـرات أيـام الجمـع التـي انطلقـت لعـدة أشـهر بعـد التنحـي، ودخـل في حـوارات مبكـرة مـع المجلـس العسـكري، وسـاهم في اختيـار أول

رئيس وزراء بعد شفيق، كما نجح في كسب مطلب الانتخابات الرئاسية المبكرة، ومنع تمديد الفترة الانتقالية.

كان تحرك الائتلاف مبنيًّا على البيان الذي أصدره في 6 فبراير 2011، محدّدًا فيه مطالبه الرئيسة، حيث طالب برحيل مبارك، ومحاسبة المسؤولين عن أعمال العنف ضد المتظاهرين خلال الثورة، ودعا إلى إنهاء حالة الطوارئ، وحلّ البرلمان والدستور، وعدم تسييس المؤسسة العسكرية، وإلغاء القيود كافة التي تحدُّ من حرية الرأي والتعبير. ورغم دخول الائتلاف في حوار مع المجلس العسكري خلال المرحلة الأولى من الفترة الانتقالية، لكنه طالب أيضًا بإنشاء مجلس مدني يتولى الحكم خلال ما تبقى من الفترة الانتقالية.[19]

19- «ائتلاف شباب الثورة» يجدد مطالبته برحيل مبارك ، نورا فخري ومحمد إسماعيل، اليوم السابع، الأحد 6 فبراير 2011، http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=347310#.UseORfsV98o

ثالثًا: ائتلاف شباب الثورة والمجلس العسكري

لم تكن العلاقة بين المجلس العسكري وائتلاف شباب الثورة علاقة حميمة، فالأخير كان يرفض استمرار المجلس في إدارة شؤون البلاد خلال الفترة الانتقالية، ولم يلتقِ أعضاءه بالمجلس سوى مرتين، طالبوا فيهما بمجموعة من القرارات عبر ورقتين كان قد تم إعدادهما مسبقًا مع مجموعة من الشخصيات الوطنية. تضمنت الورقة الأولى مطالب بإقالة حكومة شفيق، وإلغاء قانون الطوارئ، وحل جهاز مباحث أمن الدولة، ومطالب أخرى تتعلق بالتحول الديموقراطي.[20] وتضمنت الثانية عدة مطالب اقتصادية واجتماعية، شملت وضع خطة بجدول زمني لتنفيذ الإجراءات الخاصة بتحديد الحدَّين الأدنى والأقصى للأجور، وغيرها من مطالب جماهير العمال والفلاحين والفقراء في مصر.

تم اللقاء الأول يوم الأحد الثالث عشر من فبراير 2011، حينما طلب المجلس لقاء ثمانية من شباب التحرير، بعد تنحي مبارك مباشرة، كان أربعة من الثمانية من أعضاء المكتب التنفيذي للائتلاف، هم: محمد عباس من شباب الإخوان المسلمين، وعبدالرحمن سمير عضو الحملة الشعبية لدعم البرادعي، ومحمود سامي من شباب 6 أبريل، وخالد السيد من حركة شباب من أجل العدالة والحرية، بالإضافة إلى ثلاثة آخرين من خارج المكتب التنفيذي للائتلاف، هم: أحمد ماهر المنسق العام لحركة 6 أبريل، ووائل غنيم مدير صفحة كلنا خالد سعيد على فيسبوك، وأسماء محفوظ ناشطة سابقة في حركة 6 أبريل، وعمرو سلامة مخرج وناشط ومدون.[21]

وقد أكدت أسماء محفوظ بعد اللقاء، أنه كان للتعارف، وكان إيجابيًا، وحرص المسؤولون العسكريون على التأكيد لشباب الثورة، أن الجيش تلقى أوامر بإطلاق النار على المتظاهرين أثناء الثورة، إلا أن قيادة الجيش رفضت الأمر تمامًا، كما حاولت قيادة المجلس العسكري توصيل رسالة إلى الشباب مفادها أن الإضرابات المهنية والعمالية ستصبب ضررًا بالغًا للاقتصاد المصري، وأكدت أسماء محفوظ أن الشباب الذيت حضروا اللقاء لم يقدموا أي التزامات، أو يعقدوا أي اتفاقات مع المجلس.[22]

20- أحمد كامل البحيري، ائتلاف شباب الثورة.. الأزمة البنيوية وحتمية الحل، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، (22/ 8/ 2012)، شوهد في 30 / 11/ 2018 : http://acpss.ahram.org.eg/News/5322.aspx

21- عبدالرحمن عيّاش، النظام إذ يحتضر ويفاوض، في مجموعة مؤلفين، يوميات الثورة المصرية يناير 2011، مصدر سبق ذكره، ص 58، 59

22- المصدر نفسه

وقـد عُقِـدَّ اللقـاء الثـاني، بـين شـباب الائتـلاف وممثـلي المجلـس العسـكري، يـوم الثلاثـاء الأول مـن مـارس 2011 واسـتمر نحـو 5 سـاعات، وحـضره مـن أعضـاء المجلـس: اللـواء محسـن الفنجـري، مسـاعد وزيـر الدفـاع، واللـواء محمـود حجـازي، رئيـس جهـاز التنظيـم والتعبئـة، واللـواء سـامي ديـاب، مسـاعد رئيـس هيئـة الأركان. وشـارك فيـه عـدد كبـير مـن شـباب الائتـلاف، هـم: عبدالرحمـن سـمير، وعبدالرحمـن فـارس، وسـالي تومـا، وباسـم كامـل، وأسـماء محفـوظ، ومحمـد صـلاح الشـيخ، وإسـلام لطفـي، ومحمـد القصـاص، ومحمـد عبـاس، وشـادي الغـزالي، وزيـاد العليمـي، ونـاصر عبدالحميـد، ومحمـود سـامي، وحسـام مؤنـس، وخالـد تليمـة، وباسـم فتحـى، وأحمـد ماهـر، وإسراء عبدالفتـاح. وقـد بـدأ الاجتـماع -وفقـاً للمحـضر غـير الرسـمي الـذي دوّنـه الشـباب- بتقديـم اللـواءُ سـامي ديـاب اللـواءَ محسـن الفنجـري إلى الحاضريـن بقولـه: «هـو ملقـي البيانـات، وصاحـب التحيـة العسـكرية للشـهداء، وهـو أشـهر واحـد في مـصر»، وأكمـل مبتسـمًا: «هـو والراجـل الـلي واقـف ورا عمـر سـليمان، وقبـل أن نبـدأ كلامنـا نطلـب منكـم أن نقـرأ جميعًـا الفاتحـة عـلى أرواح شـهدائنا الأبطـال».[23]

وقد قدم الشباب الائتلاف في هذا الاجتماع رؤيتهم للمستقبل حول الانتخابات المقبلة، والثورة المضادة، ورئيس مجلس الوزراء، والاعتصامات، والاقتصاد، وغيرها من القضايا الراهنة.[24] وطالبوا بتمديد الفترة بين استفتاء مارس وأول انتخابات برلمانية، لأن فترة ستة أشهر -من وجهة نظرهم- غير كافية كي تنظم الأحزاب نفسها، وستكون نتيجتها -وفقًا لكلامهم مع ممثلي المجلس العسكري حينها- أن يفوز بها الإخوان وفلول الحزب الوطني. وطالبوا أيضًا عدد آخر من الطلبات، بينها: إلغاء المحاكمات العسكرية للمدنيين، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وعقد الانتخابات الرئاسية قبل الانتخابات البرلمانية، وإقالة رموز نظام مبارك من المؤسسات الصحفية، ومن رئاسة المحافظات، ووضع حد أقصى للأجور، وتطبيق ضرائب تصاعدية.[25]

23- المصدر نفسه

24- أحمد رجب، «المصري اليوم» تنشر تفاصيل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مع «ائتلاف الثورة»، (1/ 3/ 2011)، شوهد في 1/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/116690.

25- مقابلات ونقاشات جماعية للباحث مع أعضاء سابقين بائتلاف شباب الثورة، القاهرة، في الفترة من سبتمبر -ديسمبر 2013، وديسمبر 2015

رابعًا: مشاكل تعصف بالائتلاف تكونت مجموعة الائتلاف عبر تمثيل لشخصين من كل مجموعة سياسية، بالإضافة لعدد صغير من المستقلين ليتكون المكتب التنفيذي للائتلاف الذي صار أشبه بالمكتب السياسي الذي يدير الأمور الاستراتيجية والسياسية. كان التنسيق للتحرك في الائتلاف وبخلاف العمل الجبهوي المعتاد يتمُّ من خلال أفراد المكتب، وبفعل الأحداث المتتالية للثورة وزخمها، دون العودة لأخذ رأي الحركة والمجموعة السياسية الأم، ويتم الاكتفاء بمناقشات محدودة، أو إصدار بيان من خلال مكتب الائتلاف. مع الوقت انقطعت صلات أعضاء المكتب التنفيذي بكياناتهم فعليًّا، ليتحول المكتب في النهاية إلى جسد الائتلاف، وهو جسد محدود بلا قوة تنظيمية فعلية، مجرد مجموعة صغيرة لا تزيد عن ستة عشر شخصًا، تحوز قوتها بالدفع الذاتي للمكانة التي اكتسبتها خلال أيام الثورة. وكان أبرز نموذج لذلك العضوين طارق الخولي وعمرو عز، اللذان كانا يتحركان بانفصال تام عن حركة 6 أبريل التي يمثلونها، والتي خطت لنفسها مسارًا مغايرًا لمواقف ممثليها داخل الائتلاف، وبعد قليل أعلنت الحركة عن عدم وجود ممثلين لها بالائتلاف. حدث الأمر نفسه تقريبًا مع مجموعة شباب الإخوان، حيث أعلنت الجماعة في شهر مايو 2012 أنه لا يوجد ممثلون لها في الائتلاف.[26]

وجود المجموعة التي مثَّلت المكتب التنفيذي في بؤرة الأضواء جعلها تتمنع على ضم أعضاء جدد إلى المكتب ولجانه، وبررت الأمرَ بالتخوف من اندساس أعضاء محسوبين على النظام الذي قامت الثورة ضده، وهو ما جعل الحركات الأخرى تتهم الائتلاف بالعصبوية الشديدة. وترتب عليه ظهور ائتلافات ومجموعات أخرى، رأت أنه يحق لها مشاركة الائتلاف في قيادة المشهد الجماهيري، الذي لا يوجد له قائد حقيقي، فظهرت مجموعات موازية عديدة كلها تحاول أن تعبر عن تمثيل ما داخل الميدان والمجموعات الثورية، مثل: اتحاد شباب الثورة، ومجلس أمناء الثورة، وغيرهما.

بدا، إعلاميًا وسياسيًا، أن الائتلاف قد احتكر الحديث باسم الثورة وشبابها، وهو أمر لم يُعجب جموع الشباب الذين شاركوا في الثورة ولم يكونوا ممثلين داخل الائتلاف، وهم الذين كانت لهم اجتهادات مخالفة لاجتهادات الائتلاف على مستوى التحرك السياسي، أو العلاقة مع المجلس العسكري، أو الإخوان.

ظهرت الخلافات الداخلية في الائتلاف لأول مرة مع استفتاء مارس الشهير على التعديلات الدستورية، الذي كشف أول اختلاف سياسي داخلي في الائتلاف؛ فالتصويت

26- المصدر نفسه

بالائتلاف كان داعمًا لرفض التعديلات بأغلبية من أعضاء المكتب التنفيذي، فيما اضطر أعضاء شباب الجماعة إلى الانصياع لقرار الجماعة[27] الداعم لقبول التعديلات التي كان من شأنها التحول السريع للمسار الدستوري، وإقامة انتخابات تعجل بتمكين الجماعة من تشكيل حكومة سريعة، وتسلم السلطة من المؤسسة العسكرية بعد الفترة الانتقالية.

فعليًّا كان الائتلاف من الداخل منقسمًا إلى مجموعات حسب التوجه السياسي؛ فكانت مجموعة شباب الإخوان مع عبدالرحمن فارس المستقل بمثابة جناح، فيما كان هناك جناح لمجموعة حملة البرادعي مع حزب الجبهة مع ناصر عبدالحميد المستقل، وكانت حركتا 6 أبريل وشباب من أجل العدالة والحرية يأتيان في صف أحد الفريقين حسب المواقف الظرفية.

بعد مرور أقل من شهرين على التنحي، لم يعد الائتلاف كيانًا يعبر حتى عن أعضائه الذين يشكلون مكتبه التنفيذي، فقد انضم أعضاء من الائتلاف لأحزاب تشكلت سريعًا بعد الثورة: حيث شارك زياد العليمي، الذي كان يمثل حملة البرادعي، في تأسيس الحزب المصري الديموقراطي الاجتماعي، وانضم خالد عبدالحميد ومصطفى شوقي وخالد السيد لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، واندفع شباب الإخوان، بعد فصل أغلبهم من الجماعة، إلى تأسيس حزب جديد هو التيار المصري.

إعلان جماعة الإخوان المسلمين عن عدم وجود ممثل لها في ائتلاف شباب الثورة[28] أضعف الائتلاف قليلًا، حيث كان يعتمد على الجماعة في دعوته إلى الحشد، كما أضعف مجموعة شباب الإخوان بعد انفصالهم عن الكيان الذي كان يمثل لهم وزنًا داخله.[29] وامتد الأمر داخل باقي المجموعات الممثَّلة في المكتب التنفيذي، والتي تأثرت بغياب قرارها داخل المكتب واختزاله فقط في الشخصين الذين يمثلانها، الأمر الذي ترتب عليه حدوث تصدعات داخلها، فأعلنت لاحقًا حركة 6 أبريل عن عدم وجود ممثلين لها داخل الائتلاف، وحدث أيضًا تصدع كبير داخل حركة شباب من أجل العدالة والحرية وانفراط عقدها، ليتجمد نشاطها تقريبًا لفترة طويلة.[30]

ومن الأزمات التي عصفت بالائتلاف أيضًا، الصراع الذي حدث بين الحركة الأساسية في 6 أبريل من جهة، وعضوي الائتلاف عمرو عز وطارق الخولي من جهة أخرى، فالحركة كانت تبتعد عن مسار الائتلاف، نتيجة لسيطرة المكتب التنفيذي على

27- المصدر السابق

28- محاولات لعقد لقاء بين «بديع» وممثلي «الإخوان» السابقين في «ائتلاف الثورة»، هاني الوزيري، المصري اليوم، الأحد 29 مايو 2011، http://www.almasryalyoum.com/News/details/134876

29- حوار مع محمد عباس، ممثل شباب جماعة الإخوان في ائتلاف شباب الثورة، مصدر سبق ذكره

30- مقابلات ولقاءات نقاشية للباحث مع أعضاء سابقين بالائتلاف، مصدر سابق

القرار دون رجوع أعضائه إلى الحركة، بعدها أعلن طارق الخولي وعمرو عز تأسيس حركة جديدة حملت اسم «حركة 6 أبريل-الجبهة الديموقراطية»، وأخذ أغلب أعضاء الائتلاف جانب ممثلي حركة 6 أبريل ضد حركتهم الأمّ، الأمر الذي رفضه مجموعة شباب الإخوان، لعدم زج الائتلاف في صراع لا يخصه.[31]

ضمن الأسباب أيضًا التي أضعفت الائتلاف استنزاف عدد من أعضاء المكتب التنفيذي في الظهور الإعلامي، وهو الأمر الذي صدَّر صورة سلبية عن المجموعة لدى زملائهم من السياسيين في الحركات الثورية الأخرى، وامتد الأمر إلى داخل الائتلاف نفسه، فكان الظهور الإعلامي لأعضاء من المكتب التنفيذي على حساب أعضاء آخرين يسبب حساسية لدى البعض ممن يفضلون العمل التنفيذي.[32]

31- المصدر السابق

32- المصدر نفسه

خامسًا: الانتخابات تؤدي إلى مزيد من التفكيك

مع بدء الانتخابات التشريعية الأولى التي جاءت بعد الثورة، ومع نشوء الأحزاب السياسية الجديدة؛ فضَّل أغلب أعضاء الائتلاف النزول في قوائم أحزابهم، فيما قام شباب الإخوان مع بقية الأعضاء في الائتلاف المنتمين لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، وحزب مصر الحرية الذي كان يرأسه عمرو حمزاوي، وحزب المساواة والتنمية؛ بتأسيس قائمة انتخابية باسم «الثورة مستمرة»، وتم اعتبارها قائمة ائتلاف شباب الثورة فعليًا.

نزل أغلب أفراد الائتلاف أمام زملائهم كمنافسين، وامتد التنافس للقائمة ذاتها، فكان عبدالرحمن هريدي، عضو حزب التيار المصري ومن شباب الإخوان المنشقين، ينافس عمرو عز عضو 6 أبريل المنشق عن الحركة، وكلاهما ينتمي لائتلاف شباب الثورة، ومحسوب على قائمة الثورة مستمرة[33] على المقعد الفردي نفسه بدائرة إمبابة والدقي والمهندسين.

فيما قامت أسماء محفوظ عضوة حركة 6 أبريل السابقة، وعضوة حزب التيار المصري، المدعومة من قائمة الثورة مستمرة بمنافسة عمرو حمزاوي رئيس حزب مصر الحرية المنضوي تحت القائمة نفسها على مقعد الفردي في دائرة مصر الجديدة.[34]

حصلت قائمة الثورة مستمرة على 7 مقاعد فقط في مجلس الشعب، مقعد لصالح عمرو حمزاوي، رئيس حزب مصر الحرية، و5 مقاعد لصالح حزب التحالف الشعبي الاشتراكي، ومقعد للقائمة ككل، فيما لم ينجح أحد من حزب التيار المصري،[35] ولا من بقية شباب القائمة من حركة 6 إبريل-الجبهة الديمقراطية أو من حركة شباب من أجل العدالة والحرية.

وعمليًا لم ينجح أحد من مكتب ائتلاف شباب الثورة سوى زياد العليمي وباسم كامل ممثِّلَي مجموعة حملة البرادعي ومطالب التغيير في الائتلاف؛ نظراً لالتحاقهما بقائمة مختلفة، هي قائمة الكتلة المصرية التي كانت تمتلك حينها تمويلًا جيدًا، بسبب وجودها مع حزب المصريين الأحرار في قائمة واحدة.

بدا واضحًا أن الفاعلين الذين يمتلكون أدوات الحراك الاحتجاجي والثوري يفتقدون تمامًا لأدوات العملية الانتخابية ومؤهلاتها، وأهمها: الدعم المادي، والقدرة على تكوين تحالفات

33- منافسة نارية على مقعد ‹›آمال عثمان›› بالدقي والعجوزة ، محمد أبو ضيف، مصرس (12 /12 / 2011)، تاريخ زيارة الرابط 17/ 11/ 2013 http://www.masress.com/masrawy/4669565

34- «حمزاوي» ينفي محاولات إقناعه لتفادي منافسة «أسماء محفوظ»، محمد غريب، المصري اليوم (25 / 10/ 2011)، تاريخ زيارة الرابط 18/ 11/ 2013 : http://www.almasryalyoum.com/news/details/121189#

35- كريمة عبدالغني، اللجنة العليا تعلن النتائج النهائية لانتخابات مجلس الشعب بمراحلها الثلاث، (21/ 1/ 2012)، تاريخ زيارة الرابط 6 / 12/ 2018 : http://gate.ahram.org.eg/News/162896.aspx

قويـة، والاعتـماد عـلى قواعـد اجتماعيـة تصويتيـة، أو تضافـر بـين هـذا العامـل وذاك. لكـن هـذه المجموعـة راهَـنَـت عـلى الخيار الثوري والاسـتمرار في الميـدان، وحاولت أن تشـارك في العمليـة الانتخابيـة مـن خلال تحالف ضعيـف لا يتمتع بالدعـم المادي الـكافي أو التكوينات الاجتماعيـة التـي يمكـن أن تحقـق له النجـاح المتوقع. وقـد زاد من تلك العوامـل حالة التردد التـي هيمنـت عـلى أداء القائمـة وأعضائهـا بـين التواجـد في الميدان لدعـم مطالب الثـورة، أو اللجـوء لصناديـق الانتخابـات لدعمهـا بطريق آخـر، لكن كان للجماهـير رأي آخر.

رأى أفـراد الائتـلاف -رغـم السـلبيات السـابقة- أن تجربـة قائمـة الثـورة مسـتمرة أكملـت عـلى الخـط السـياسي الـذي كان يجـب أن يسـتمر فيـه الائتـلاف، كتيـار وطني معبر بشـكل أكـبر عـن الثـورة، ومتجـاوز لحالة الاسـتقطاب السياسـية التي كانـت موجودة طـوال الوقت بـين التيـارات الإسـلامية والعلمانيـة. كانـت القائمـة تعبـيراً برمزيتهـا ورمزية اسـمها[36] ودلالته عـلى أن الثـورة مسـتمرة وأن دخـول الانتخابات هو بمثابة اسـتخدام أداة سياسـية لاسـتكمال المسـار الثـوري، وكانت في الوقت نفسـه محاولـة أخيرة لإحياء الائتـلاف وتطوير مشروعه من كونـه كيانًـا تنسـيقيًا مرحليًا إلى كيـان ثوري متجـاوز للمرحلة وداعم لتحقيق أهـداف الثورة الأساسـية قبـل الدخـول في مرحلـة التنافس الحـزبي التقليدي.[37]

لكـن في الوقـت نفسـه كانت قائمة الثورة مسـتمرة تجربـة عَرَف من خلالها الشـباب داخل الائتـلاف حجـم وزنهم الحقيقي ورؤية الشـارع لهم، وصُدموا بعدهـا بحجم المقاعد الضئيلة جـدًّا التـي حققوهـا -7 مقاعـد فقط ليس فيها مقعـد واحد لأي من الشـباب بالقائمة-، وتأثر اسـم ائتـلاف شـباب الثـورة كثـيراً بهذه النتيجـة، وتغـيرت النظـرة في الشـارع وفي الإعلام لهم بنـاء عـلى نتائـج المسـار الانتخابي الجديـد الذي أعطـى القـوة للمجموعات الإسـلامية، وعلى رأسـها جماعـة الإخوان المسـلمين التي حصـدت الأغلبية في الانتخابـات البرلمانية.

ومـع قـدوم الانتخابـات الرئاسـية وبـدء ظهـور مرشـحين ذوي خلفيـات سياسـية مختلفـة؛ انقسـم أعضـاء الائتـلاف بالداخل حول اسـم المرشـح الذي يجـب دعمه، فاختـارت مجموعة شـباب الإخـوان -تحـول وصفهـم لاحقًـا إلى حـزب التيـار المصري بعـد فصلهم مـن الجماعة- القيـادي الإخـواني السـابق عبدالمنعـم أبـو الفتـوح، ومعهـم ممثلـين تيـار التجديد الاشـتراكي وحركـة شـباب مـن أجـل العدالـة والحريـة، ووفقًـا لروايـة محمـد عبـاس، عضـو المكتـب التنفيـذي للائتـلاف، أن مديـرو صفحـة «الثـورة مسـتمرة» -التابعـة للائتلاف، والتـي يديرها مجموعـة مـن شـباب التيـار المـصري- قامـوا بعمـل تصويـت عـلى الصفحـة، اختيار المرشـح المطلـوب تأييـده في انتخابـات الرئاسـة، فحصـل عبدالمنعـم أبـو الفتوح عـلى 20 ألف صوت، فيـما حصـل حمديـن صباحي عـلى 4 آلاف صوت فقط.[38] وهو ما جعل قيـادات من الائتلاف

36- محمد عباس، ممثل شباب جماعة الإخوان في ائتلاف شباب الثورة، وأحد مؤسسي حزب «التيار المصري»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، القاهرة، 29 / 12/
2013

37- نقاش موسع للباحث مع مجموعة من أعضاء الائتلاف والتيار المصري، القاهرة، ديسمبر 2013

38- محمد عباس، عضو المكتب التنفيذي بإئتلاف شباب الثورة (مجموعة التيار المصري)، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

يعلنـون دعمهـم لعبدالمنعـم أبو الفتـوح.[39] إلا أن بعض أعضـاء الائتلاف، مثل طـارق الخولي، أعلـن لمواقـع صحفيـة أن الائتـلاف لم يأخـذ موقفًـا رسـميًا مـن ترشـيح ودعـم عبدالمنعم أبو الفتـوح، وأن قـرار الائتـلاف ليـس لـه علاقـة بمـا تـم الإعلان عنـه على صفحـة الائتـلاف، وأن القـرار الرسـمي مـن للائتـلاف لم يتخـذ بعد.[40]

وكان قبلهـا قـد جـرى تصويـت داخـل حـزب التيـار المـصري حـول مـن يمكـن دعمـه مـن مرشـحي الرئاسـة، فحصـل أبو الفتـوح على نسـبة 78,2% من الأصوات، وهـو نفس ما حدث في حركـة شـباب من أجل العدالـة والحرية[41] وتيار التجديد الاشـتراكي، اللذان اختارا التصويت لعبدالمنعم أبـو الفتوح.

وجـاءت الجولـة الثانيـة مـن الاسـتحقاق الرئـاسي لتكمـل سلسـلة الانقسـامات بـين أعضاء الائتـلاف حيـث قـرر غالبيـة الأعضـاء مقاطعـة الانتخابـات، فيـما قـرر أعضـاء حـزب التيـار المـصري وحركـة 6 أبريـل دعـم الرئيـس المعـزول محمد مرسي، وأسـهموا فيما بعـد في تكوين تحالـف جديـد -لم يسـتمر طويـلًا- للضغـط عـلى الإخـوان ومحمـد مـرسي لتنفيـذ مجموعة مـن الطلبـات المحـددة شريطـة دعـم الأخـير في جولـة الإعـادة مـن الانتخابـات الرئاسـية، التـي أجريـت في 2012 ضـد أحمـد شـفيق المرشـح المحسـوب على نظـام مبارك حينهـا، وهو التحالـف الـذي قـاد التفاوض مـع الإخوان فيما عـرف باتفاقية «فيرمونت» الشـهيرة قبل أيام مـن جولـة الإعـادة في الانتخابات الرئاسـية.

داخليًّـا؛ تباعـدت المسـافات بـين مجموعـات الائتـلاف، وعزمـت مجموعـة عـلى تأسـيس مجموعـة جبهويـة جديـدة لا تحتـوي على شـباب التيـار المصري وهـي الجبهـة التي مهدت لاحقًـا بشـكل فعـلي لظهـور التيار الشـعبي.[42]

الانضـواء تحـت الأحـزاب الجديـدة، والمنافسـة في الانتخابـات، كل ذلـك كان إعلانًـا نهائيًـا بتبنـي المسـار الدسـتوري، والدخـول تحـت مظلة النظام السـياسي القائم الذي يتم تأسيسـه، وتفتيـت المجموعـة بشـكل فعـلي. لم يعُـد يتـم اسـتحضار اسـم الائتـلاف إلا للاسـتدلال على تاريـخ العضـو وخبرتـه الثورية في المنافسـة الانتخابيـة، أو عند التفاوض عـلى إدارة منصب ما داخـل حزبـه الجديد.

39- محمد إمام، ائتلاف شباب الثورة يدعم رسميا أبو الفتوح، البوابة، (1/ 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/J3J9H2، انظر أيضا : قناة الصباح:ائتلاف شباب ثورة مصر يدعم أبو الفتوح، موقع يوتيوب، (1/ 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://www.youtube.com/watch?v=qNaWUoJsjWc.

40- مايكل فارس، طارق الخولي: المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة لم يدعم «أبو الفتوح» مرشحا للرئاسة، أقباط متحدون، (1 / 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/vqL7Rx

41- أحمد حمدي، حملة أبوالفتوح تعلن تلقيها دعم عدد من الأحزاب والحركات، موقع مصرس (موقع لأرشفة محتوى الصحف المصري، نقلا عن موقع جريدة الوفد)، (10/ 3/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط: 9 / 1/ 2019: https://www.masress.com/alwafd/175405.

42- المصدر نفسه

سادسًا: حل الائتلاف رسميًّا

مـع الانتخابـات البرلمانيـة وظهـور الأحـزاب الجديـدة؛ رأت مجموعـة داخـل الائتـلاف عـدم أهميـة اسـتمراره، لاسـيما وقـد انضـم أغلـب مجموعة الائتـلاف إلى هـذه الأحـزاب، وكونَّ بعضهـم مشـاريعَ حزبيـة جديـدة اعتـمادًا عـلى بـروز أسـمائهم خـلال الفـترة السـابقة.[43]

في 7 يوليـو 2012 أعلـن المكتـب التنفيـذي للائتـلاف في مؤتمـر عُقـد بسـاقية الصـاوي حـل الائتـلاف، وقـدم المشـاركون فيـه كشـف حسـاب لنشـاط الائتـلاف طـوال 17 شـهرًا، واعتـذر المكتـب التنفيـذى للشـعب المـصرى عـن الأخطـاء التـي ارتكبهـا أعضـاؤه مـن تخويـن ومزايـدة، مؤكـدًا أن الائتـلاف أخطـأ في احتـكار الحديـث إعلاميًّـا باسـم الثـورة، واعـترف الائتـلاف بوقوعـه في أخطـاء كثـيرة، أبرزهـا رفضـه التحالـف مـع القـوى الشـبابية الأخـرى، خوفًـا مـن الاخـتراق والتـشرذم، لكنـه دفـع ثمـن ذلـك بعـد حـدوث فجـوة بـين القـوى الثوريـة والائتـلاف.[44]

43- المصدر نفسه

44- حل «ائتلاف شباب الثورة» رسميًّا.. والأعضاء يرفعون شعار: «إحنا آسفين يا شعب»، أحمد غنيم، المصري اليوم، (7 / 7/ 2012)، شوهد في 12 /12 / 2013 http://www.elwatannews.com/news/details/24651

مراجع الفصل الثاني

أولا. كتب

- أحمد عبدالحميد حسين « محرر»، يوميات الثورة المصرية يناير 2011، الدار العربية للعلوم «ناشرون»، بيروت، 2012.
- عزمي بشارة، ثورة مصر (ج1) من جمهورية يوليو إلى ثورة يناير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 ، بيروت، مايو 2016.

ثانيا. دراسات

- أحمد كامل البحيري، ائتلاف شباب الثورة.. الأزمة البنيوية وحتمية الحل، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، «22/ 8/ 2012»، شوهد في 30 / 11/ 2018 : //:http acpss.ahram.org.eg/News/5322.aspx

ثالثا. صحف ومواقع

- أحمد الشريف، تنحي مبارك..10 أيام من عمر «ثورة يناير»، أخبار اليوم، « 11/ 2/ 2011»، شوهد في 1/ 12 / 2018 : hk7R9X/gl.goo//:https
- أحمد رجب، «المصري اليوم» تنشر تفاصيل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مع «ائتلاف الثورة»، « 1/ 3/ 2011»، شوهد في 1/ 12/ 2018: www//:https. 116690/details/news/com.almasryalyoum.
- أحمد حمدي، حملة أبوالفتوح تعلن تلقيها دعم عدد من الأحزاب والحركات، موقع مصرس (موقع لأرشفة محتوى الصحف المصري، نقلا عن موقع جريدة الوفد)، (10/ 3/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط: 9 / 1/ 2019: com.masress.www//:https/ 175405/alwafd.
- إعادة تشريح جثة خالد سعيد بعد اتهام الأمن المصري بفتله، دويتش فيلة، (16/ 6/ 2010)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/qitQaR
- «ائتلاف شباب الثورة» يجدد مطالبته برحيل مبارك ، نورا فخري ومحمد إسماعيل، اليوم السابع، الأحد 6 فبراير 2011، News/com.youm7.www//:http. UseORfsV98o.#347310=NewsID?asp
- «ثورة العمال: احتجاجات عمالية لأكثر من 300 ألف عامل في 60 موقعا عماليا بـ 9 محافظات»، جريدة البديل، « 9 / 1/ 2011»، تاريخ زيارة الرابط 1 / 5/ 2013 : goo. gl/23QvGc
- حل «ائتلاف شباب الثورة» رسميًّا.. والأعضاء يرفعون شعار: «إحنا آسفين يا شعب»، أحمد غنيم، المصري اليوم، السبت 7 يوليو 2012، 25 /10/ 2018: elwatannews.www//:http.

24651/details/news/com

- «حمزاوي» ينفي محاولات إقناعه لتفادي منافسة «أسماء محفوظ»، محمد غريب، المصري اليوم، « 25/ 10/ 2011»، تاريخ زيارة الرابط http://almasryalyoum.www. #121189/details/news/com.
- قناة الصباح: ائتلاف شباب ثورة مصر يدعم أبو الفتوح، موقع يوتيوب، (2012/5/1)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://www.youtube.com/watch?v=qNaWUoJs-jWc
- كريمة عبدالغني، اللجنة العليا تعلن النتائج النهائية لانتخابات مجلس الشعب بمراحلها الثلاث، « 21/ 1/ 2012»، تاريخ زيارة الرابط 6 / 12/ 2018 : http://gate.ahram.org.eg/News/162896.aspx
- محمد أبو العينين، من أبطال الثورة إلى الأطباء إلى شباب كفر البطيخ ائتلافات بدون أصوات، جريدة الأهرام المسائي، العدد 7413، السنة 21، « 14/ 8/ 2011»، تاريخ زيارة الرابط 1 / 12/ 2018 : http://massai.ahram.org.eg/archive/Inner.aspx?Conten tID=38137&typeid=1&issueid=693
- محاولات لعقد لقاء بين «بديع» وممثلي «الإخوان» السابقين في «ائتلاف الثورة»، هاني الوزيري، المصري اليوم، الأحد 29 مايو 2011، http://www.almasryalyoum.com/News/details/134876
- منافسة نارية على مقعد ‹›آمال عثمان‹› بالدقي والعجوزة ، محمد أبو ضيف، مصرس « 12 ديسمبر 2011»، تاريخ زيارة الرابط 17/ نوفمبر/ 2013 http://www.masress.com/masrawy/4669565.
- محمد إمام، ائتلاف شباب الثورة يدعم رسميا أبو الفتوح، البوابة، (1/ 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/J3J9H2
- مايكل فارس، طارق الخولي: المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة لم يدعم «أبو الفتوح» مرشحا للرئاسة، أقباط متحدون، (1 / 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 9/ 1/ 2019: https://goo.gl/vqL7Rx.
- ياسين الحاج صالح، الثورة والسياسة: والنقاش السياسي، الجمهورية، «18 / 3/ 2014»، شوهد في 6 / 12/ 2018 : https://www.aljumhuriya.net/ar/25912.

رابعا. مقابلات:

- مقابلات متنوعة للباحث مع أعضاء سابقين بائتلاف شباب الثورة وحزب التيار المصري الذي اندمج لاحقا مع حزب مصر القوية، القاهرة، في الفترة من سبتمبر -ديسمبر 2013

■ الفصل الثالث

المصري الديمقراطي الاجتماعي..

الانتقال من المركز إلى الهامش

أولًا: مجموعة المركز المصري الديمقراطي الاجتماعي

بين نهايات عام 2003 وبدايات عام 2004، قررت مجموعة أغلبها كان ينتمي لتنظيمات السبعينات اليسارية، تأسيس نواة تنظيم يسار ديمقراطي، أطلقوا على هذا التنظيم اسم المركز المصري الديمقراطي الاجتماعي، وضمت هذه المجموعة أسماء مثل: فريد زهران، وعبدالمنعم كراوية، وعمرو عبدالرحمن، ومحمد نعيم، وأحمد فوزي، وصابر بركات، وإلهامي الميرغني، وتامر الميهي، وآخرين. حدث ذلك في الفترة التي شهدت حراكًا سياسيًا إثر تصاعد الحركة الجماهيرية، التي انطلقت للتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ثم تعاظمت مع العدوان الأمريكي على العراق في 2003. بدأت مجموعة المركز في العمل من ناحية على إنتاج رؤية سياسية صلبة تعبر عن تيار يسار ديمقراطي مصري جديد، ومن ناحية أخرى على تقديم رؤية نقدية لأفكار التيار العروبي القومي، والتنظيمات اليسارية الراديكالية كالاشتراكيين الثوريين، وتحديدًا نقد الميل اللينيني المسيطر وسط تنظيمات اليسار الراديكالي، والميول القومية المهيمنة على التيار الماركسي المصري عمومًا.[1]

كانت الفكرة الرئيسية الحاكمة لنقاشات المجموعة ساعتها هي: أن ثمَّة حاجة لتأسيس تنظيم جماهيري قاعدي ديمقراطي متعدد الاتجاهات، فبدونه لن يقدر اليسار على خلق نفوذ جماهيري حقيقي، حتى لو امتلك اليساريون الاجابات الصحيحة على أسئلة الواقع. كان لديهم انزعاج من هيمنة الخطاب القومي العروبي على أفكار وتصورات التيار الماركسي المصري، الذي ظل -من وجهة نظرهم- أسيرًا لمرحلة التحرر الوطني وأفكارها ورموزها وحركاتها. بدأوا بقراءة الكتابات اليسارية القديمة، التي قدمت نقدًا شديدًا للتجربة الناصرية والتيار القومي، مثل كتابات سعد زهران -أحد القيادات الشيوعية البارزة في الأربعينات والخمسينات- الذي قدم نقدًا حادًا لمجموعات مركزية في الحركة الشيوعية، مثل حركة حدتو، وتأثرها بالأفكار القومية. وقاموا أيضًا بقراءة عدد من كتابات سمير أمين، ثم طوروا قراءة نقدية لأوراق الاشتراكيين الثوريين. وكان استنتاجهم الرئيسي هو ضرورة بناء حركة يسارية جماهيرية، وضرورة تجاوز التنظيمات الحلقية الضيقة، التي تعتمد على منطق التجنيد الفردي طويل المدى، وعدم الغرق في قضايا نظرية معقدة.[2]

1- عمرو عبدالرحمن، عضو سابق بالهيئة التحريرية لمجلة «البوصلة»، وعضو اللجنة التحضيرية في «حزب عيش وحرية»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 15 / 11/ 2018

2- المصدر نفسه.

اعتـبرت المجموعـة، عـلى سـبيل المثـال، أن القضيـة الفلسـطينية تـم اختزالُهـا تمامًـا في طابعهـا القومـي، وغـاب عـن النضـال الفلسـطيني مسـألة الديمقراطيـة، بـل أن كثـير مـن الحـكام العـرب اعتمـدوا عـلى مهمـة تحريـر فلسـطين كسـبب ضروري لتأجيـل الديمقراطيـة في بلادهـم. كان هـذا أحـد أهـم موروثـات أنظمـة التحـرر الوطنـي، ووصـل الأمـر إلى تكريـس الديكتاتوريـة، وتقديـس الزعيـم الأوحـد، حتـى بـين فصائـل المقاومـة الفلسـطينية.

في عـام 2003، في خضـم العـدوان الأمريـكي عـلى العـراق، كتـب فريـد زهـران، أحـد مؤسـسي المجموعـة، مبينًـا وجهـة نظـر المركـز المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي في الحـرب الأمريكيـة، وأهميـة تجـاوز ثنائيـة «إمـا أن تكـون مـع أمريـكا، أو مـع صـدام ومـشروع التحـرر الوطنـي»، قائـلًا: «المـشروع الوطنـي التقليـدي والقديـم كان يعطـي العـداء للاسـتعمار أولويـة مطلقـة، ويعتـبر أن مـا عـدا ذلـك أمـور ثانويـة، ومـن ثـم فقـد سـارع بعـض أنصـار هـذا التصـور إلى «التحالـف الوطنـي» في الاسـتاد[3] معلنـين الشـعار سـيئ الذكـر «لا صـوت يعلـو عـلى صـوت المعركـة» أمـا نحـن -في المركـز- فإننـا أعلنـا بوضـوح أننـا -طلائعًـا وشـعوبًا- لا يمكـن أن نواجـه الاسـتعمار ونحـن مقهـورون ومذَّلـون ومهَانـون وجوعـى، وأن مواجهـة الاسـتعمار لـن تنجـح، ولـن تتـم إلا بإصـلاح ديمقراطـي واجتماعـي وفقًـا لنزعـة إنسـانية واضحـة، وأن العـداء للاسـتعمار وفقًـا لأسـس مغايـرة لـن يجـرّ علينـا إلا الهزائـم، فضـلًا عـمّا يشـوبه مـن شـبهات عنصريـة بغيضـة، وهـذا هـو جوهـر المـشروع الوطنـي الجديـد».[4]

وقتهـا بـدأ بعـض شـباب المجموعـة في قـراءة تجربـة حـزب العـمال البرازيـلي، التـي تعرفـوا عليهـا عـبر مجلـة الحـزب الشـيوعي اللبنـاني «الطريـق»، وتحولـت بالنسـبة لهـم إلى مصـدر إلهـام الكبـير، حيـث وجـدوا فيهـا كل مـا كانـوا يبحثـون عنـه، بـدءًا مـن تحليـل طبيعـة الطبقـة العاملـة الجديـدة، واختلافهـا عـن الطبقـة العاملـة الكلاسـيكية التـي كتـب عنهـا ماركـس ولينـين، وانعـكاس ذلـك عـلى الأسـئلة المتعلقـة ببنـاء الحـزب، وبنـاء النقابـات العماليـة، وإعـادة تنظيـم النقابـات عـلى أسـس جديـدة، إلـخ، إلى جانـب إعـادة تقييـم تجربـة الاتحـاد السـوفييتي.[5]

قـررت مجموعـة المركـز تأسـيس مجلـة تعـبر عـن اليسـار الديمقراطـي، وبحيـث لا تكـون مجـرد ذراعًـا إعلاميًـا لهـم، وإنمـا تنشـأ كمنـبر واسـع مفتـوح أمـام كل توجهـات اليسـار

3- يقصد زهران مظاهرة الاستاد التي نظمها «الحزب الوطني» الحاكم في مارس 2003، بمشاركة المعارضة ورموز العمل السياسي.. انظر نصف مليون مصري في مظاهرة ينظمها الحزب الحاكم اليوم ويشارك فيها صفوت الشريف وجمال مبارك احتجاجا على ضرب العراق، الشرق الأوسط، (5/ 3/ 2003)، شوهد في 12 / 12/ 2018 : .http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8800&article=156170#
XBFqVYJR2M8

4 فريد زهران، دعوة للحوار حول مبادرة تجديد المشروع الوطني، الحوار المتمدن، (1/ 6/ 2003)، شوهد في 1/ 7/ 2018 : .http://www
.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7836

5 عمرو عبدالرحمن، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

الديمقراطـي. وبالفعـل خرجـت «البوصلـة»[6] إلى النـور في صيـف عـام 2005، وتشـكلت أول هيئـة تحريـر لهـا مـن: سـامر سـليمان، وعمـرو عبدالرحمـن، ومحمـد نعيـم، وشريف يونـس، وزيـاد العليمـي.[7]

وإلى جانـب النقـاش السـياسي، بـدأ نشـطاء المركـز في العمـل عـلى طـرح مـشروع اليسـار الديمقراطـي عـبر المسـاهمة في فعَّاليـات سياسـية متنوعـة. أهـم فعَّاليـة شـاركوا فيهـا وقتهـا كانـت تأسـيس «الحملـة الشـعبية مـن أجـل التغيـير»/ «الحريـة الآن»، وهـي حركـة جبهويـة يسـارية صرف انطلقـت في نهايـة 2004، مـع تصاعـد حركـة المطالبـة بالتغيـير. ولم تحـظ الحملـة الشـعبية بشـهرة «الحركـة المصريـة مـن أجـل التغيـير»/ «كفايـة»، فالأخـيرة كانـت تكويـن جبهـوي أوسـع، ونجحـت في قيـادة حركـة المعارضـة في الشـارع خـلال معركـة التغيـير طـوال 2005. كان شـعار «كفايـة» هـو: «لا للتمديـد.. لا للتوريـث»، بينـما أضافـت لـه «الحريـة الآن»: «لا لحكـم العسـكر»، في أول تحـدي معلـن لهيمنـة المؤسسـة العسـكرية. وقـد نـشرت البوصلـة عـلى موقعهـا عـام 2006 بوسـتر -هـو الغـلاف الخلفـي لأحـد أعدادهـا- يمـزج بـين صورتـين، واحـدة لدبابـات الجيـش عـام 1952، والثانيـة لجنـود الأمـن المركـزي عـام 2006، مكتـوب عليـه شـعار: «عـودوا إلى الثكنـات».[8]

وفي هـذا السـياق وجهـت المجموعـة نقـدًا لكفايـة، التـي قـصرت معركتهـا عـلى مسـألة التوريـث، بينـما كانـت المجموعـة تـرى أن الانتصـار في معركـة الديمقراطيـة لا يمكـن تحقيقـه دون مواجهـة جنـاح آخـر داخـل النظـام هـو المؤسسـة العسـكرية. وبالطبـع كانـت هـذه المسـألة هامشـية تمامًـا لـدى قيـادات كفايـة، ذوي الميـول الناصريـة والقوميـة في أغلبهـم، الذيـن كانـوا يريـدون إنهـاء حكـم مبـارك حتـى لـو بتدخـل الجيـش أو المخابـرات.

وقـد تفاعلـت مجموعـة المركـز المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي مـع الحركـة العماليـة عـبر خالـد عـلي وصابـر بـركات وأحمـد راغـب، مـن خـلال نشـاطهم داخـل اللجنـة التنسـيقية للحقـوق والحريـات النقابيـة. وقـد لعبـت هـذه اللجنـة دورًا هامًـا في إضراب المحلـة عـام 2006، ومـا تـلاه مـن تصاعـد في الحـركات الاجتماعيـة.

وفي عـام 2006 أيضًـا بـدأت المجموعـة التفكـير في تحويـل المركـز إلى حـزب، وفي مطلـع 2007 خـرج برنامـج يُعـبر عـن المـشروع، قـام بكتابتـه وصياغتـه: فريـد زهـران، وتامـر الميهـي، وعمـرو عبدالرحمـن، وسـامر سـليمان،[9] إلا أن المـشروع لم يتجـاوز في ذلـك الوقـت

6- موقع مجلة البوصلة التي صدرت عن أفراد أغلبهم بالأساس ينتمون لتجربة «المركز الديمقراطي الاجتماعي». https://bosla.blogspot.com

7- عمرو عبدالرحمن، مصدر سابق

8- صورة عودوا لثكناتكم بتاريخ 2006 في مجلة البوصلة، شوهد في 9 / 12/ 2018 : http://static.flickr.com/93/222320851_a421969e22.jpg

9- عمرو عبدالرحمن، مصدر سبق ذكره

حيز المحاولة.

خلال عامي 2009 و2010 حدث خمول في نشاط المجموعة، مع انحسار الحركات الاحتجاجية، وتَسرُب اليأس العام من تراجع حركة التغيير، فانسحب عدد من أعضائها، وانعزل آخرون، إلا أن البعض واصل النشاط بدأب، من بينهم أحمد فوزي -أصبح لاحقًا أمينًا عامًا للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي- وفريد زهران -أصبح لاحقًا رئيسًا للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي- وآخرين. أصيبت البوصلة أيضًا بقدر من الخمول. كان قد صدر منها عددان عام 2005، ثم صدر ثلاثة أعداد بين عامي 2006 و2009، وبعدها تحولت إلى نسخة إليكترونية من سبتمبر 2010 إلى يناير 2011.[10]

وفي عام 2010 شارك أحد أنشط عناصر المجموعة، وهو زياد العليمي، في قيادة الحملة الشعبية لدعم البرادعي، وكان له دورًا بارزًا أيضًا في تأسيس ائتلاف شباب الثورة، ولاحقًا قام بضم عدد كبير من شباب حملة البرادعي، ومجموعة من شباب الائتلاف، إلى الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي.

10- محمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة سكايب مع الباحث، 12 / 12/ 2013

ثانيًا: الثورة ونشأة الحزب فتحت الثورة مجالًا واسعًا لحرية الحركة والتنظيم بشكل كبير للغاية، وهو ما أدى إلى إطلاق مئات المبادرات لتأسيس أحزاب وحركات سياسية جديدة، فضلًا عن آلاف المبادرات المجتمعية الأخرى. قرر ساعتها المتبقون من مجموعة المركز، ومعهم شباب الحملة الشعبية لدعم البرادعي، المنخرطون في ائتلاف شباب الثورة ويمثلهم زياد العليمي، أنه قد حان الوقت لتأسيس حزب يرفع لافتة جديدة لليسار تتعامل مع السياسة بمنطق مختلف عما اعتادته المجموعات اليسارية التقليدية: يسار يسعى لأن يؤسس لنفسه وجودًا داخل قطاعات اجتماعية كبيرة؛ وقادر على المشاركة والمنافسة الجادة في المعارك الانتخابية؛ يقوم بعقد تحالفات متنوعة، ولديه لغة براجماتية تسمح له بالمناورة؛ وبشكل رئيسي يسار يسعى إلى الوصول للسلطة.[11]

إلا أن المجموعة انقسمت إلى فريقين: الأول، الأغلبية، كان يرى ضرورة تأسيس حزب سياسي كبير في مواجهة الإسلاميين -الإخوان تحديدًا- وهذا الفريق كان النواة التي قام عليها الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، بمشاركة تيارات ومجموعات أخرى، وقد ضم كل من: فريد زهران، ومجدي عبد الحميد، وأحمد فوزي، وسامر سليمان، وتامر الميهي، ومحمد نعيم، وزياد العليمي، وآخرين؛ والثاني، الأقلية، وهو الفريق الأكثر راديكالية وكان يرى أن المهمة الرئيسية هي بناء حزب يضم قوى يسار الثورة، وقطاعات من الشباب الجدد ذوي الحس الثوري الذين يميلون إلى اليسار، وهذا الفريق شارك مجموعات أخرى في تأسيس حزب التحالف الشعبي الاشتراكي، وقد ضم كل من: خالد علي، وعمرو عبد الرحمن، وآخرين.[12]

يؤكد محمد نعيم، أحد مؤسسي الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، والعضو القديم بهيئة تحرير البوصلة: «كانت فكرتنا هي تأسيس حزب جبهوي على اليسار، موقعه على اليسار بالنسبة للمشهد العام، لكنه ليس قاصرًا على اليساريين، لأن حزب التحالف الشعبى الاشتراكي كان سَمته الأساسي فعليًا أنه يعبر عن تحالف واضح وصريح لليسار، وهو ما يمثل هوية مُمَّيزة له».

انطلاقًا من ذلك كان يجب أن يعبر الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي -من وجهة نظر مؤسسيه- عن طيف واسع من كل الرافضين للهيمنة الإسلامية على

11- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلة الباحث مع عمرو عبدالرحمن، مصدر سبق ذكره، و محمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018. و محمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

12- المصدر نفسه

المجـال العـام: كتـل مـن اليسـار القديـم، مجموعـات مـن شـباب الثـورة، كتـل مـن المسـيحيين القادمـين الجـدد لعـالم السياسـة والرافضـين لتمثيـل الكنيسـة لهـم سياسـيًا، بالإضافـة إلى شرائـح مـن الطبقـة المتوسـطة العليـا (وجـوه برجوازيـة واضحـة) ونخـب مـن الأكاديميـين والمثقفـين. وبالطبـع -وهـو الأهـم- أن يسـتقطب الحـزب عنـاصر مـن نخـب عائـلات الصعيـد والأريـاف وأبنائهـم، مَـن يمتلكـون قواعـد اجتماعيـة ولهـم درايـة بالانتخابـات، وقادريـن عـلى إدارة ماكينتهـا التنظيميـة، حتـى ولـو كان بعضهـم ذو ارتباطـات سـابقة بالحـزب الوطنـي الديمقراطـي القديـم، بـشرط ألا يكونـوا متورطـين في قضايـا فسـاد مـالي أو إداري. وكان الحـزب متسـامحًا مـع ضـم الأخيريـن -عـلى الأقـل أغلبيـة الحـزب- بعكـس أغلـب الأحـزاب الأخـرى اليسـارية والليبراليـة المحسـوبة عـلى أحـزاب الثـورة.[13]

الحقيقـة صـارت هنـاك معضلـة، نشـأت بعـد الثـورة مبـاشرة، وارتبطـت بالتعامـل مـع أعضـاء الحـزب الوطنـي المنحـل، سيء السـمعة. ففـي أوج أحـداث 2011، رفضـت أغلـب الأحـزاب الجديـدة، المحسـوبة عـلى الثـورة، السـماح لأعضـاء الحـزب الوطنـي القديـم بالولـوج إلى الحيـاة السياسـية الجديـدة، فضـلًا عـن دمجهـم في تنظيماتهـم الحزبيـة. إلا أن البعـض رأى التفرقـة بـين رمـوز بارزيـن للوطنـي المنحـل معروفـين بفسـادهم ونفوذهـم داخـل نظـام مبـارك، وبـين آخريـن مـن الصـف الثـاني أو الثالـث لم يُعـرَف عنهـم الفسـاد، ورأوا بالتـالي دمـج الأخيريـن داخـل الترتيبـات السياسـية الجديـدة. لكـن عمليًـا كانـت المطالبـة بعـزل هـؤلاء أعـلى صوتًـا بكثـير مـن المطالبـة بدمجهـم، خاصـة مـع غيـاب مـشروع واضـح للمحاسـبة والعدالـة الانتقاليـة. رغـم ذلـك قامـت عـدة أحـزاب بضـم أعـداد كبـيرة مـن أعضـاء الوطنـي المنحـل، أغلبهـم أحـزاب يمينيـة كالوفـد والمصريـين الأحـرار، أمـا الحـزب الوحيـد المحسـوب عـلى الثـورة الـذي فعـل ذلـك فـكان المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي.[14]

فمنـذ اليـوم الأول لتأسيسـه حسـم المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي أمـره بصـدد التعامـل مـع هـذه المعضلـة، حيـث اسـتهدف ضـم تلـك الشرائـح إلى كيانـه التنظيمـي وقواعـده الاجتماعيـة. وكـما يؤكـد مؤسسـوه، قـرر الحـزب التعامـل بمنطقيـة وحسـابات عمليـة مـع شرائـح واسـعة مـن الوطنـي المنحـل في أرجـاء محافظـات الأقاليـم، مـن غـير المتهمـين بالفسـاد أو اسـتغلال النفـوذ. فقـد اضطـر هـؤلاء –مـن وجهـة نظـره- إلى الانتـماء للوطنـي المنحـل في عهـد مبـارك، لأنـه لم يكـن هنـاك فرصـة أمـام مـن يرغـب في المشـاركة السياسـية سـاعتها إلا بالانتـماء لأحـد التنظيمـين الكبيريـن: الوطنـي المنحـل،

13- معلومات متقاطعة تحصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع :محمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ومحمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ومحمد عرفات، الأمين العام السابق للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 16/ 1/ 2019.

14- معلومات متقاطعة من مقابلات الباحث مع محمد سالم، ومحمد نعيم، مصدر سبق ذكره.

والإخـوان. ومـن وجهـة نظـره أيضًـا، كانـت تلـك الشرائـح تملـك ميـزة مهمـة، لم تكـن متوافـرة لـدى قطاعـات واسـعة مـن شـباب الثـورة، ألا وهـي خطـة وخريطـة واضحـة لكيفيـة المشـاركة في الانتخابـات البرلمانيـة.[15]

لقـد اختـار المـصري الاجتماعـي الديمقراطـي الدخـول إلى عمـق الشـبكات الاجتماعيـة الحاكمـة في ريـف الدلتـا والصعيـد، واخـتراق الترتيبـات الاجتماعيـة هنـاك، ومناطحـة الإسـلاميين والدولـة القديمـة. فالعمـل السـياسي، حسـب تقديـر مؤسسـيه، يتطلـب مسـاومات ومواءمـات اجتماعيـة، لـو أن هنـاك نيـة جـادة حقيقيـة في بنـاء قواعـد اجتماعيـة للحـزب تمثـل انحيازاتـه، والدفـع في اتجـاه تحويـل شـكل الصراعـات القائمـة ومضمونهـا. مـن هنـا جـاء اهتمامـه بـضرورة عمـل تحالفـات واسـتقطابات وسـط الشرائـح المشـار إليهـا تحضـيرًا للمنافسـات الانتخابيـة.[16]

فـرض هـذا التوجـه عـلى الحـزب ألا يقـدم نفسـه كحـزب لليسـار الديمقراطـي، وإنمـا كحـزب يمثـل تيـار الديمقراطيـة الاجتماعيـة. فمؤسسـوه كانـوا يدركـون العـبء السـلبي للافتـات «الاشـتراكية» و«اليسـار» ومـا شـابههما، عـلى الشرائـح التي يسـتهدفها -باسـتثناء شـباب الثـورة بالطبـع- سـواء مـن نخـب الريـف التقليديـة، أو شـباب بعـض الأحـزاب الليبراليـة القديمـة، كالوفـد والغـد والجبهـة الديمقراطيـة.[17]

اسـتهدف الحـزب أيضًـا قطاعـات مـن نخـب مسـيحية جديـدة وقديمـة، رأت في الثـورة أمـلًا في حيـاة سياسـية مختلفـة تتيـح لهـم فـرص التواجـد في كيانـات مدنيـة تمثلهـم بعيـدًا عـن الكنيسـة، وتتبنـى مطالبهـم السياسـية والاجتماعيـة، كحـق بنـاء الكنائـس وإعـادة صياغـة العلاقـة بـين الكنيسـة والدولـة وحـق الطـلاق، وغـير ذلـك مـن المطالـب التـي ضفَّرهـا الحـزب بشـكل جيـد في برنامجـه السـياسي. وركـز اسـتهدافه بشـكل رئيـسي عـلى نخـب مسـيحية مـن الطبقـة الوسـطى العليـا، الذيـن يمتلكـون أعـمالًا حُـرّة، ولديهـم اهتـمام بالتواجـد أو القـرب مـن مؤسسـة سياسـية تتبنـى قضاياهـم، وتحمـي مصالحهـم. وقـد نافـس المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي في هـذا السـياق حـزبَ المصريـين الأحـرار -الـذي تأسـس في ذات التوقيـت- عـلى كسـب هـذه القطاعـات. وقـد اسـتقر الأمـر عـلى أن أصبـح المكـون المسـيحي في عضويـة الأخـير –المصريـين الأحـرار- أقـرب إلى التركيبـة التقليديـة، حيـث ضـم قطاعـات واسـعة مـن المسـيحيين المحافظـين، الذيـن يـرون في الكنيسـة المعـبر الدينـي والروحـي والسـياسي، يشـكلون كتلـة محافظـة أخافتهـا الثـورة مـن التغيـيرات السياسـية والاجتماعيـة الجديـدة، خصوصًـا مـع صعـود الإسـلاميين بتنوعاتهـم. هكـذا صـار حـزب المصريـين الأحـرار وسـيطًا مناسـبًا بين الكنيسـة

15- معلومات متقاطعة من مقابلات الباحث مع محمد سالم، ومحمد نعيم، ومحمد عرفات، مصدر سبق ذكره.

16- علي الرجال، اليسار في مصر: حدوده وآفاقه في عام 2011، جريدة السفير اللبنانية، (4/ 1/ 2019)، تاريخ الوصول للرابط 11/ 1/ 2019 : https://goo.gl/wQcW7i.

17- محمد نعيم، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سابق.

وشعبها، خصوصًا مع تراجع شعبيتها بسبب موقفها السلبي من الثورة. أما المصري الديمقراطي الاجتماعي فقد استهدف بخطابه وممارساته شرائح مختلفة وأكثر تنوعًا من المسيحيين المصريين، فلم يقصر اهتمامه مثلًا على الأغلبية الأرثوذكسية، ووضع على رأس قوائمه في الانتخابات البرلمانية عام 2012/2011 أعضاء من الإنجيليين والكاثوليك.[18]

وأصبح في صدارة الحزب بعض الرموز المسيحية من غير الأرثوذكس، مثل القس الشهير الدكتور إيهاب الخراط، الذي ينتمي إلى الكنيسة الإنجيلية، وشغل منصب نائب رئيس الحزب. وكان للخراط وكنيسته -كنيسة الدوبارة- دورًا كبيرًا في ثورة يناير، ويذكر الجميع خطبته البليغة، التي ألقاها في التحرير بعد أيام من اندلاع الثورة، وأشعل بها حماسة الميدان وهو يختمها: «من ألفين سنة، كان فيه شاب زَيُكم ثار على فساد ورياء وظلم عصره، ومات شهيد زي شهداء الثورة، الشاب ده كان المسيح عيسى ابن مريم»، لتصدح بعدها أصوات الحشود بهتافات نارية: «الله أكبر.. الله أكبر». كانت خاتمة الكلمة القصيرة ساعتها -على بساطتها- تأسيسًا لخطاب بروتستانتي فريد واستثنائي في مصر.[19]

اهتم المصري الديمقراطي الاجتماعي أيضًا باستهداف قطاعات من شباب الثورة، واعتمد في ذلك بالأساس على زياد العليمي، الذي كان وقتها عضوًا بارزًا في ائتلاف شباب الثورة، وله حضور إعلامي قوي متحدثًا عن الثورة وأفكارها. ونجح العليمي في مد الحزب بمجموعات عديدة ضمن مَن عملوا معه في حملة دعم البرادعي، وائتلاف شباب الثورة، الذين أصبحوا لاحقًا قيادات في الصف الأول بالحزب مثل محمد عرفات، ونوابًا بالبرلمان مثل باسم كامل. وكان العليمي يعتبر أن الرؤية الجماعية، التي تأسس عليها ائتلاف شباب الثورة، هي الوحيدة القادرة على تجميع كتلة مدنية ليبرالية ويسارية في مواجهة الإخوان،[20] وهي ذات الرؤية التي صارت أحد الأفكار المركزية للحزب.

رغم ذلك لم يكن الحزب حينها مُغريًا لقطاعات كبيرة من شباب الثورة، تحديدًا بسبب استهدافه لكوادر الوطني المنحل، وتحالفه مع المصريين الأحرار، أي القوى المعادية للثورة من وجهة نظرهم. هكذا اتجه ذوو النزعة اليسارية من شباب الثورة إلى الانضمام لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، الذي قدم نفسه كحزب لليسار العريض. أما الوسطيون والقادمون الجدد إلى عالم السياسة ضمنهم ففضلوا التوجه إلى الدستور، والأحزاب الشبابية الصرف، مثل العدل ومصر الحرية والتيار

18- محمد سالم، عضو المكتب السياسي للحزب، مصدر سابق

19- شادي لويس، المسيح شابًا مصريًّا ثائرا، المدن، (24 يناير 2015)، تاريخ زيارة الرابط 23 أكتوبر 2018: https://goo.gl/YDPqin.

20- هاني درويش، ائتلاف شباب الثورة.. من «ميدان التحرير» إلى تحدي بناء تحالف حزبي مدني، دويتش فيلة، (2/ 6/ 2011)، شوهد في 17 / 12/ 2018 : https://goo.gl/YXcCSg

المصري. وبالطبع امتلأت قوائم عضوية الحركات الثورية، 6 أبريل والاشتراكيين الثوريين أساسًا، بمئات المنتسبين الجدد من مختلف المحافظات. هذا غير الآلاف من شباب الثورة الذين انضووا لاحقًا في حملات الانتخابات الرئاسية لأبو الفتوح وحمدين صباحي.

هذا الوضع لم يكن غائبًا عن وعي وتقدير قيادات المصري الديمقراطي الاجتماعي، الذين رأوا أن حزبهم هو أقل الأحزاب الجديدة استقطابًا لشباب الثورة، مقارنًة بأحزاب أخرى كالدستور مثلًا، الذي حصد وقت تأسيسه أعدادًا غفيرة من شباب الثورة في أغلب المحافظات. إلا أن نقطة قوة الدستور هذه كانت هي نقطة ضعفه لاحقًا، فمع كل قرار للحزب تجاه موقف سياسي قائم على توازنات بعينها، كان جسد الدستور يرتجّ بقوة، نظرًا لعدم استيعاب كتل شبابه الغفيرة لتوازنات السياسة وتعقيداتها. وفي كل مرة كان ينفصل جزء من عضويته القاعدية أولًا بأول.

ووفقًا لتقديرات بعض قيادات المصري الديمقراطي الاجتماعي، كان هناك فريق داخل الحزب يدفع إلى استهداف نوعية مختلفة من الشباب: «ليس لديهم أزمة التطهّر الأخلاقي، مدركين أن السياسة فيها تعقيدات شديدة خارج دائرة الخير المطلق والشر المطلق، وأن هناك مساحة واسعة بينهما يمكن التحرك على أساسها، شباب لا يخشى من عقد تحالفات على الأرض مع مجموعات مختلفة أيديولوجيًا وسياسيًا، لا ينظر للمجموعات والتنظيمات الأخرى باعتبارها «أعداء»، وإنما باعتبارها مجموعات داخل سياق سياسي واحد، الاختلاف بينها سياسي وفكري بالأساس، وقد يحدث بينها اتفاق على المصالح يومًا، واختلاف على المصالح يومًا آخر».[21]

وقد انطلق الحزب في ضمه لعضويات الوطني المنحل من وجهة النظر السابقة، بحثًا عن نشيطين سياسيين، ذوي قواعد اجتماعية وخبرة في إدارة ماكينة الانتخابات. لكن تم وضع شروط لدمجهم، أهمها ألا يكونوا من كبار قيادات الوطني المنحل، وألا يكونوا متورطين في تُهم فساد، وأن يتم التركيز على استهداف هذه النوعية من العضوية داخل ريف الدلتا والصعيد، وهي المواقع التي لم تكن هناك فرصة لبناء قواعد تنظيمية للحزب بها دون الاستعانة بهم.[22] وبالطبع كان هذا التوجه يقابل، في شهور الثورة الأولى، أزمة سواء مع الشباب، أو حتى مع جمهور الشارع العادي الذي كان مُحتقنًا حينها ومتحفزًا ضد أعضاء النظام الحاكم القديم.

وبناءًا على التصور السائد وقتها داخل الحزب، فلم يكن بالضرورة من الإيجابي وجود شريحة راديكالية شابّة ضمن تكوينه، لأنها ستعمل على خلق حالة استقطاب وتوتر دائم. وبالطبع تسبَّب هذا المنحى البراجماتي مع الوقت في انسحاب

21- محمد سالم، مصدر سبق ذكره

22- محمد نعيم، محمد سالم، مصدر سبق ذكره

مجموعات من الشباب الأكثر راديكالية من الحزب. وقد أشار محمد سالم، عضو المكتب السياسي للحزب، إلى أنهم: «لقد بنينا قناعتنا التنظيمية والسياسية داخل الحزب على أن الأعضاء والكوادر الشبابية القادمين من خلفية الثورة، لابد وأن يمارسوا السياسة بطريقة مختلفة، أن يتكون لديهم فهم حقيقي للتفاوض، والحوار، ومبادئ السياسة، والإدراك لموقفنا الأيدلوجي المتماسك في قضايا الحريات والعدالة والديمقراطية، وقناعتنا بنموذج دولة الرفاه، والتي تحتاج دمقرطة كاملة للمجتمع، بداية الدمقرطة هذه هي قدرتنا داخليًا على خلق منابر سياسة داخل الحزب تدير حوارًا جماعيًا وتكتسب هذه الكوادر الشبابية خبرة التفاوض الجماعي كي تستطيع ممارستها مع المجتمع».[23]

23- محمد سالم، عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مصدر سبق ذكره

ثالثًا: وجوه محايدة بارزة لقيادة الحزب

الشريحة الأخرى التي استهدفها الحزب لأهميتها في تشكيل بنيته التنظيمية -من وجهة نظر مؤسسيه- هي التكنوقراط، وذلك لسببين رئيسيين: أولًا، لأن وجود مجموعة نخبوية لديها إلمام بملفات السياسات العامة (الصحة، والتعليم، والاقتصاد، إلخ) داخل التكوين القيادي للحزب، سيُتيح له لاحقًا مراقبة أداء الحكومة، وتقديم مرشحين عنه -مستقبلًا- لتولي وزارات مختلفة، وهو ما حدث فعليًا بعد 3 يوليو 2013 حينما تولى ثلاثة من أعضاء الحزب مناصب وزارية في الحكومة الانتقالية؛ وثانيًا، لأن مؤسسي الحزب -من السياسيين القدامى- كانوا عازفين عن تصدره خلال مرحلة النشأة على الأقل، وذلك حتى لا يتم تحميله بأعباء إرثهم السياسي، وفضلوا أن يتصدر واجهة الحزب رموز معروفة بالوجاهة الشخصية والكفاءة المهنية، كي يشكلوا عنصر جذب له.[24]

وبالفعل تم اختيار رمز سياسي شهير، وذو حيثية، ليرأس الحزب هو محمد أبو الغار، الذي لعب أدوارًا سياسية هامة خلال السنوات السابقة على الثورة. فهو من ناحية كان الرمز الرئيسي لحركة 9 مارس لاستقلال الجامعات، ومن ناحية أخرى كان أحد أهم رموز الجمعية الوطنية للتغيير، التي ترأسها محمد البرادعي، وضمت طيفًا واسعًا من السياسيِّين وممثلين عن المجتمع المدني ونقابيين وصحفيين.

وقد ساعد وجود أبو الغار على رأس الحزب في ضمِّ مزيد من التكنوقراط: كالاقتصادي حازم الببلاوي، الذي رأس الحكومة الانتقالية بعد 3 يوليو؛ وعمرو حمزاوي الذي كان قبل الثورة باحثًا بارزًا في الوسط الأكاديمي الأمريكي، وحصد شهرة كبيرة خلال الثورة؛ وزياد بهاء الدين، رئيس الهيئة العامة للاستثمار السابق؛ وميرفت التلاوي، السفيرة ووزيرة الشئون الاجتماعية السابقة. ونور فرحات المحامي وأستاذ فلسفة القانون، الحائز على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية وكبير مستشاري الأمم المتحدة السابق لحقوق الإنسان.

هذه المجموعة الكبيرة من التكنوقراط أعطت للحزب واجهة جيدة لدى شرائح الطبقة المتوسطة العليا، وهي فئة استهدف الحزب استقطابها كي تكون قاعدة مهمة له، كما مثّل اثنان منهم الحزب في المجلس الاستشاري الذي شكله المجلس العسكري، هما حنا جريس ونور فرحات.

والحقيقة أن المصري الديمقراطي الاجتماعي قد تجاوز بهذه الاختيارات نقطة

24- المصدر السابق

الضعف التي وقعت فيها أحزاب أخرى، كمصر القوية مثلًا، الذي ترأسه عبد المنعم أبو الفتوح، العضو القيادي البارز السابق في جماعة الإخوان، وهو ما حمَّل الحزب بإرثه السياسي، وتسبب في خلق معضلات أمام قدرته على جذب العضوية وبناء التحالفات.

إدارة هذا التنوع الواسع داخل المصري الديمقراطي الاجتماعي، ما بين شباب الثورة، وقيادات مجتمعية، وشرائح من الطبقة الوسطى العليا، ورجال أعمال، وتكنوقراط، إلخ، احتاجت إلى وجود مرجعية فكرية متماسكة -كما أشار بذلك عدد من قيادات الحزب خلال مقابلاتهم مع الباحث- بحيث يتم قياس كل الاشكاليات على مسطرة تلك المرجعية، التي يجب أن تحدد خط الحزب ومساره، وهي الديمقراطية الاجتماعية كمشروع، والسياسة العقلانية كممارسة.[25]

أخيرًا فما حاوله الحزب بضم قطاعات نخبوية مهمة، وقيادات شعبية تمتلك سلطة مجتمعية في دوائرها المحليّة، ورجال أعمال، وأقسام من المسيحيين، والدخول بهم جميعًا إلى خضم الصراع السياسي، والمنافسة على السلطة، لم يكن محاولة لإعادة إنتاج النظام أو بنيته الاجتماعية، وإنما كان محاولة لتطوير هذه البنية وتحسين شروط الفعل السياسي داخلها. وكان أيضًا محاولة جادة لتغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية عبر خلق إزاحات طويلة الأمد، وتحديث العملية السياسية نفسها لتقوم على الصراع البرنامجي، وتغيير إدارة الموارد وتحديثها ودفعها إلى تجاوز العصبوية والقبلية والتمترس حول الأبعاد الطائفية.

انطلقت هذه الرؤية من قراءة مؤسسيه للواقع، وتصورهم أن هناك صعوبة في طرح مشروع يساري خالص في ظل بنية اجتماعية متخلفة من زاوية أنماط الإنتاج وعلاقاته. هذا غير تقديرهم أن هناك مشكلة كبيرة في مصر تحتاج إلى الفهم، والبحث عن استراتيجية للتعامل معها، هي السيولة الطبقية وغياب شكل واضح للصراع الاجتماعي. في ظل تلك الشروط، رأى المصري الديمقراطي الاجتماعي أن دور اليسار محدود بأفق وشروط بنيوية معقدة، تجعل أهم ما يقدر على تحقيقه هو محاولة بناء مجال سياسي جديد يفتح الباب أمام قوى سياسية واجتماعية مغايرة، والعمل على تحقيق نجاحات مادية على أرض الواقع، لن تكون جامحة بالضرورة.[26]

25- معلومات متقاطعة من مقابلات الباحث مع: محمد عرفات، محمد سالم، مصدر سبق ذكره.

26- علي الرجال، مصدر سبق ذكره.

رابعًا: أفكار الحزب وهيكله التنظيمي

1. أفكار الحزب ومبادئه

يمثّل الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، تيارًا جديدًا في الفضاء السياسي المصري، يسعى إلى السير على خطى الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية في أوروبا، التي تنادي بالإصلاح التدريجي للمجتمع والحكم لتحقيق دولة الرفاه في إطار سوق رأسمالية منظّمة،[27] ويصنف الحزب نفسه كيسار وسط، ويقوم برنامجه ومشروعه على عدة مبادئ أهمها: أ) العدالة الاجتماعية، ب) الديمقراطية، ج) المواطنة، د) اقتصاد السوق الاجتماعي.

بصدد العدالة الاجتماعية لا يطالب الحزب بالاشتراكية، ولا يتحدث عنها، لكنه يشير لضرورة احتواء التوتر الاجتماعي، والعمل على تصحيح الخلل الاجتماعي بالاعتماد على بناء شبكة متكاملة للحماية الاجتماعية. تقوم على توفير: خدمات التعليم والرعاية الصحية للجميع، والاستثمار في فرص العمل للشباب، وضمان السكن الملائم ووسائل الانتقال بأسعار في متناول الشعب، وتطبيق نظام الاستهداف الذي يوجه الدعم لمستحقيه، مع استكمال تطبيق الحد الأدنى للأجور خاصة بالقطاع الخاص، وتوسيع قاعدة دافعي الضرائب.

أما المواطنة، من وجهة نظر الحزب، فتعني المساواة التامة بين المواطنين دون تردد أو استثناء، ورفض جميع صور وأنماط التمييز على أساس النوع، والدين، والسن، والعقيدة، والموطن، والوضع الاجتماعي، وغير ذلك. والعمل على وضع هذا المبدأ موضع التطبيق الفعلي، من خلال تشريعات تحقق المساواة في العمل، والحقوق الشخصية، وممارسة حرية العقيدة والفكر والعبادة. وبالطبع تعني المواطنة مساواة جميع المواطنين أمام القانون.[28]

وعلى الجانب الاقتصادي، يشير الحزب إلى أنه يتبنى «اقتصاد السوق الاجتماعي»، أي اقتصاد سوق منضبط اجتماعيًا، يسعى إلى إطلاق طاقات المجتمع الاقتصادية والبشرية معًا، عن طريق التوازن بين حماية الملكية الخاصة وتشجيع الاستثمار والإنتاج والتشغيل، وبين قيام الدولة بدور فعَّال في توفير المناخ القانوني والرقابة على الأسواق ومحاربة الإحتكار والاستثمار في البنية التحتية وفي الصناعات

27- أحمد مرسي، ماذا عن الأحزاب غير الإسلامية في مصر، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (17/ 3/ 2014)، تاريخ زيارة الرابط 11/ 1/ 2019: https://carnegie-mec.org/2014/03/17/ar-pub-55032.

28- مباديء الحزب، موقع الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، تاريخ زيارة الرابط 11/ 1/ 2019: https://goo.gl/RBVUej.

الاستراتيجية والأساسية. كما يسعى إلى استثمارًا دائمًا في التنمية البشرية، ومساندة صغار المنتجين في مختلف المجالات، وتشجيع الملكية التعاونية، مع توفير مناخ سليم للعمل ولحماية حقوق العاملين بالتوازن مع حقوق أصحاب الأعمال.[29]

2. الهيكل التنظيمي

مع بداية الدعوة تأسيس الحزب في مارس 2011، تم اختيار الدكتور محمد أبو الغار رئيسًا مؤقتًا، كما تم اختيار لجنة للتسيير، كان الغرض منها إدارة عملية التأسيس: استكمال التوكيلات للحصول على الرخصة الرسمية، وتشكيل الهياكل التنظيمية، وتأسيس أمانات المحافظات. وقد تم إجراء انتخابات بالمحافظات لاختيار أمناء لها، الذين شكلوا لاحقًا المؤتمر العام الأول للحزب بعد تأسيسه.[30]

وفي المؤتمر العام الأول أُنتخب محمد أبو الغار كأول رئيس للحزب، كما أُنتخب أمين عام وأمانة عامة، إلى جانب أمناء المحافظات الذين تم انتخابهم سابقًا. وخلال المرحلة الأولى من عمر الحزب كان المكتب السياسي يتشكل من أمناء اللجان النوعية (الإعلام، والتنظيم، والعمل الجماهيري، وغيرها) وأمناء المناطق الجغرافية. ثم حدث تعديل في اللائحة خلال المؤتمر الثاني، وأصبح يتم انتخاب المكتب السياسي مع رئيس الحزب وأمينه العام من المؤتمر مباشرة.[31]

29- المصدر نفسه.

30- محمد عرفات، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

31- المصدر نفسه.

خامسًا: الحزب والانتخابات البرلمانية عام 2012/2011

استكمل الحزب تأسيسه في شهر مايو2011، وقرر المشاركة بقوة في أول انتخابات برلمانية بعد الثورة. وقد حاول منذ البداية بناء كتلة سياسية مدنية تسمح بخلق توازن -ولو جزئي- مع الأحزاب الإسلامية الصاعدة وقتها، وتخلق في ذات الوقت لنفسها مساحة منفصلة عن القوى المؤيدة للنظام القديم. في هذا السياق دخل في حوارات ومفاوضات مع قوى عديدة، على غرار ائتلاف شباب الثورة، وأحزاب الوفد والتحالف الشعبي والكرامة، وغيرها. وقد استقر به الأمر في النهاية إلى تشكيل -وتصدر- قائمة الكتلة المصرية مع حزبي التجمع والمصريين الأحرار. وكان تفسير الحزب المعلن لتأسيسه هذه الكتلة مع أحزاب بعيدة عنه في توجهاتها، ومعروفة بعدائها للثورة، أن الهدف منها خلق توجه داعم للمدنية والديمقراطية، في مقابل الصعود الإسلامي للإخوان والأحزاب السلفية، وضمان وجود قائمة انتخابية قوية -نسبيًا- في مواجهة القوائم الإسلامية.

وعلى عكس القوى التي قررت تعليق دعايتها الانتخابية -الأحزاب والحركات المشكلة لتحالف الثورة مستمرة- بسبب أحداث محمد محمود، وسقوط أعداد غفيرة من الشهداء والمصابين وسط شباب الثورة، قرر المصري الديمقراطي الاجتماعي -بشكل براجماتي- مواصلة دعايته الانتخابية بقوة، مع إعلانه عن دعمه ومشاركته لشباب الثورة في معارك محمد محمود. واعتبر أن ذلك هو التوازن المطلوب بين دعم الثورة في الشارع من جهة، والتواجد بأقصى قوة ممكنة في المجال السياسي في مواجهة الإخوان، الذين لم يشاركوا في محمد محمود وانغمسوا بشكل كامل مع الأحزاب السلفية في التعبئة للانتخابات البرلمانية.[32]

وقد نجح الحزب في حصد 18 مقعدًا في البرلمان الجديد.[33] وضمت مجموعة نوابه، رغم صغر عددها، تشكيلة عكست التنوع الداخلي للحزب، فنجح عدد من الشباب أبرزهم عضوي ائتلاف شباب الثورة زياد العليمي وباسم كامل، وبعض التكنوقراط أهمهم زياد بهاء الدين، ومسيحيين مثل عماد جاد، وحلمي صمويل، وحنا جريس، وسيدات كالنائبة السابقة سناء السعيد، ونخبًا تقليدية مثل مجدي صابر.

وقد حاولت الهيئة البرلمانية تقسيم المهام فيما بينها وفقًا للتخصصات وخبرة

32- المصدر نفسه

33- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2011/ 2012، عمرو هاشم ربيع (محرر)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2012، ص 377

أفرادها. فترك الأعضاء العاديون مهمةَ إدارة الكتلة البرلمانية في يد المجموعة الأكثر تنظيمًا، خصوصًا فيما يتعلق بالشأن السياسي، وترك الأعضاء السياسيون إدارة ملف الخدمات بالمناطق للنواب الأكثر ارتباطًا بالجماهير. وأيضًا تم تقسيم الأدوار على المستوى السياسي: فتحمل زياد العليمي وباسم كامل مهمة الحوار والتنسيق مع شباب الثورة وائتلافاتها، وتحمل حنا جريس مهمة التنسيق مع الأحزاب داخل البرلمان وخارجه، وتحمل زياد بهاء الدين ومعه مجموعة التكنوقراط مهمة صياغة البرامج ومشاريع القوانين. وقد نجح الحزب في تقديم بعض مشاريع القوانين الهامة، ضمنها مثلًا مشروع القانون الاجتماعي للمرأة المعيلة، الذي قدمه أيمن أبو العلا.[34]

وقد قام عدد من نواب المصري الديمقراطي الاجتماعي بعمل توكيلات لدعم ترشيح خالد علي في الانتخابات الرئاسية عام 2012، وهي التوكيلات التي سمحت له باستكمال مسيرته في الترشح.

34- محمد سالم، مصدر سبق ذكره

سادسًا: الحزب والانتخابات الرئاسية عام 2012

جـاءت الانتخابـات الرئاسـية الأولى بعـد الثـورة، التـي أجريـت عـام 2012، لتشـكل حدثًـا اسـتثنائيًا. فالمجـال السـياسي الـذي ظـل مغلقًـا طيلـة عقـود انفتـح عـلى مصراعيـه مـع الثـورة، وهـو مـا سـمح بوجـود أكـثر مـن مرشـح رئـاسي في انتخابـات جـادة وحقيقيـة.

لم تَغب بالطبع فكـرة طـرح مرشـح للرئاسـة مـن الحـزب عـن بال بعـض قياداتـه وجزء كبـير مـن أعضائـه، خصوصًـا مـع تقـدم عـدد كبـير مـن المرشـحين مـن تيـارات مختلفـة. وطُرحـت بالفعـل بعـض الترشـيحات كان أبرزهـا محمـد أبـو الغـار رئيـس الحـزب، إلا أنهـم قـدروا صعوبـة الأمـر لأسـباب عديـدة، أهمهـا حجـم التمويـل المطلـوب ضخـه للدخـول في منافسـة جـادة، بينـما كانـت النتائـج –مـن وجهـة نظرهـم- شـبه محسـومة، في ظـل وجـود مرشـحين مدعومـين مـن كتـل كبـيرة منظمـة، تحديـدًا: أحمـد شـفيق، المدعـوم مـن كتـل النظـام القديـم، ومحمـد مـرسي، المدعـوم مـن الإخـوان والإسـلاميين.

الفائـدة الوحيـدة، التـي قدرهـا البعـض مـن تقديـم مرشـح عـن الحـزب، هـي تشـغيل ماكينـة الحـزب التنظيميـة في المحافظـات، والدعايـة لمشروعـه وبرنامجـه، حتـى لـو كانت خسـارته محسـومة. أصحـاب هـذا الـرأي كانـوا أقليـة، أمـا الأغلبيـة فـرأت ضرورة التعامل مـع انتخابـات الرئاسـة بشـكل أكـثر واقعيـة. فقـدرات الحـزب -في تقديرهـم- لا تسـمح لـه بتحمـل أعبـاء حملـة كاملـة لمرشـح خـاص بـه، وكان الأصـوب، مـن وجهـة نظرهـم، هـو الالتفـاف حـول مرشـح مـدني تتوافـق عليـه القـوى المدنيـة في مواجهـة المرشـح المدعـوم مـن الإخـوان.

وفعليًـا انقسـم الحـزب إلى مجموعـات يدعـم كلٌّ منهـا مرشـحًا بعينـه، فمعظـم الشـباب كانـوا يدعمـون البرادعـي قبـل أن ينسـحب لاحقًـا، وبعدهـا تـوزع دعـم أغلبهـم مـا بـين حمديـن صباحـي وأبـو الفتـوح، ومـن أعلنـوا دعمهـم للأخـير كانـت حجتهـم: «أنـه طالمـا مـن سـينجح في النهايـة إسـلامي، إذن فليتـم دعـم إسـلامي معتـدل يمكـن التفـاوض معـه».[35] وبالطبـع كانـت هنـاك مجموعـة أصغـر مـن الشـباب دعمـت ترشـح خالـد عـلي، وهـم الأميـل لليسـار. بينـما دعـم مسـيحيو الحـزب أحمـد شـفيق المحسـوب عـلى النظـام القديـم، باعتبـار أن حظوظـه كانـت أكـثر في مقابـل مرشـح الإخـوان. فيـما دعمـت النخـب التقليديـة عمـرو مـوسى، الأمـين العـام لجامعـة الـدول العربيـة ووزيـر الخارجيـة الأسـبق، وكان أبـرز داعميـه فريـد زهـران. وفي النهايـة قـرر الحـزب ألا يدعـم

35- محمد نعيم ومحمد سالم، مقابلات مع الباحث، مصدر سبق ذكره

مرشح واحد بعينه، وترك الحرية لأعضائه ليدعم كلٌ منهم مرشحه المفضل. حتى صار مقر الحزب أثناء انتخابات الرئاسة أقرب لمعرض لافتات متنوعة، يعلو كلٌ منها شعارات مرشح رئاسي بعينه.[36]

كان هذا القرار -السماح لكل عضو بدعم المرشح الذي يفضله- محاولة للحفاظ على تماسك الحزب، بسبب الأهواء المتعارضة حول المرشح الأفضل، التي كانت تعصف في الحقيقة ساعتها بكل المجموعات السياسية. رغم ذلك خسر الحزب بسبب هذا القرار القسم الأكثر راديكالية من عضويته، تحديدًا من الشباب. وبالطبع عظَّم من هذه الخسارة لاحقًا ظهور مشروعين سياسيِّين جديدين، هما الدستور والتيار الشعبي، اللذيّن مثلا لهؤلاء الشباب كيانات أكثر تعبيرًا عن الثورة من المصري الديمقراطي الاجتماعي.[37]

36- محمد سالم، مصدر سبق ذكره.

37- المصدر نفسه.

سابعًا: الحزب وأزمة دستور 2012

شارك الحزب في اللجنة التأسيسية الأولى التي كان أغلبها من الإسلاميين -إخوان وسلفيين- والتي تم حلها قبل أن تنعقد جلساتها بحكم قضائي. وبعدها تمَّ تشكيل لجنة تأسيسية ثانية، قام محمد مرسي -رئيس الجمهورية المنتخب- بتحصينها بإعلانه الدستوري المشبوه في شهر نوفمبر 2012.[38] وقد اشتعل ساعتها الخلاف بين رئيس الجمهورية، وحكومته، والجماعة التي قامت بترشيحه -الإخوان- من جهة، وبعض جهات الدولة، أبرزها مؤسسة القضاء، وأغلب أحزاب وجماعات المعارضة من جهة أخرى. فقد اعتبرت المعارضة أن ما قام به مرسي هو استبداد بالسلطة، عن طريق تحصين القرارات الصادرة عنه. فيما اعتبرت مؤسسةُ القضاء أن إقالةَ النائب العام وتعيينَ نائب جديد، وتحصينَ اللجنة التأسيسية للدستور الثانية، هو تغول على السلطة القضائية. لقد كان إعلان مرسي الدستوري كارثة، من وجهة نظر المعارضة، لأنه سَمح باتخاذ قرارات ووضع مواد دستورية، غير قابلة للطعن عليها قضائيًا، وبالتالي سَمح للإخوان وحلفائهم بوضع دستور غير متوافق عليه.

انفجَّرت بعدها الأحداث، وتشكلت جبهة الإنقاذ التي ضمت إلى جانب المصري الديمقراطي الاجتماعي أحزاب: المصريين الأحرار، والتجمع، والكرامة، والتيار الشعبي، والوفد، والتحالف الشعبي الاشتراكي، والدستور، والجبهة، والمؤتمر، وغيرها. كما ضم التشكيل القيادي للجبهة محمد أبو الغار رئيس المصري الديمقراطي الاجتماعي، إلى جانب رموز المعارضة مثل: البرادعي، الذي انتخب منسقًا عامًا للجبهة، وحمدين صباحي، ويحيى الجمل، وعمرو حمزاوي، وأحمد البرعي، وعبد الغفار شُكر، وعبد الجليل مصطفى، ومنير فخري عبد النور، ووحيد عبد المجيد، وسامح مكرم عبيد، وحسين عبد الغني، وآخرين. كما ضم التشكيل القيادي بعض المحسوبين على نظام مبارك، أهمهم عمرو موسى، وسامح عاشور.[39]

دب خلاف واسع داخل الجبهة حول مسألة الاستفتاء على الدستور، الذي وضعته اللجنة التأسيسية الثانية. فقد أعلنت الجبهة أولًا على لسان سامح عاشور رفضها الكامل للاستفتاء، ودعت المصريين إلى التظاهر ضده. لكن بعدها قدم المرشح

38- هشام المياني، «بوابة الأهرام» تنشر النص الكامل للقرارات...مرسي يحصن قراراته بإعلان دستوري ويمنع حل التأسيسية والشورى، الأهرام، (2012/ 11/22) تاريخ الاطلاع 28 /2018/10 : http://gate.ahram.org.eg/News/275479.aspx

39- سمير السيد، عاجل.. البرادعي وموسى وصباحي يعلنون إنشاء جبهة إنقاذ وطني لإدارة المرحلة الحالية سياسيًا وشعبيًا، الأهرام، (24 / 11/ 2012)، شوهد في 10/ 12/ 2018 : http://gate.ahram.org.eg/News/276204.aspx

الرئـاسي السـابق عمـرو مـوسى طرحًـا مغايـرًا بالمطالبـة بتأجيـل الاسـتفتاء شـهرين، ثـم اتخـذت الجبهـة موقفًـا جديـدًا بإعـلان مشـاركتها في الاسـتفتاء بـشروط، ودعـت المصريين إلى التصويـت برفـض مـشروع الدسـتور الجديـد. بينـما أعلـن البرادعـي المنسـق العـام للجبهـة موقفًـا مختلفًـا بدعوتـه إلى إلغـاء الاسـتفتاء.[40]

عكسـت خلافـات جبهـة الإنقـاذ حالـة التنـوع السـياسي الواسـع داخلهـا. فقـد ضمـت معارضـين راديكاليـين لـكل الأنظمـة السـابقة، جنبًـا إلى جنـب مـع عنـاصر محسـوبة عـلى النظـام القديـم، وآخريـن معروفـين بولائهـم وقربهـم مـن مؤسسـات الدولـة السـيادية. هـذا غـير التنـوع الأيديولجـي الكبـير، مـا بـين أحـزاب تمثـل أقـصى اليمـين -المصريـين الأحـرار- وأحـزاب تعـبر عـن اليسـار العريـض -التحالـف الشـعبي الاشـتراكي- وكل الطيـف الواسـع بينهـما. وإذا كان ظاهريًـا قـد تـم تسـليم قيـادة الجبهـة للبرادعـي، اسـتغلالًا للزخـم الجماهـيري الـذي تمتـع بـه منـذ 2010، إلا أن وجـود هـذا الكـم مـن الرمـوز السياسـية وقـادة الأحـزاب وممثـلي القـوى النوعيـة خلـق ضغوطًـا كبـيرة أعاقـت فـرص التوحـد عـلى قـرارات مصيريـة، عـلى غـرار الموقـف مـن الاسـتفتاء عـلى الدسـتور.

وقتهـا كان هنـاك فريـق واسـع داخل المـصري الديمقراطـي الاجتماعي، على رأسـه أعضاء مـن المكتـب السـياسي، يـرى أهميـة المشـاركة في الاسـتفتاء ورفـض الدسـتور، واسـتغلال ذلـك في اختبـار قـوة الحـزب التنظيميـة، سـواء مركزيًـا، أو عـلى مسـتوى المحافظـات. وقـد رفـض هـؤلاء مقاطعـة الاسـتفتاء لأنهـا سـتؤدي إلى تمريـر الدسـتور، وتأسـيس وضـع جديـد شـديد السـوء، شـاءت المعارضـة ذلـك أم أبـت. وهـو نفـس الموقـف الـذي تبنـاه عمـرو مـوسى داخـل جبهـة الإنقـاذ. أمـا البرادعـي وحمديـن وحمـزاوي وعاشـور وغيرهـم فقـد تبنـوا موقـف أكـثر راديكاليـة، بـضرورة رفـض الاسـتفتاء ومقاطعتـه. بـل أن عاشـور، وبعـض نخـب المعارضـة القديمـة، كانـوا رافضـين حتـى لإجـراء انتخابـات برلمانيـة في ظـل حكـم مـرسي والإخـوان.[41]

وقـد عـبَّر موقـف قيـادات المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي -المشـاركة في الاسـتفتاء ورفـض الدسـتور- عـن تقديرهـم لأهميـة العمليـة السياسـية الجاريـة. فـإلى جانـب فائـدة المشـاركة -مـن وجهـة نظرهـم- في تفعيـل ماكينـة الحـزب التنظيميـة واختبارهـا، كانـوا يـرون ضرورة توسـيع المجـال السـياسي، وتحفيـز الجماهـير الواسـعة عـلى المشـاركة. مـا يسـمح بخلـق قـوة ضغـط في الشـارع تعـادل شرعيـة السـلطة القائمـة، وبالتـالي فـرض حلـول تفاوضيـة عـلى الإخـوان، وتأسـيس نظـام سـياسي جديـد، تكـون فيـه الجماهـير طـرف فاعـل ومشـارك رئيـسي، وهـو مـا قامـت الثـورة مـن أجلـه.[42]

40- خالد شمت، جبهة الإنقاذ.. تحالف المعارضة المصرية، الجزيرة نت 18-12-2012، شوهد في 28/ 2/ 2013 : https://goo.gl/j9WC4e

41- معلومات متقاطعة من مجموعات مقابلات مختلفة، محمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، وعبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف الشعبي الاشتراكي ورئيسه السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18 / 11م 2018

42- محمد سالم، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

تداعـت بعدهـا الأحـداث وصـولًا لمظاهـرات 30 يونيـو، ثـم عـزل مـرسي، وتـولي حكومـة انتقاليـة مهـام السـلطة. وقـد تبـوأ المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي سـاعتها وضعًـا سياسـيًا متميـزًا، فقـد تـولى رئاسـة الحكومـة حـازم الببـلاوي أحـد رمـوز الحـزب المهمـين، وأصبـح زيـاد بهـاء الديـن أحـد رمـوزه أيضًـا نائبًـا لرئيـس الحكومـة. كـما تـم اختيـار آخريـن مـن رمـوز الحـزب لعضويـة لجنـة الخمسـين، التـي وضعـت دسـتور 2014، هـم محمـد أبـو الغـار، رئيـس الحـزب، وهـدى الصـدة، إحـدى قياداتـه الهامـة.

لكـن مـع الوقـت دخـل الحـزب في أزمـات متعاقبـة عـلى غـرار كل أحـزاب ثـورة ينايـر، انتهـت بتراجـع حجمـه ونفـوذه وانفضـاض أغلـب الرمـوز والكتـل الرئيسـية عنـه. حيـث انفـض عنـه في البدايـة الأقسـام الأكـثر راديكاليـة، التـي اختلفـت مع مسـاره بعـد 3 يوليو. وبعدهـا انفضـت عنـه الكتـل المحافظـة ورجـال الأعـمال وشـبكات الوطنـي المنحـل في الريـف، بسـبب عـدم تماهيـه مـع الأوضـاع الجديـدة. وظلـت مواقفـه الوسـطية، وعـدم قدرتـه عـلى حسـم توجهاتـه في أمـور فارقـة، حافـزًا لابتعـاد كتـل أكـثر وأكـثر عنـه، ليدخـل بعدهـا إلى حالـة مـن الجمـود حتـى إشـعار آخـر.

مراجع الفصل الثالث

أولا. الكتب

- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2012/2011، عمرو هاشم ربيع « محرر»، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2012.

ثانيا. المواقع والصحف

أحمد مرسي، ماذا عن الأحزاب غير الإسلامية في مصر، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (17/ 3/ 2014)، تاريخ زيارة الرابط 11/ 1/ 2019: **https://carnegie-mec.org/2014/03/17/ar-pub-55032.**

خالد شمت، جبهة الإنقاذ.. تحالف المعارضة المصرية، الجزيرة نت 18-12-2012، شوهد في 28/ 2/ 2013 : **https://goo.gl/j9WC4e**

علي الرجال، اليسار في مصر: حدوده وآفاقه في عالم 2011، جريدة السفير اللبنانية، (4/ 1/ 2019)، تاريخ الوصول للرابط 11/ 1/ 2019 : **https://goo.gl/wQcW7i.**

سمير السيد، عاجل.. البرادعي وموسى وصباحي يعلنون إنشاء جبهة إنقاذ وطني لإدارة المرحلة الحالية سياسيًا وشعبيًا، الأهرام، « 24 / 11/ 2012»، شوهد في 10/ 12/ 2018 : **http://gate.ahram.org.eg/News/276204.aspx**

شادي لويس، المسيح شابًا مصريًا ثائرا، المدن، « 24 يناير 2015»، تاريخ زيارة الرابط 23 أكتوبر 2018: **https://goo.gl/YDPqin**

فريد زهران، دعوة للحوار حول مبادرة تجديد المشروع الوطني، الحوار المتمدن، « 1/ 6/ 2003»، شوهد في 1/ 7/ 2018 : **http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7836.**

هاني درويش، ائتلاف شباب الثورة.. من «ميدان التحرير» إلى تحدي بناء تحالف حزبي مدني، دويتش فيلة، « 2/ 6/ 2011»، شوهد في 17 / 12/ 2018 : **https://goo.gl/YXcCSg.**

هشام الميانى، «بوابة الأهرام» تنشر النص الكامل للقرارات.. مرسي يحصن قراراته بإعلان دستوري ويمنع حل التأسيسية والشورى، الأهرام، « 22/11/ 2012» تاريخ الإطلاع 28 /2018/10 : **http://gate.ahram.org.eg/News/275479.aspx**

ثالثا. مقابلات

- عمرو عبدالرحمن، عضو سابق بالهيئة التحريرية لمجلة «البوصلة»، وأحد مؤسسي «المركز المصري الديمقراطي الاجتماعي»، وعضو اللجنة التحضيرية بـ «حزب عيش وحرية»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 15 / 11/ 2018
- عبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف الشعبي الاشتراكي ورئيسه السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18 / 11/ 2018
- محمد سالم، عضو المكتب السياسي عن الحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018
- محمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة سكايب مع الباحث، 12 /12/ 2013.
- محمد عرفات، الأمين العام السابق للحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 6/ 1/ 2019.

■ **الفصل الرابع**

التحالف الشعبي الاشتراكي..

حزب «اليسار العريض»

أولًا: تمهيد [1] كانت الثورة المصرية التي انطلقت في الخامس والعشرين من يناير 2011 معبرة عن مفردات الأجندة اليسارية بامتياز في شعاراتها الثلاثة: عيش – حرية - عدالة اجتماعية، وهذا لا يعني أن القطاعات الشعبية الجارفة التي اندفعت في الشارع في يناير كانت مؤدلجة، بل العكس تمامًا كان القطاع الأغلب فيها غير مؤدلج. لكن المقصود أن الصراع المحتدم من قبل يناير، كان قائمًا بالأساس على وضع مرتبط بغياب العدل الاجتماعي، وتطبيق سياسات اقتصادية نيوليبرالية مجحفة، وإجهاض تام للعمل السياسي، وتغييب للحريات. المقصود أن الأزمة كانت واضحة، والجماهير متأثرة بها بشكل تام، وهو ما جعلها تلقائيًا وبشكل فطري ترفع شعارات العيش والحريّة والعدالة الاجتماعية. لذا كان من الطبيعي أن تندفع المجموعات اليسارية لهذه الجماهير التي ترفع شعارات تمثل مركز رؤيتها السياسية والفكرية، وتترجم الشعارات التي رُفعت في الثورة على المستوى البرنامجي والتنظيمي، وبحيث تقوم بتنظيم قسم من هذه الجماهير، ودفعها للإنخراط في العمل السياسي، والمنافسة الجادة على مواقع السلطة السياسية والاجتماعية. إلا أن الواقع كان أكثر دراميـة، والثورة كانت أكبر كثيرًا من الأطر اليسارية الموجودة على الساحة: فأمامنا يسار ظل يبحث عن الجماهير لمدة أكثر من ثلاثين عامًا حتى يخوض بها الثورة، فلما أتت الجماهير فوجئت بعجزه، وغيابه، وضعف أدواته!

فقد ظلت الأزمات والأمراض التي لاحقت اليسار المصري قبل الثورة حاضرةً وموجودةً حتى بعد الثورة، كانت أهم تلك الأزمات هي عدم مقدرة اليسار على خلق تنظيم جماهيري قوي وفاعل. ويكمن عجز الحركة اليسارية وعدم قدرتها على تنظيم صفوفها في أسباب موروثة وأسباب ذاتية وأخرى طارئة؛ فالذاتية مرتبطة ببنيةِ الحركة اليسارية وشكلِ خطابها السياسي، والطارئة تتصلُ بتعاملها مع الوضع السياسي بعد 25 يناير ونمط تحالفاتها، والأسباب الموروثة مرتبطة بوضعها التاريخي والإشكاليات التي عانت منها الحركة اليسارية منذ نشأتها وتأثير ذلك على حركتها في الشارع.

1- نشر الجزء الأكبر من هذه المقدمة في ورقة تحت عنوان « اليسار المصري: إشكاليات البديل الديمقراطي»، في مجلة الديمقراطية، العدد 57، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، يناير 2015.

1. تقسيمات اليسار الأساسية

هناك ثلاثة أقسام رئيسية شكلت ساحة اليسار عشية ثورة يناير.

القسم الأول، اليسار التقليدي، سنجد جذوره الأساسية في تيارات سياسية- فكرية؛ إمّا انتمت في أغلبها إلى الدولة الناصرية، وإمّا إلى التيار الستاليني في الحركة الشيوعية المصرية، وإمّا إلى تنظيمات السبعينيات الناقدة للحزب الشيوعي، ورغم الخلافات التاريخية بين هذه التيارات الثلاثة فإن أغلبهم تقاربوا على رؤية وطنية أخذت في مجرى التسعينيات ملامح تنويرية واضحة، وعندما اندلعت الثورة وجدت جناحًا رئيسيًّا من اليسار التقليدي، صغير الحجم تُهيمن عليه بضعة تكوينات وطنية تنويرية (مختلفة فيما بينها)، وهي تكوينات قديمة شبه ميتة، تكرر رطانة ولا تملك أي حداثة فكرية، وتحمل رؤية سياسية مضمونها إصلاحي وطني تنويري، أقرب إلى يسار الليبرالية ليس أكثر.[2]

القسم الثاني، اليسار الراديكالي الجديد، هو جناح آخر أحدث في تاريخ نشأته، وأكثر ديناميكية في تحركه، وقدرته على التأثير على الشباب، أهم تياراته: 1- تيار الاشتراكيين الثوريين، الذي ظهر في مطلع التسعينيات، وقت الأزمة العنيفة التي شهدها اليسار المصري عقب انهيار الاتحاد السوفييتي، وما سببته من إحباط واسع في أوساطه، وتبلور التيار بشكل رئيسي عبر سلسلة من حلقات النقاش التي نشأت بين الشباب اليساريين في ذلك الوقت، وقامت بعمل قراءة نقدية مكثفة للتجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، وقد لعب الاشتراكيون الثوريون دورًا بارزًا في مختلف المعارك السياسية والاقتصادية التي تفجرت مع مطلع الألفية وحتى ثورة يناير، 2- تيار اليسار الديمقراطي وهو تيار متأثر بفكر اليسار الديمقراطي العالمي، وأكبر قوة في هذا التيار هي مجموعة يسار الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، وتنتمي لنفس التيار مجموعة أكثر راديكالية (على يسار مجموعة المصري الديمقراطي الاجتماعي) بلورت نفسها في خضم الصراع الداخلي داخل حزب التحالف الشعبي، وقامت فيما بعد بتأسيس حزب العيش والحرية، وإلى جانب هذين التيارَين هناك بضعة تيارات يسارية أصغر، مثل: اليسار الأناركي وشبه الأناركي، وبعض الحركات الشبابية ذات الطابع اليساري التي تأسست في معركة التغيير،[3] وهي حركات ذات إطار سياسي واسع، لكنها تحمل برنامجًا وخطابًا سياسيًّا متأثرًا إلى حد كبير بالاحتكاك والتواصل مع المجموعات اليسارية، أو بوجود أفراد من مجموعات يسارية صغيرة في أطرها التنظيمية، مثل حركة شباب من أجل

2- تامر وجيه، عضو سابق بتيار التجديد الاشتراكي وحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 22 /12/ 2015
3- تامر وجيه، مصدر سبق ذكره، ويحيى فكري، عضو سابق بتيار التجديد الاشتراكي وحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، مقابلة شخصية، القاهرة، 13/ 3/ 2015.

العدالـة والحريـة، التـي انتهـت كحركـة فعليًّـا قبـل سـنوات؛ وجميـع هـؤلاء -تيـارات اليسـار الحـداثي غـير التقليـدي- يختلفـون كثـيرًا فيـما بينهـم، لكنهـم يسـيرون جميعًـا عـلى خـط ناقـد بشـكل حاسـم للسـلطة العسـكرية وكذلـك للإخـوان، مـع اختلافاتهـم التكتيكيـة المهمـة في هـذا الشـأن.

القسم الثالث، يسار المجتمع المدني، وهو مجموعات من جيل السبعينات والثمانينات انخرطت في النشاط الحقوقي، وشكلت جناح على يسار مؤسسات المجتمع المدني. فمع تراجع حركة اليسار في الثمانينات والتسعينات اتجهت هذه المجموعات إلى أنشطة المجتمع المدني، واهتمت بتطوير شقه الحقوقي.[4]

وكان الحقوقيون اليساريون هم أول من اتبع مسار ما سُميَّ بـ«التقاضي الاستراتيجي»، داخل ساحات العمل الحقوقي. وقد بدأ هذا المسار في التشكل على يد هشام مبارك، عبر المركز الذي أسسه (مركز المساعدة القانونية)، كآلية جديدة في العمل الحقوقي. ثم تطور وتبلور بشكل عملي على يد أحمد سيف الإسلام، الذي استكمل النضال في هذا الاتجاه. وقد لعب سيف الإسلام دورًا بارزًا في الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل ساحات المحاكم، وكان يرى أن تحريك الملفات الحقوقية، داخل مؤسسة محافظة كالقضاء، له أهمية شديدة في دعم ضغوط الجماهير ونضالاتها لانتزاع مطالبها الاقتصادية والاجتماعية.[5]

وانطلاقًا من ذلك، أصبح النضال القانوني لدسترة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية -مع الوقت- آلية مؤثرة لإجبار الدولة على الاعتراف بحقوق الفقراء والمهمشين اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا. وفعليًا تحققت مكاسب كثيرة عبر هذا المسار، بصدد عدد من القضايا الهامة المتعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، مثل: حكم المحكمة الإدارية العليا بكون الإضراب حق دستوري لجميع العمال والموظفين، وهو حكم يسمح بحرية الإضرابات العمالية وعدم تقييدها أمنيًا، أو على الأقل يمنحها الغطاء القانوني؛[6] وأيضًا الأحكام التي صدرت بإلغاء خصخصة عدد من الشركات لصالح العاملين بها، وهي القضايا التي قام فيها خالد علي بالدور الرئيسي.

وفيما يتعلق بأقسام اليسار الثلاثة المشار إليها، فيمكن القول، أن اليسار الجديد عمومًا اتسم بانقطاع التراكم التاريخي بينه وبين الأجيال السابقة عليه، لأسباب عدة: معركته الكبيرة مع اليسار الستاليني؛ غلبة الطابع الحقوقي والانساني عليه، وتراجع قراءته المادية التاريخية للواقع الاجتماعي في مصر؛ استهلاك طاقته في الحصول على تمويلات للمشاريع

4- أحمد عبدالحميد حسين، حبيبة محسن، الحركات اليسارية في مصر، في خليل كلفت (محرر)، خارطة اليسار العربي، روزا لوكسمبورج، تونس، 2014، ص 48.

5- أحمد عبدالحميد حسين، يس محمد، حراك ينخر في جدار الصمت: حالة الحراك الاجتماعي والسياسي في مصر بعد يونية 2013، منتدى البدائل العربي، القاهرة، يناير 2017، ص 20..

6- المصدر نفسه، ص 20.

الحقوقية؛ السيولة وغياب القدرات التنظيمية القوية.[7]

2. الصراع الديني - العلماني

واجهت قوى اليسار بعد تنحي مبارك مباشرة -في ظل أتون المعركة الثورية- معضلةً في تحديد أولوية الصراع الذي يجب التحرك على أرضيته؛ هل الأولوية للصراع السياسي، أم للصراع الاقتصادي والاجتماعي، أم وضع القدمين في المساحتين، ومن ثم بناء خطتين للعمل متوازيتين تميل كفة إحداهما -حسب الأولوية- على حساب الأخرى لبناء قاعدة جماهيرية معبر عنها بتنظيم ورأس حربة سياسية؟

أخيرًا حسمت غالبية قوى اليسار خيار التوجه والعمل لصالح المعركة السياسية على حساب معركة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بشكل كامل تقريبًا، فأجندة التحالفات السياسية التي اتجه اليسار مبكرًا لتكوينها أو التحالف معها، كانت مبنية على أرضية بعيدة عن الصراع الحقوقي والاقتصادي بالمرة. فبعد أيام قليلة من الإطاحة بمبارك، اختار جزء من القوى اليسارية التحالف مع أحزاب ليبرالية يمينية، والانخراط في جبهة انتخابية واحدة معها، لكبح تمدد قوى الإسلام السياسي.

ظل الاستقطاب وقتها منجذبًا على الدوام إلى أرضية الصراع الديني-العلماني، ولم تحاول معظم قوى اليسار -باستثناء بعض الأطراف- رسم خط آخر لها يدعم مسارًا مختلفًا على أرضية اقتصادية/ اجتماعية، وبلورة ذلك في برامج وعمل منظم يمكن الاقتراب به من الجماهير، وهو الأمر الذي زاد من عزلتها عن الشارع، وأفقدها القدرة على التعبير عن نفسها، سياسيًّا وتنظيميًّا. ولقد اشتدت بالطبع حالة الاستقطاب، التي هيمنت على المجال السياسي، بعد الإعلان الدستوري الذي أصدره مرسي، ودفعت الممارسات الاحتجاجية لأعلى مستوياتها. هذا الوضع أدى إلى تراجع العمل التنظيمي والدعائي لمعظم القوى السياسية، اليسارية والليبرالية، وعرقل محاولات تواصلها مع الجماهير لتطوير قدراتها الذاتية، وهو عكس ما جرى وقت الانتخابات البرلمانية في 2012/2011.

وقد مثلت ثورة يناير فرصة جيدة لقوى اليسار لبناء حزبها الواسع، القادر على دمج مجموعات يسارية من مختلف المشارب تتوافق على أجندة عريضة لبرنامج سياسي، مع احتفاظها بتنوعها واختلافاتها، حزب قادر على تحقيق ما لم يمكن إنجازه بالمجموعات الصغيرة، التي لا تملك الأدوات الكافية للضغط على السلطة، والوصول للجماهير، ولقد فشلت المحاولة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف بعد ثورة يناير، وهي التجربة التي خاضتها التيارات المؤسسة لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي،

7- علي الرجال، اليسار في مصر: حدوده وآفاقه في عام 2011، جريدة السفير اللبنانية، (4/ 1/ 2019)، تاريخ الوصول للرابط 11/ 1/ 2019 : https://goo.gl/wQcW7i.

وجـاء فشـلها لأسـباب متنوعـة؛ مـن ضمنهـا تمركـز صناعـة القـرار في يـد مجموعـة مركزيـة عـلى حسـاب المجموعـات الأخـرى، وفشـل تطبيـق نظـام المنابـر داخـل الحـزب؛ وتعاظـم حالـة البقرطـة داخـل التنظيـم، وأخـيرًا التوجهـات التـي سـادت الحـزب بعـد 3 يوليـو 2013، وقـد أدى مجمـل هـذه الأسـباب إلى انشـقاق كل المجموعـات الراديكاليـة (المنتميـة لليسـار غـير التقليـدي) داخـل الحـزب، وقيـام بعضهـا بتأسـيس حـزب العيـش والحريـة، وانخـراط البعـض الآخـر في جبهـة سياسـية واسـعة هـي جبهـة طريـق الثـورة؛ وانسـحاب آخريـن مـن كل ذلـك والدخـول في حالـة عزلـة.

تكـرر الأمـر ذاتـه داخـل سـاحة العمـل الطـلابي والعـمالي، التـي كان يمكـن بنـاء قاعـدة قويـة فيهـا بسـهولة خـلال سـنتي ثـورة ينايـر، فالثـورة قدمـت لليسـار فاعلـين جـدداً، وفرصـا كبـيرة داخـل القطاعـات العماليـة، وأصبحـت هنـاك إمكانيـة حقيقيـة لطـرح برامـج يسـارية ترفـع شـعار اسـترداد المصانـع التـي تـم خصخصتهـا في عهـد مبـارك، وبلـورة الحـراك العـمالي في نقابـات قويـة شـبيهة -في حدهـا الأدنى عـلى الأقـل- بالتجربـة التونسـية، التـي مثلـت وزنـًا في الـصراع السـياسي هنـاك،

نفـس الفـرص كانـت متاحـة لبنـاء حركـة يسـارية منظمـة وسـط طـلاب الجامعـات، وتوافـرت إمكانيـات حقيقيـة لبنـاء ظهـير طـلابي يسـاعد عـلى اسـتقلال أكـبر للجامعـة، وتكويـن مفـرخ ومحضـن لمُسَيَّسـين جـددٍ، يشـكلون روافـد شـابةً داخـل حركـة اليسـار. وبالطبـع كان البنـاء داخـل القطـاع الطـلابي أكـثر سـهولة لأسـباب عديـدة، منهـا الزخـم الـذي أحدثتـه الثـورة في أوسـاط الشـباب، وتوافـر فرصـة الاحتـكاك اليومـي مـع الطلبـة في الجامعـات، وسـهولة تقبـل الوسـط الطـلابي للخطابـات السياسـية والتعبويـة. وصحيـح أن بعـض النجـاح النسـبي قـد تحقـق في الانتخابـات الطلابيـة عـام 2013 في مواجهـة طـلاب الإخـوان، إلا أن التجربـة كلهـا دخلـت بعدهـا بوقـت قصـير في مـأزق النهايـة.

3. اليسار والموقف من الدولة

قامـت انتفاضـات الربيـع العـربي بالأسـاس ضـد مـشروع الأنظمـة الاسـتبدادية التـي صـدَّرت مسـألة الحفـاظ عـلى الدولـة عـلى حسـاب الديمقراطيـة وأي اعتبـارات أخـرى، وهـو مـشروع الدولـة البرجوازيـة التـي تأسسـت في حقـب مـا بعـد الاسـتعمار، مرتكـزةً عـلى تحالـف نخبـوي عسـكري أبوي ومسـتبد وقمعـي، تـردت تحـت حكمـه الطويـل هـذه الـدول لتتحـول إلى كيانـات فاشـلة تحكمهـا عصابـات فاسـدة، ومجتمعاتهـا ارتـدّت إلى أوضـاع مـا قبـل حداثيـة[8]، هـذه العصابـات الأمنيـة أجهضـت فعليًّـا أي مجـال سـياسي ومجتمعـي، ووصلـت بالدولـة ذاتهـا إلى حافـة الهاويـة.

8- أكرم إسماعيل، إلهام العيدروس، اليسار وأسئلة الثورة.. رؤية نقدية (الجزء الثاني)، مدى مصر، 10 نوفمبر 2013، http://goo.gl/HNCe2s

وظلت مواقف قوى اليسار من الدولة -منذ التسعينيات- خاضعة لاستقطابٍ ما بين اتجاهين يتبادلان الاتهامات دائمًا: الأول وهو القطاع الأكبر من الشباب الراديكاليين، الذين رأوا أن مجموعات اليسار القديم (التقليدي) تذيَّلت الدولة تمامًا وتماهت معها؛ والثاني من ضمن القوى التقليدية الذين رأوا أن التيار الأول «مراهق، خطابه مُعادٍ للدولة، وغير منتبه للأجندة الطائفية التي يصدرها الإسلاميون -باختلاف طوائفهم- والتي في النهاية ستعمل على إحداث حالة تشظٍّ مجتمعي وسياسي سيُودِي بالدولة».[9]

هذا السجال نفسه دار في سوريا بصورة شديدة الدرامية، حيث تبنى معظم اليسار التقليدي السوري والعربي موقفًا داعمًا لنظام بشار في ظل الحرب الأهلية، على أساس أن هناك اختيارين لا ثالث لهما؛ إمّا الوقوف بجانب النظام البعثي، وإمّا الوقوف مع الجماعات الجهادية المتطرفة المدعومة من دول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن هذا الموقف نتج عنه تساؤلان منطقيان؛ الأول: من السبب في الأزمة من البداية؟ من أعطى مساحة أكبر للإسلاميين على حساب المجموعات المدنية؟ أليس هو النظام نفسه؟ والثاني: هل حماية الدولة تحدث بتعظيم يافطة الحرب على الإرهاب، ومعه تجريف المجالين السياسي والعام كُليًّا، بفرض إجراءات وقوانين استثنائية تضرب وتعرقل حركة المجتمع ومؤسساته المعبرة عنه؟ أم أن الحرب على الإرهاب والطائفية ستكون بعدم عرقلة وجود كيانات سياسية منظمة جديدة في مساحة المنتصف، ودعم تمكين المجتمع من أدواته لمحاسبة الدولة وعدم تغولها عليه؟!

4. عقبات بناء حركة تنظيمية يسارية قوية

تعاني قوى اليسار في مصر من أمراض مزمنة تخص قدرتها على بناء تنظيماتها الجماهيرية، وتطوير حركتها في الشارع، أغلب أحزاب وتنظيمات اليسار –التقليدية والراديكالية على حد سواء- تم بناؤها بشكل مركزي من أعلى إلى أسفل، وربما نجحت في بعض الأحيان في كسب كوادر جماهيرية، عمالية، أو طلابية، أو مهنية، إلخ، لكنها لم تنجح أبدًا في ضم أقسام من الجماهير إلى صفوفها، وظلت أحزاب اليسار –بسبب سيطرة القوى التقليدية عليها- تميل إلى المركزية والبيروقراطية.

والملاحظ أن جزء لا بأس به من كوادر اليسار في مصر تنتمي إلى الإنتليجينسيا، وإلى شرائح اجتماعية نخبوية، وتمتهن معظمها العمل الأكاديمي والبحثي والحقوقي،

9- المصدر نفسه

وهـي شروط اجتماعيـة لا تتيـح لهـم التفاعـل مـع الجماهـير في مواقعهـا والارتبـاط السـياسي بمعـارك حياتهـا اليوميـة. ذلـك مثـلًا عـلى عكـس الحـال في تنظيـمات كجماعـة الإخـوان المسـلمين، والدعـوة السـلفية في الإسـكندرية، اللـواتي انخرطـت كوادرهــما في شـبكات اجتماعيـة واسـعة، منحتهـما نفـوذًا كبـيرًا، لدرجـة أن جماعـة دينيـة كانـت خـارج المجـال السـياسي تمامًـا قبـل الثـورة، ورافضـة لـه (الدعـوة السـلفية/ حـزب النـور)، تصبـح خـلال بضعـة أشـهر مـن الثـورة القـوة الثانيـة داخـل هـذا المجـال.

لقـد شـهدت مـصر معـارك اجتماعيـة عديـدة، قبـل الثـورة وبعدهـا، افتقـرت إلى وجـود قـوى يسـارية ذات نفـوذ داخلهـا، قـادرة عـلى تطويـر حركتهـا، مـا أدى إلى سرعـة حصارهـا والحـد مـن تأثيرهـا. وربمـا يمكـن القـول، أن ضعـف ارتبـاط قـوى اليسـار بالاحتجاجـات الاجتماعيـة، وعجزهـا عـن تعبئتهـا في اتجـاه فتـح الأبـواب أمـام بدائـل للنمـوذج النيوليـبرالي، هـو أحـد الأسـباب الرئيسـية في غيـاب قـوى يسـارية جماهيريـة قـادرة عـلى طـرح نفسـها كبديـل، والانتقـال مـن النضـال النظـري إلى النضـال العمـلي الواقعـي.

لقـد تحولـت ثـورات الربيـع العـربي سريعًـا، في مختلـف البلـدان، إلى صـدام -بتنويعـات مختلفـة- بـين قطبـين: حـركات الإسـلام السـياسي، والأنظمـة القائمـة. بينـما عـلى المسـتوى العالمـي دفعـت الأزمـة الاقتصاديـة إلى صعـود التيـارات الشـعبوية اليمينيـة، الشـبيهة بالإسـلام السـياسي. لا يمكـن النظـر لهـذه الظواهـر عـلى أنهـا حـالات منفصلـة، ولا يمكـن الاكتفـاء بالإجابـات السـهلة المريحـة، عـلى غـرار أن الإسـلام السـياسي ليـس مـشروع مهـدِّد للرأسـمالية العالميـة، ولا للـب الأنظمـة القائمـة، ولهـذا سُـمح لـه ببنـاء قاعـدة شـعبية، في حـين تـمّ قمـع اليسـار. كـما لا يمكـن الاسـتكانة لفكـرة أن رسـالة الإسـلام السـياسي في الحالـة العربيـة والمصريـة، كـما التيـارات اليمينيـة في أوروبـا، تلعـب عـلي أوتـار المشـاعر البدائيـة للجماهـير، ولهـذا فهـي تتمتـع بقاعـدة شـعبية أكـبر، أو أنهـا تمتلـك إمكانيـات ماديـة تسـهل لهـا شراء الـولاء السـياسي لقطـاع واسـع مـن المجتمـع. كل هـذه الأسـباب صحيحـة، لكنهـا لا تصلـح كمـبرر لضعـف قـوى اليسـار وتراجعهـا، وليسـت كافيـة لفهـم عمـق أزمتـه الممتـدة لعقـود.[10]

ورغـم أن قـوى اليسـار لم تنجـح في بنـاء حركـة قويـة ومنظمـة بعـد الثـورة تقـود الحركـة الجماهيريـة، وتشـارك في السـلطة أو تقودهـا، لكـن لا يمكـن إنـكار أن اليسـار كان بمثابـة المحفـز والمعبـئ لأغلـب الحـراك السـياسي والثـوري الـذي سـبق خلـع مبـارك، في تلـك السـنوات العـشرة (2000- 2010)، التـي عُرفـت باسـم «عقـد الغضـب»، فـكان التغيـير الديمقراطـي، والتشـبيك مـع القـوى السياسـية الأخـرى، والتحـرك في الشـارع مـن

10- رباب المهدي، هل مات اليسار بينما ما زال لبه يُحرّك الناس، جريدة السفير اللبنانية، (17/ 12/ 2018)، تاريخ الوصول للرابط 12/ 1/ 2019: https://goo.gl/QHhhoi.

خلال اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية، ثم الحراك ضد حرب العراق، مرورًا بتأسيس أهم الحركات الاحتجاجية المصرية، التي كسرت حاجز الخوف من النظام وهما حركة الحملة المصرية من أجل التغيير «كفاية»، والحملة الشعبية من أجل التغيير «الحرية الآن»، اللتان راكمتا بعد تأسيسهما مباشرة موجةً من الاحتجاجات السياسية والاجتماعية المتواصلة في الشارع، وبدءًا من 2008 وحتى الثورة ظهرت مجموعات شبابية جديدة لا ترفع يافطة يسارية بشكل مباشر إلا أن خطابها وبرنامجها كان يجنح نحو اليسار بفعل التأثير والارتباط والتشبيك مع أفراد ومجموعات يسارية مثَّلوا لها ما يمكن تسميته بـ»مجموعة خبرة» على مستوى الأفكار على الأقل، كالرابط الذي جمع بين مجموعة تيار التجديد الاشتراكي (إحدى الكتل الاشتراكية الثورية) وحركة شباب من أجل العدالة والحرية، ولقد ساعد بالتأكيد كل هذا الحراك، الذي برز فيه اليسار كفاعل أساسي، على نهوض الموجة الاحتجاجية الأوسع في يناير.

ثانيًا: نشأة حزب التحالف الشعبي الاشتراكي

شـهدت السـنوات الأخـيرة مـن حكـم مبـارك مـع انـدلاع معـارك التغيـير سلسـلةً مـن المحـاولات لتجميع اليسـار في إطـار سـياسي أوسـع، دون اشـتراط مسـبق لتأسـيس حـزب؛ أي تجميـع قـوى اليسـار في حـركات أو تحالفـات أو أُطـر تنسـيقية مـا، أهـم هـذه المحـاولات كانـت: 1) ملتقـى اليسـار، وهـو مبـادرة كانـت تهـدف لتشـكيل مؤتمـر عـام دوري، ولجـان عمـل مشـتركة، وصياغـة برنامـج عـام، لكنهـا لم تتطـور عـن وضعيـة لجنـة التنسـيق الأوليـة بـين مجموعـة حلقـات، ثـم ماتـت بعـد فـترة قصـيرة، 2) حركـة 20 مـارس، وهـي تجربـة خرجـت مـن قلـب العمـل المشـترك في دعـم الانتفاضـة ومناهضـة الحـرب عـلى العـراق، وكانـت تهـدف إلى بنـاء حركـة سياسـية موحـدة بـين ثـلاث منظـمات يسـارية: الحـزب الشـيوعي المـصري، وحـزب الشـعب الاشـتراكي، ومنظمـة الاشـتراكيين الثوريـين، لكنهـا تعـثرت وماتـت بسـبب الخلافـات الكبـيرة في التوجـه خاصـة بـين الشـيوعي المـصري والاشـتراكيين الثوريـين، 3) التحالـف الاشـتراكي، وهـو إطار تنسـيقي انطلـق مـن الحـدود التـي كان يتبناهـا ويـصر عليهـا جنـاح اليسـار التقليـدي (الشـيوعي المـصري، التجمـع، إلـخ) فيـما يتعلـق بتجميـع اليسـار، أي قَـصر الأمـر عـلى إطار تنسـيقي مغلـق يَجمـع ممثلـين لعـدد مـن المنظـمات والحلقـات، في مقابـل تصـور آخـر للتجميـع كان يدافـع عنـه سـاعتها الجنـاح الراديـكالي (الاشـتراكيين الثوريـين، واليسـار الديمقراطـي، إلـخ) أي بنـاء حركـة قاعديـة منفتحـة ذات طابـع جماهـيري، وقـد اسـتمر التحالـف الاشـتراكي لفـترة زمنيـة بـلا أي تأثـير يُذكـر ثـم مـات في النهايـة، 4) اتحـاد اليسـار، وهـو آخـر محـاولات التجميـع في ذلـك الوقـت، الـذي تأسـس انطلاقًـا مـن ورقـة توافقيـة كتبها نبيـل الهـلالي قبـل وفاتـه. وقـد قـام الاتحـاد عـلى أسـاس الرؤيـة القاعديـة المنفتحـة التـي تبناهـا الجنـاح الراديـكالي، وكان المسـاهمان الرئيسـيان في تشـكيله هـما: الاشـتراكيين الثوريـين، واليسـار الديمقراطـي. وكان يشـارك أيضًـا مَـن تبقـى في حزب الشـعب الاشـتراكي (حـزب الشـعب وقتهـا كان في طـور نهايتـه بعـد وفـاة مؤسسـيه الكبـار: يوسـف درويـش ونبيـل الهـلالي. وقـد انفـرط عقـده بعدهـا بوقـت قصـير) وبعـض اليسـاريين المسـتقلين. لكنــه انفجـر سريعًـا بسـبب الخـلاف بـين الاشـتراكيين الثوريـين واليسـار الديمقراطـي، حـول مسـألتين: التنسـيق مـع الإخـوان في معركـة التغيـير، والموقـف مـن حـزب اللـه خـلال الاجتيـاح الإسرائيـلي للبنـان في 2006.[11]

11- يحيى فكري، عضو سابق بحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 3/ 1/ 2018. وأيضا: تامر وجيه، اتحاد اليسار من 4 أغسطس إلى 4 نوفمبر، الحوار المتمدن، العدد 1685، (26/ 9/ 2006)، تاريخ الوصول للرابط 12/ 1/ 2019: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=76634.

وفي سياق الزخم الكبير الذي صاحب اعتصام الـ18 يومًا خلال ثورة يناير 2011؛ انطلقت الدعوة مجددًا لتأسيس حزب يساري عريض، يتبنى الرؤية القاعدية المنفتحة، لتجميع تنظيمات وحلقات الجناح الراديكالي، انطلاقًا من مبدأ الوحدة والتنوع، وعلى أساس الحق في التكتل وتشكيل المنابر لكل الحلقات، وهذا الحزب هو ما أصبح فيما بعد التحالف الشعبي الاشتراكي، والذي أطلق الدعوة لتأسيسه ثلاثة أعضاء أساسيون لعبوا أدوارًا مركزية داخله فيما بعد، ووفقًا للرواية التي يحكيها عبدالغفار شُكر، رئيس الحزب السابق، الذي تحدث للباحث فإنه: «خلال اعتصام الـ18 يومًا، وتحديدًا قبل يومين من تنحي مبارك، تمت دعوته من قبل المهندس يحيى فكري، أحد القياديين البارزين بتيار التجديد الاشتراكي، وهو أيضًا قيادي بارز سابق في منظمة الاشتراكيين الثوريين، والمهندس عماد عطية، وهو قيادي بارز سابق في حزب الشعب الاشتراكي، واقترحا عليه إعادة إحياء فكرة «حزب يساري عريض»، يضم أغلب المجموعات اليسارية الموجودة على الساحة السياسية، خصوصًا وأن الظروف التي صاحبت ثورة يناير مواتية تمامًا لتأسيس هذا الحزب وظهوره بشكل جيد».[12]

قام الثلاثة بعدها بصياغة بيان بالدعوة لتأسيس الحزب، جمعوا فيه توقيعات عدد من الشخصيات اليسارية العامة وأطلقوه للرأي العام، وخلال بضعة أشهر تالية وبعد سلسلة من المفاوضات ومحاولات التجميع؛ خرج الحزب إلى الوجود عبر تحالف ثلاث مجموعات يسارية وعدد كبير من اليساريين المستقلين.

1. تشكيل الحزب

كانت المجموعات اليسارية الثلاثة، التي أسست الحزب في البداية هي:

أ- مجموعة التغيير (الجناح المعارض السابق في حزب التجمع)

ظل حزب التجمع طوال عهد مبارك الممثل الرسمي الوحيد لليسار، وكان التجمع في نشأته الأصلية في السبعينيات تنظيمًا يضمُّ عدةَ تيارات يسارية: ماركسية، ناصرية، قومية، إسلامي مستنير.. ومنذ تولي مبارك السلطة وعلى امتداد حكمه؛ كان يتم انتقاد مواقف التجمع لاختياره الوقوف بجانب النظام ومهادنة السلطة –حسب العديد من وجهات النظر- وهو نقد كان يأتي من خارج الحزب، وأيضًا من داخله من أطراف كانت مناهضة لسيطرة رفعت السعيد عليه، وفي

12- عبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف الشعبي الاشتراكي ورئيسه السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18 / 11م 2018

السنوات الأخيرة لحكم مبارك تشكل داخل التجمع تكتل عُرف باسم مجموعة التغيير، طرح برنامجًا لتغيير الحزب وتطويره، كان على رأسه عبدالغفار شُكر، الذي أعد قبل الثورة -في خضم تصاعد نبرة الاعتراضات على سياسات رفعت السعيد- مذكرة للعرض على اللجنة المركزية للحزب، عنوانها «لماذا نسحب الثقة من رفعت السعيد؟»، وتحدد ميعاد اللجنة في مارس 2011، وتم إعداد بيان أيضًا من شُكر ومجموعته يدعو إلى تطوير التجمع، كي يكون حزبًا سياسيًّا واسعًا يستوعب طيفا أكبر من التيارات السياسية داخله، يتمتع بالمرونة في بنائه التنظيمي، وربط شُكر هذا الأمر بتعديل اللائحة والنظر في ممارسات قيادة الحزب، لكن الثورة داهمت الجميع، وبعد الرفض المتوقع لمذكرة شُكر في اجتماع اللجنة المركزية، أعلن تكتل التغيير انسحابه من الحزب.

ب - مجموعة تيار التجديد الاشتراكي

تيار التجديد الاشتراكي هو تكتل انشق عن منظمة الاشتراكيين الثوريين عام 2010، بسبب خلاف نشأ عام 2007 حول الموقف من معركة التغيير الديمقراطي، ثم تطور إلى خلاف حول مبادئ وأسس التنظيم، وقامت المجموعة التي انشقت -كان على رأسها يحيى فكري وتامر وجيه- بتأسيس تيار التجديد فور خروجهم من المنظمة، وعندما قامت ثورة يناير بعدها بشهور بادر تيار التجديد بالدعوة إلى تأسيس حزب سياسي عريض لليسار، احتضن في مقره المفاوضات والتحضيرات الأولية، التي أسفرت عن تأسيس حزب التحالف الشعبي الاشتراكي.[13]

ج - قسم من تيار اليسار الديمقراطي (مَن أسسوا فيما بعد حزب العيش والحرية)

لم يكن لتيار اليسار الديمقراطي إطار تنظيمي محدد يضم كل المنتمين له خلال السنوات السابقة على ثورة يناير، وإن كان أغلبية مَن ينتمون له قد انخرطوا وشاركوا -وحدهم أحيانًا، ومع آخرين أحيانًا أخرى- في حلقات وتكوينات يسارية متنوعة نشأت في السنوات الأسبق، على غرار المركز المصري الديمقراطي الاجتماعي، وهيئة تحرير مجلة البوصلة، واللجنة التنسيقية للحريات النقابية، وحلقة اليسار الديمقراطي، ومجموعة يساريون مؤيدون للبرادعي، إلخ.. ومع قيام ثورة يناير شارك عدد من رموز التيار في مفاوضات تأسيس حزب التحالف الشعبي الاشتراكي، وبعد وقت فضل أغلب المنتمين إلى التيار الخروج من هذه المفاوضات، والعمل على بناء تحالف آخر أسفر عن الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، إلا أن الجناح الراديكالي ضمن التيار -وهو القسم الأقل- رفض المشاركة في ذلك، حيث اعتبروا المصري الديمقراطي الاجتماعي حزبًا لا يرفع راية يسارية صريحة، ولا يعبر

13 يحيى فكري، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 3/ 1/ 2018، مصدر سبق ذكره.

عن توجه يساري واضح، بقدر ما يعبر عن مصالح شرائح من البرجوازية والطبقة الوسطى المحافظة التي تتأرجح بين مساحتي الوسط ويسار الوسط. ورأوا أن الأكثر اتساقًا مع توجهاتهم هو الانخراط في حزب يساري يضم حلقات وتيارات اليسار الراديكالي المختلفة، وبالتالي مواصلة العمل على بناء حزب التحالف الشعبي الاشتراكي. وكان أبرز عناصر هذا القسم في ذلك الوقت عماد عطية، وأيضًا خالد علي الذي انضم إلى الحزب -التحالف الشعبي الاشتراكي- في وقت لاحق بعد نهاية معركة الرئاسة في 2012.

وقد تميزت مجموعة التغيير، داخل حزب التحالف، بالتواجد في محافظات عديدة، وبأن لها ارتباطات وعلاقات جيدة، كما أن كل أعضائها كانوا من كبار السن، ويملكون خبرات متنوعة في العمل الحزبي، بينما كانت مجموعة تيار التجديد الاشتراكي، ومجموعة راديكاليو اليسار الديمقراطي، تضُمان أغلبية من الشباب بين أعضائهما، ولهما ارتباطات بتنظيمات وائتلافات الثورة أكثر بكثير من مجموعة التغيير، وتملكان خبرة أكبر في تنظيم الفعاليات الثورية، والتحرك الإعلامي، والتنسيق مع ائتلافات وجبهات الثورة.

وإلى جانب المجموعات الثلاثة هذه شارك في تأسيس الحزب عدد كبير من اليساريين المستقلين مِمَّن عُرفوا باسم جيل السبعينيات، أبرزهم عادل المشد وصبري فوزي، كما شارك في تأسيسه عدد كبير من الشباب الجدد، أغلبهم من المنضمين إلى حركة شباب من أجل العدالة والحرية، التي لعب تيار التجديد الاشتراكي دورًا مركزيًا في تأسيسها عام 2010، وكان يقودها عدد من كوادر التيار، أهمهم خالد عبدالحميد وخالد السيد ومصطفى شوقي، والثلاثة كانوا يمثلون الحركة في ائتلاف شباب الثورة.

رفض باقي المجموعات والحلقات اليسارية الأخرى دخول الحزب، فالقسم الأكبر من تيار اليسار الديمقراطي رأى أن حزب التحالف أكثر «يسارية» عن الحد المقبول بالنسبة له، ودفع في اتجاه بناء الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، كما رفضت حركة الاشتراكيين الثوريين المشاركة في حزب يقيد وجودها التنظيمي المستقل، وحاولت بناء حزبٍ أكثر «يسارية» -من وجهة نظرها- أطلقوا عليه اسم «حزب العمال والفلاحين»، وهو مشروع لم يتجاوز مرحلة التأسيس واختفى بعد بضعة أشهر، كذلك رفض عدد كبير من اليساريين المستقلين، الذين عُرفوا باسم «جيل السبعينيات» -معظمهم كوادر سابقة في كل من حزب العمال الشيوعي الموحد وحزب الشعب الاشتراكي- المشاركة في حزب التحالف لأسباب لم يتم الإعلان عنها نهائيًا، وقاموا بتأسيس حزب آخر باسم «الحزب الاشتراكي المصري»، وبعد بضعة

أشـهر حـدث انقسـام كبـير داخلـه وانضـم المنشـقون إلى حـزب التحالـف الشـعبي، واندمجـوا تمامًـا مـع مجموعـة التغيـير، أمـا حزبـا التجمـع والشـيوعي المـصري فلـم تتـم دعوتهـما مـن الأصـل إلى المفاوضـات التـي جـرت لتأسـيس حـزب التحالـف، بسـبب -مـا تـم وصفـه- بمواقفهـم المتخاذلـة تجـاه دولـة مبـارك.[14]

2. تحالف اليسار العريض

لم يكـن الهـدف مـن بنـاء تحالـف لليسـار العريـض مجـرد تجميـع تنظيـمات وحلقـات اليسـار «الأيديولوجـي» تحـت لافتـة حزبيـة واحـدة -المقصـود باليسـار «الأيديولوجـي» هـو تلـك التنظيـمات والحلقـات التـي تُعـرِّف نفسـها كيسـار، وتضـع لنفسـها عناويـن ومحـددات أيديولوجيـة واضحـة بتنويعـات يسـارية مختلفة، سـواء مـن اليسـار التقليدي أو اليسـار الراديـكالي- بـل كان الهـدف منـه، طبقًـا لوجهـة نظـر أصحاب الشـعار -اليسـار العريـض- هـو تجميـع اليسـار «المجتمعـي»، أي القـوى والحـركات والتيـارات والأفـراد الذيـن يتبنَّـون قضايـا اليسـار وينحـازون إليهـا ويناضلـون مـن أجلهـا، بـصرف النظـر عـن تعريفهـم لأنفسـهم كيسـار أو انتماءاتهـم الأيديولوجيـة، والوجـه الآخـر للمـشروع كان يسـتهدف بالأسـاس تجميـع هـذا اليسـار المجتمعـي عـلى برنامـج سـياسي، وليـس عـلى خـط أيديولوجـي، وهـذا بالطبـع لا يعنـي أن أصحـاب شـعار «اليسـار العريـض» اسـتهدفوا فقـط التوافـق حـول مجموعـة مـن النقـاط البرنامجيـة، دون أي اتفـاق عـلى مبـادئ أو أهـداف عامـة؛ فاسـتبعاد الأيديولوجيـة لم يكـن يتعـارض مـع التوافـق عـلى مبـادئ التحـرر والديمقراطيـة والعدالـة الاجتماعيـة، ولا التوحـد عـلى العـداء للإمبرياليـة والنيوليبراليـة، ولا -وهـذا هـو الأهـم- تبنـي الديمقراطيـة الجذريـة كمـشروع سـياسي، والمقصـود بالديمقراطيـة الجذريـة هنـا: 1- ديمقراطيـة المشـاركة الشـعبية (مشـاركة شـعبية أوسـع في التمثيـل والرقابـة والتنفيـذ، عـلى كل مسـتويات الإدارة والسـلطة، عـبر الانتخـاب المبـاشر)؛ 2- إعـادة توزيـع الـثروة لصالـح الطبقـات الشـعبية؛ 3- الرفـض والتصـدي لـكل صـور الاضطهـاد والتمييـز القائمـة في المجتمـع.. وكان الـرأي سـاعتها أن بنـاء تحالـف اليسـار العريـض عـبر التوافـق حـول المسـائل السـابقة، سـيفتح بـاب العمـل المشـترك بـين القـوى والأطـراف المشـكلة لـه لمـدى زمنـي قـادر عـلى إعـادة تهيئـة المجـال السـياسي، وبمـا يسـمح بانتقـال التحالـف إلى مسـتويات أعـلى مـن التوحـد والاندمـاج بين أطرافـه لاحقًـا.[15]

ورغـم أن حـزب التحالـف الشـعبي تأسـس بهـدف بنـاء تحالـف لليسـار العريـض، إلا

14- أيمن عبدالمعطي، الثورة المصرية ودور اليسار (عوامل النجاح والفشل)، في أيمن عبدالمعطي (وآخرين)، اليسار والثورات العربية (أوراق مؤتمر القاهرة 24-25 أبريل 2013)، منتدى البدائل العربي ومؤسسة روزا لوكسمبورج، القاهرة، 2012، ص 16 - ويحيى فكري مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 3/ 1/ 2018، مصدر سبق ذكره.

15- تامر وجيه، عضو سابق بتيار التجديد الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 10 / 4/ 2014

أن هـذه المسـألة تحديـدًا صـارت منبـع الخـلاف والصـدام بـين المجموعـات التـي شـكلت الحـزب، بسـبب تبنـي كل منهـا لرؤيـة مختلفـة بصـدد تحقيـق هـذا الهـدف.

وحسـب مـا ذكـره أحـد قيـادات تيـار التجديـد الاشـتراكي[16]: كانـت وجهـة النظـر السـابقة حـول طبيعـة تحالـف اليسـار العريـض المنطلـق الرئيـسي للتيـار في جهـوده لتأسـيس حـزب التحالـف الشـعبي، إلا أن هـذه المسـألة تحديـدًا لم تكـن نقطـة توافـق بـين كتلتهـم والكتلتـين الأخرتـين في الحـزب. فعـلى حـد تقديـره كانـت مجموعـة التغيـير تـرى ضرورة أن يقـوم الحـزب عـلى أسـس أيديولوجيـة بحتـة، وتحـت شـعارات كلاسـيكية ماركسـية لينينيـة. وهـذا لم يكـن يعنـي –مـن وجهـة نظـره- أن مجموعـة التغيـير كانـت عـلى يسـارهم، بـل عـلى العكـس، هـي كانـت ترفـع شـعارات ماركسـية زاعقـة لتـبرر ممارسـات ومواقـف شـديدة اليمينيـة، وهـو يـرى أن ذلـك منهـج أصيـل لـدى قـوى اليسـار التقليـدي. وقـد انتهـى الأمـر –حسـب تقديـره- إلى قيـام مجموعـة التغيـير ببقرطـة الحـزب، ودفـعِ الشـباب الراديكاليـين إلى الخـروج منـه، وأخـذ جانـب الدولـة القديمـة خـلال تحـولات 3 يوليـو لدرجـة تذيلهـا. وطبقًـا لرؤيـة تيـار التجديـد هـذه، فـإن كتلتهـم كانـت تسـعى لبنـاء: حـزب قاعـدي ومنفتـح، يقـوم بتجميـع اليسـار «المجتمعـي». بينـما كانـت مجموعـة التغيـير تسـعى لبنـاء: حـزب مركـزي ومغلـق، يقـوم بتجميـع حلقـات اليسـار «الأيديولوجـي».

أمـا القسـم الراديـكالي مـن اليسـار الديمقراطـي، فقـد اتخـذ موقفًـا وسـطيًا -في تقديـره- وظـل لوقـت طويـل متأرجحًـا حـول طبيعـة الحـزب المطلـوب بنـاؤه. كان منحـازًا في المجمـل لرؤيـة تيـار التجديـد، إلا أنـه كان يتعامـل معـه بتوجـس شـديد بسـبب الخـلاف الكبـير بينهـما حـول الموقـف مـن الإسـلام السـياسي. في الوقـت ذاتـه كان يرفـض انغـلاق مجموعـة التغيـير، لكنـه اعتبرهـا صـمام أمـان داخـل الحـزب مـن توجهـات تيـار التجديد. ولقـد هيمـن عـدم الوضـوح هـذا عـلى أغلـب المسـتقلين، وخلـق حالـة مـن التذبـذب، مـا أنعـش الوسـطية، أي البحـث عـن حلـول توافقيـة في مسـألة لا يمكـن التوافـق حولهـا، وغـرق الجميـع في نقاشـات لائحيـة لا أهميـة لهـا.[17]

عـلى جانـب آخـر كان رأي أحـد قيـادات القسـم الراديـكالي مـن اليسـار الديمقراطـي،[18] بخصـوص طبيعـة الخلافـات التـي شـهدها الحـزب، أنهـم أخطـأوا في اتخـاذ خطـوة التحالـف، تحديـدًا في تأسـيس الحـزب بالمشـاركة مـع مجموعـة التغيـير، رغـم أن تجربـة التحالـف لم تكـن لتنجـح إلا بوجـود تلـك المجموعـة، لأنهـم الأكـبر عـددًا، والأكـثر تواجـدًا في الأقاليـم. المشـكلة -في تقديـره- ناتجـة عـن اختـلاف بنيـة وتركيبـة مجموعـة التغيـير

16- يحيى فكري، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 3/ 1/ 2018، مصدر سبق ذكره.

17- المصدر نفسه.

18- عمرو عبدالرحمن، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

عـن اليسـار الديمقراطـي عمومًـا. فمجموعـة التغيـير تعـبر عـن ميـل محافـظ في الثـورة المصريـة، وتكوينهـم بالأسـاس نـاصري، وهـم يؤمنـون بمنطـق أنـه لا يمكـن إنجـاز أي نجـاح سـياسي في أي مسـألة سـوى بالتحالـف مـع جنـاح مـن أجنحـة الدولـة. كـما أن تصوراتهـم عـن الخطـة المطلوبـة لتحقيـق تنميـة في مـصر تختلـف كليـة عـن تصـورات تيـار اليسـار الديمقراطـي عامـة. إلى جانـب أن مجموعـة التغيـير كانـت تقـوم بتعبئـة قطاعـات محافظـة للغايـة مثـل مثقفـين الأريـاف، والعنـاصر الأكـثر تأخـرًا وسـط العـمال. إلا أنهـم -مجموعـة القسـم الراديـكالي مـن اليسـار الديمقراطـي- لم يبلـوروا وجهـة النظـر هـذه إلا متأخـرًا، بعـد خروجهـم مـن حـزب التحالـف، وانفصالهـم الكامـل عـن التجربـة.[19]

أمـا رأي المجموعـة الثالثـة -مجموعـة التغيـير- في الأمـر، حسـب مـا ذكـره أبـرز رموزهـا عبـد الغفـار شُـكر،[20] أن الخـلاف الـذي حـدث داخـل الحـزب راجـع بالأسـاس إلى اختلافـات المـدارس التنظيميـة التـي ينتمـي إليهـا كل فريـق. فمَـن تعـود عـلى العمـل الـسري المغلـق، يختلـف بالـضرورة عـلى مَـن مـارس العمـل الحـزبي المفتـوح (يقصـد مجموعـة التغيـير، الأعضـاء السـابقون في التجمـع). كـما أن جـزء مـن الخـلاف يعـود -مـن وجهـة نظـره- إلى طبيعـة تكويـن المجموعـات المختلفـة. فوجـود مجموعـة أغلبهـا ينتمـي إلى جيـل الوسـط والجيـل القديـم، داخـل تكويـن واحـد مـع مجموعـة يغلـب عليهـا جيـل الشـباب وقلـة مـن جيـل الوسـط، سـيؤدي بالـضرورة إلى حالـة مـن التوتـر. ورغـم المشـاكل التـي اعـترت التجربـة، وهـي -في تقديـره- مشـاكل طبيعيـة تقابـل أي تجربـة حزبيـة، تـم تفعيـل سلسـلة مـن المبـادرات لتطويـر الحـوار الداخـلي في الحـزب وتوسـيع أفاقـه، وخلـق أُطـر منظمـة تقبـل بهـذا التنـوع الواسـع بداخلـه، أهمهـا تطبيـق قاعـدة التعدديـة وتأسـيس المنابـر. فرغـم رفـض البعـض لهـذه القاعـدة، إلا أنـه تـم إقرارهـا لائحيًـا في المؤتمـر التأسـيسي، لـذا فـإن الاتهامـات بتعمـد التهميـش والإقصـاء التـي اتهمـت بهـا المجموعتـان الأخرتـان مجموعـة التغيـير، هـي -مـن وجهـة نظـره- اتهامـات في غـير محلهـا.[21]

وبعـد دورات كثـيرة مـن النقـاش والأخـذ والـرد؛ تـم إقـرار مسـألة تعـدد المنابـر، التـي دارت حولهـا الخلافـات، وأصبـح هنـاك بـاب في مـشروع اللائحـة المقـدم إلى المؤتمـر التأسـيسي بعنـوان المنتديـات السياسـية، يسـمح بتأسـيس منابـر للتوجهـات المختلفـة داخـل الحـزب، ويسـمح لهـا بالتواجـد والتعبـير عـن نفسـها في مسـتويات الحـزب المختلفـة المركزيـة والقاعديـة عـلى حـد سـواء، كـما منحـت اللائحـة الحـقَّ للأقليـة غـير

19- المصدر نفسه.

20- عبدالغفار شكر، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

21- المصدر نفسه.

الممثَّلةِ في المستويات التنظيمية العليا -كالمكتب السياسي، واللجنة المركزية، والمؤتمر العام- في تقديم تقرير فرعي مستقل، يتم عرضه ومناقشته على قدم المساواة مع تقارير الأغلبية في اجتماعات تلك الهيئات، وفي محاولة لتجنب البيروقراطية التنظيمية، وتركيز السلطة في يد حفنة من العناصر الأنشط داخل المحافظات؛ أقرَّ مشروعُ اللائحة انتخابَ أعضاء المؤتمر العام عن طريق أعضاء الوحدات الأساسية الصغيرة مباشرة، وليس عن طريق مندوبي لجان المحافظات[22]، باختصار جاء مشروع اللائحة المقدم إلى المؤتمر مُعبرًا عن أعلى درجة ممكنة من الانفتاح والقاعدية سمح بها التوازن القائم بين الكتل المختلفة، وجاءت المفاجأة السارة بأن أقرَّ المؤتمر التأسيسي (عام 2013) في اجتماعه الأول معظم هذه البنود بتعديلات طفيفة، وهكذا أصبح لدى الحزب لائحة تتمتع بدرجة لا بأس بها من الانفتاح والقاعدية، إلا أن هذا لم يكن له أي قيمة في الممارسة الفعلية، في ظل هيمنة مجموعة التغيير بتوجهاتها، التي كانت المجموعتان الأخرتان تراها منغلقة ومركزية. وهكذا جاءت الأحداث التالية لتعطي الدرس للجميع: أنه لا يمكن حل مشكلات التوجه السياسي عبر البنود اللائحية.. وهذه قصة أخرى سنأتي إليها لاحقًا.

22- عبدالغفار شكر، مقابلة مع الباحث، مصدر سبق ذكره

ثالثًا: مسار الحزب خلال عامي الثورة

قـام الحـزب بتعريـف نفسـه في إعلانـه التأسـيسي بأنـه حـزبٌ «وُلـد مـن رحـم الثـورة»، وأكـد عـلى جميـع المواقـف الرئيسـية التـي تعكـس مطالـب جماهـير ثـورة ينايـر، التـي تمثلـت في: أولًا؛ الإصرار عـلى تحقيـق المطالـب الخاصـة بالديمقراطيـة والإصلاح السـياسي كافـةً دون انتقـاص، بمـا تشـمله مـن ضرورة إبعـاد كل أركان النظـام القديـم عـن السـلطة، ونقـل السـلطة إلى حكومـة مدنيـة مؤقتـة، وحـل المجالـس المحليـة، وإلغـاء الطـوارئ والمحاكـم الاسـتثنائية والقوانـين المقيـدة للحريـات، والإفـراج عـن جميـع المعتقلـين، ومحاكمـة رمـوز الفسـاد والاسـتبداد، ووضـع دسـتور جديـد يؤكـد مبـدأ الفصـل بـين السـلطات، وينهـي هيمنـة السـلطة التنفيذيـة عـلى السـلطتين التشريعيـة والقضائيـة، وإخضـاع المؤسسـات الأمنيـة للرقابـة الشـعبية المدنيـة، ثانيًـا؛ ربـط التغيـير السـياسي بالتغيـير الاجتماعـي، والتصـدي للاسـتغلال الاقتصـادي والاجتماعـي وهيمنـة الاحتـكار، ووضـع حـد أدنى وأقـصى للدخـول، وصرف إعانـات للبطالـة، وإلغـاء القـروض المسـتحقة عـلى صغـار الفلاحـين والحرفيـين، وتوجيـه الإنفـاق العـام إلى تحسـين الخدمـات، وفـرض ضرائـب تصاعديـة، وتحقيـق إصـلاح زراعـي، ثالثًـا؛ التصـدي لـكل صـور التبعيـة للصهيونيـة والحكومـات الاسـتعمارية، ودعـم نضـال الشـعوب العربيـة وكل شـعوب العـالم مـن أجـل الديمقراطيـة والتحـرر، رابعًـا؛ النضـال مـن أجـل دولـة مدنيـة لا دينيـة ولا عسـكرية، والتأكيـد عـلى فصـل الديـن عن السياسـة، والتصـدي لجميـع صـور التمييـز عـلى أسـاس الديـن أو الجنـس أو اللـون أو العقيـدة السياسـية أو الانتـماء الطبقـي.[23]

1- معركة الانتخابات البرلمانية 2012/2011

وقـد شـارك حـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكي -خـلال فـترة التحضـير الأولى لتأسيسـه، وحتـى قبـل وجـود قـوام واضـح لـه، أو حسـم مواقـف الكتـل المختلفـة بالانضـمام إليـه أو عـدم الانضـمام- في حملـة رفـض التعديـلات الدسـتورية في اسـتفتاء مـارس 2011. وبعدهـا، مـع التحضـير للانتخابـات البرلمانيـة، دار أول خـلاف مهـم داخـل الحـزب؛ حيـث كان الإخـوان حينهـا يُعـدون قائمتهـم الانتخابيـة تحـت اسـم «التحالـف الديمقراطـي»، وفي مواجهتهـم قـررت أحـزاب المصريـين الأحـرار والمـصري الديمقراطـي الاجتماعـي والتجمـع عمـل قائمـة انتخابيـة أخـرى بعنـوان «الكتلـة المصريـة»، ودَعـوا مـا اصطلـح

23- البيان التأسيسي لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، (4/ 3/ 2011)، تاريخ زيارة الرابط 10 / 12/ 2018: https://goo.gl/5VzpKH

علـى تسـميتهم بالأحـزاب «المدنيـة» للمشـاركة في هـذه القائمـة، في الوقـت الـذي كانـت فيـه كتـل وحـركات شـباب الثـورة تبحـث عـن إطـار يسـمح لهـا بالمشـاركة في الانتخابـات، وفي ظـل ذلـك جـرى سـجال داخـل حـزب التحالـف الشـعبي حـول أي تحالـف انتخـابي يجـب الانضـمام لـه، كانـت الأغلبيـة –مجموعـة التغيـير، والقسـم الأكـبر مـن مجموعـة راديكاليـو اليسـار الديمقراطـي، وعـدد كبـير مـن المسـتقلين- مـع المشـاركة في قائمـة الكتلـة المصريـة، وكانـت الأقليـة –مجموعـة تيـار التجديـد، وعـدد كبـير مـن الشـباب- مـع عمـل قائمـة أخـرى تضـم كتـل وحـركات شـباب الثـورة.[24]

وعـلى حـد تعبـير عمـرو عبـد الرحمـن، كانـت مجموعـة التغيـير لا تُقـدر شـباب الثـورة سياسـيًا بالدرجـة الكافيـة، كـما كانـت تنظـر بريبـة لشـباب حـزب التيـار المـصري، بسـبب خلفيتهـم الإخوانيـة. إلا أن العامـل الرئيـسي لتفضيلهـم قائمـة الكتلـة المصريـة هـو نظرتهـم التقليديـة للانتخابـات. فهـم، عـلى غـرار كل السياسـيين القدامـى، كانـوا منشـغلين بمسـائل: التحالفـات الإقليميـة، والتربيطـات العائليـة، ووجـود مرشـحون في القوائـم لديهـم إمكانيـات ماديـة كبـيرة تسـمح بتوفـير التمويـل الـكافي للحملـة، إلـخ. وبالطبـع لم يكـن شـباب الثـورة قادريـن عـلى توفـير أي مـن تلـك الأمـور.[25]

وتقـرر في النهايـة حسـم الخـلاف عـن طريـق عقـد جمعيـة عموميـة طارئـة للحـزب، وجـرى داخلهـا نقـاش حـول وجهتـي النظـر، وتـم التصويـت لصالـح موقـف الأغلبيـة بالانضـمام إلى قائمـة الكتلـة المصريـة. ودخـل بعدهـا الحـزب في المفاوضـات التـي جـرت لتحديـد المرشـحين داخـل قائمـة الكتلـة المصريـة، إلا أن هـذه المفاوضـات فشـلت سريعًـا، أولًا بسـبب إصرار الأحـزاب الأخـرى عـلى ترشـيح عـدد كبـير مـن فلـول الحـزب الوطنـي داخـل القائمـة، باعتبـار أنهـم أصحـاب نفـوذ عائـلي، مـا يرفـع مـن فـرص القائمـة في كسـب الأصـوات، وهـو مـا كان يرفضـه حـزب التحالـف بشـكل قطعـي، وثانيًـا بسـبب هيمنـة رجـال الأعـمال بشـكل فـجّ عـلى عمليـة اتخـاذ القـرار أثنـاء اجتماعـات التفـاوض، وانتهـى الأمـر بانسـحاب الحـزب مـن القائمـة[26]، إلا أن هنـاك تفسـيرًا آخر لهذا الانسـحاب -حسـب روايـة بعـض أعضـاء حـزبي المصريـين الأحـرار والمـصري الديمقراطـي الاجتماعـي- يـرى أن حـزب التحالـف انسـحب مـن القائمـة بسـبب خلافـات حـول نسـب تمثيـل مرشـحيه، وليـس لأي مواقـف سياسـية،[27] لكـن يبـدو أن التفسـير الأول –روايـة أعضـاء حـزب التحالـف- هـو الأقـرب للصـواب.

24- معلومات متقاطعة من مقابلات مع عمرو عبدالرحمن، وتامر وجيه، ويحيى فكري، وعبدالغفار شكر، مصادر سبق ذكرها. انظر أيضا : عمرو حمزاوي، من أوراق الانتخابات البرلمانية 2011: تفتت الأحزاب العلمانية وهزيمتها، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، (22/ 12/ 2017) شوهد في 13 / 12/ 2018 : http://carnegie-mec.org/2017/12/22/75107-ar-pub.

25- عمرو عبدالرحمن، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

26- معلومات متقاطعة من مقابلات مع عمرو عبدالرحمن، وتامر وجيه، ويحيى فكري وعبدالغفار شكر، مصادر سبق ذكرها. انظر أيضا : عمرو حمزاوي، من أوراق الانتخابات البرلمانية 2011: تفتت الأحزاب العلمانية وهزيمتها، مصدر سبق ذكره.

27- بلال حبش، ومحمد سالم، مصدر سبق ذكره

تحرك كوادر الحزب سريعًا ساعتها -في سباق مع الزمن، حيث اتُّخِذ قرار الانسحاب قبل أسبوع واحد من فتح باب الترشيح- وقاموا بتأسيس قائمة جديدة باسم «الثورة مستمرة»، مع حزب مصر الحرية، وحزب التيار المصري، وعدد آخر من كتل وحركات شباب الثورة، كان مشروع القائمة مبنيًّا على محاولة بناء تيارٍ يعبر من ناحية عن الجناح الراديكالي والشبابي وسط قوى الثورة، ومن ناحية أخرى يكون تيارًا قادرًا على تجاوز الاستقطاب الديني/ العلماني[28] المستعر ساعتها[29]، (سيتم تحليل قائمة الثورة مستمرة في الفصل التاسع والأخير) وقد حصلت القائمة على سبعة مقاعد فقط، وتسبب هذا في بعض الصدمة بسبب عدم فوز أي من المرشحين الشباب، الذين كان لهم حضور إعلامي قوي في ذلك الحين.

إلا أن مؤسسي الحزب اعتبروا أن انتخابات مجلس الشعب 2012/2011، وتجربة قائمة الثورة مستمرة، كانت تجربة ناجحة وجيدة جدًا، لأنها سمحت بتفاعل قوي بين الحزب وبين مجموعات شباب الثورة، وضمت إلى صفوف الحزب أعضاء وأنصارًا كثيرين، وساعدت على تطوير بنائه قواعدَه الحزبيةَ في مواقع محلية عديدة خارج المناطق التقليدية لتواجده.[30]

2- احتدام صراعات الكتل داخل الحزب

مع نهاية الانتخابات البرلمانية، تواصل الصراع السياسي داخل الحزب بين الكتل المختلفة المشكِّلة له، وازداد احتدامًا مع دخول ثورة يناير نفسها في سلسلة من المآزق التي عصفت بها، فتحول الصراع السياسي الداخلي إلى صدام مع انتخابات الرئاسة، وازداد حدّةً مع تأسيس جبهة الإنقاذ التي شارك فيها الحزب، على غير رغبة كتلة مهمة من أعضائه، وجاء المؤتمر التأسيسي في مارس 2013 ليفجر الموقف، الذي تواصل في التداعي مع تحولات 3 يوليو، لينتهي الأمر بانشقاق كبير، شمل عددًا من أبرز مؤسِّسيه، قضى على المشروع الأساسي للحزب -تحالف اليسار العريض- واستمر بعدها الحزب مجرد واجهة خاملة لحلقة محدودة من حلقات اليسار التقليدي.

بدأ الاحتدام مع الانتخابات الرئاسية؛ في البداية اتخذ الحزب قرارًا بالإعلان عن عزمه على ترشيح رئيس كتلته البرلمانية النائب الراحل أبو العز الحريري في انتخابات الرئاسة، واشتملت صيغة القرار بوضوح على أنها خطوة تفاوضية، ما يسمح للحزب بالدخول في مفاوضات حول مرشح توافقي للقوى المدنية، على

28- جزء مهم من الاستقطاب كان إسلاميا/ مسيحيا، انغمست فيه من جهة أحزاب الإسلام السياسي، ومن جهة أخرى أحزاب "الكتلة المصرية"، التي كانت الكنيسة القبطية داعما رئيسيا لها في الخلفية

29- عمرو حمزاوي، من أوراق الانتخابات البرلمانية 2011: تفتت الأحزاب العلمانية وهزيمتها، مصدر سابق

30- عبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف، ورئيسه السابق، مقابلة شخصية، مصدر سبق ذكره.

أن يتنازل مرشح الحزب -أبو العز الحريري- فيما بعد لصالح المرشح التوافقي، تداعت الأمور بعد ذلك في ترشيحات انتخابات الرئاسة، وبات من الواضح أن الحريري قرر ألا ينصاع لقرارات الحزب، ووصل الأمر إلى أن اتخذت الأمانة العامة قرارًا بانسحاب الحريري لصالح حمدين صباحي لكنه رفض تنفيذه، وآثرت قيادة الحزب في ذلك الوقت أن تواصل دعم الحريري رغمًا عنها، بدلًا من خلق معركة علنية معه ستضر بالحزب حتمًا وهو في طور تأسيسه، وخلال الأسابيع الأخيرة قبل الانتخابات الرئاسية كان الحزب في حالة اشتعال، جميع شبابه تقريبًا بلا استثناء كانوا يرفضون دعم الحريري، ويتجهون للمشاركة في حملات حمدين صباحي وخالد علي وأبو الفتوح، وهو ما خلق حالة من التشرذم، هذا غير أن معظم مجموعة تيار التجديد هم مَن كانوا يدعمون أبو الفتوح، وهو ما صب الزيت على النار في صراعات الكتل بسبب الخلاف حول الموقف من الإسلام السياسي.

ومع بداية الجولة الثانية من الانتخابات بين مرسي وشفيق، اتخذ الحزب قرارًا بمقاطعة الانتخابات وإبطال الأصوات، تحت شعار «الثورة لن تختار بين أعدائها»، إلا أن الممارسة في الواقع تباينت بشدة، فكثير من الأعضاء -من ضمن مجموعة التغيير- أعطوا أصواتهم لشفيق، بينما أعطى كثير من الأعضاء الآخرون -من ضمن مجموعة تيار التجديد- أصواتهم لمرسي، وهكذا ازداد احتدام الصراع الداخلي، ثم انفجر الموقف بعدها بشكل كبير، فيما يشبه الصدام العلني، عندما أصدر مرسي إعلانه الدستوري المشؤوم وتشكلت في مواجهته جبهة الإنقاذ، ورغم أن الحزب في مجمله بجميع كتله وأعضائه -بلا استثناء- كان رافضا لحكم الإخوان، ومشارك في الحملة المناهضة للإعلان الدستوري، إلا أن مجموعة تيار التجديد وقسم كبير من شباب الحزب، وأغلب مَن انضموا له في سياق معركة الانتخابات البرلمانية وقائمة الثورة مستمرة، كانوا يرفضون المشاركة في جبهة الإنقاذ بسبب مشاركة فلول دولة مبارك بها.

تفاقم الأمر خلال التحضير للمؤتمر التأسيسي للحزب في مطلع 2013، واحتدام الخلاف حول مشروع اللائحة المقدم إلى المؤتمر، خاصة ما يتعلق بمسألة تعدد المنابر، كانت مجموعة التغيير تحاول إلغاء صيغة المنابر، بادعاء أنها تهدد وحدة الحزب، رغم أن فكرة التعددية داخل الحزب كانت مُقرة منذ الوهلة الأولى عند الدعوة لتأسيسه كتحالف لليسار العريض، وكان يتم التأكيد عليها في كل المحطات التالية[31]، وبعد سجالات طويلة تم حسم الأمر بحلول توافقية، كما ذكرنا سابقًا. وفي مارس 2013، قبل بضعة أشهر من سقوط حكم الإخوان؛ عقد الحزب مؤتمره

31- تامر وجيه، عضو سابق بـ«تيار التجديد الاشتراكي»، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره

التأسيسي الأول، على دورتين[32]، تم إقرار اللائحة في الدورة الأولى، ثم جرت انتخابات على مستوى المحافظات لانتخاب ممثِّلي المحافظات في اللجنة المركزية، وبعدها عُقدت الدورة الثانية لانتخاب ممثلي المؤتمر العام في اللجنة المركزية، عَمَّ قدر من التفاؤل بعد الدورة الأولى مع إقرار لائحة بها قدر معقول من الانفتاح والقاعدية، كما ذكرنا سابقًا، إلا أن هذا التفاؤل انقلب إلى دراما سوداوية في الجولة الثانية مع انتخاب ممثلي المؤتمر، حيث قامت مجموعة التغيير بما تملكه من قاعدة تصويتية في المحافظات (أغلبها قائم على عضوية ورقية حسب تقدير أعضاء من مجموعتي تيار التجديد وراديكاليو اليسار الديمقراطي) بالاستيلاء على معظم مقاعد ممثلي المؤتمر، وتهميش جميع المرشحين من خارج مجموعة التغيير، بمن فيهم بعض أهم الكوادر المؤسسة للحزب.

أدى الأمر إلى زوبعة عنيفة استمرت لشهور، وانتهت بانشقاق كبير في آخر المطاف، وقد اتهم أعضاء مجموعتي تيار التجديد وراديكاليو اليسار الديمقراطي مجموعة التغيير –التي يقودها طلعت فهمي ومحمد صالح- بأنها أدارت معركتها الانتخابية بشكل تكتلي وانتهازي، وبهدف إقصاء وتهميش المجموعات الأخرى، ولم تراعِ حدود التوافق المطلوب لاستمرار التحالف[33]، وقد أقر عبدالغفار شُكر نفسه، رئيس الحزب السابق، أن انتخابات اللجنة المركزية أتت بوجوه غير معروفة، وربما غير نشطة، على حساب وجوه معروفة وذات تاريخ ونشاط جيد بالحزب، غير محسوبة على مجموعة التغيير، ضمنهم قيادات مثل عادل المشد وصبري فوزي، لكنه نفى أن هذا تم بشكل متعمد، أو كان وراءه تكتل تصويتي لصالح مجموعة على حساب الآخرين، ومن وجهة نظره، فإن السبب وراء ما جرى هو اتساع نفوذ مجموعة التغيير وسط المحافظات المختلفة.[34]

وقد رأى شُكر (الذي حاول أن يمارس دورًا توفيقيًا بين الطرفين لرأب الصدع، وهو ما أكد عليه أعضاء من تيار التجديد وراديكاليو اليسار الديمقراطي) أن الفريق الذي انشق في النهاية لا يملك مبررات كافية لهذا الانشقاق، وأكد أن دعاوى التهميش والإقصاء كانت في غير محلها، فقد تم –في تقديره- بذل الكثير من الجهد لتقليص طغيان الأغلبية (مجموعة التغيير) ومنعها من التحكم في توجهات الحزب، ودليله على ذلك أنه تم انتخاب عدد من أعضاء مجموعتي تيار التجديد وراديكاليو اليسار الديمقراطي على رأس عدد من لجان الحزب الأساسية في انتخابات المكتب السياسي التي جرت تاليًا.

32- المؤتمر التأسيسى الأول لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي (14-16 مارس 2013) ، قناة «جريدة الشروق» على موقع يوتيوب، (14/ 3/ 2013)، شوهد في 13 / 12/ 2018 : https://www.youtube.com/watch?v=CsXoAn0PAMc

33- عمرو عبدالرحمن، مصدر سبق ذكره

34- عبدالغفار شكر، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره

وبصرف النظر عن التقديرات المتفاوتة، إلا أن تجربة بناء حزب يساري عريض متعدد المنابر قد فشلت بلا شك، وأحد الأسباب الرئيسية لذلك يكمن في تكوين الحزب ذاته، حيث ضم مجموعات تنتمي لمدارس تنظيمية وسياسية مختلفة؛ فهناك كوادر من اليسار التقليدي ينتمون إلى مدرسة حزبية لها تراث معروف في الممارسة التنظيمية، وهناك توجه سياسي يميل إلى تخفيض الأسقف إلى الحد الذي ترضى عنه السلطة، وهناك شباب حركيون ذوو توجهات راديكالية يملكون خبرات تنظيمية من نوع آخر، ويدفعون إلى طرح الحد الأقصى في مطالبهم ورؤيتهم وبرنامجهم.

وكانت هناك رؤيتان مختلفتان للثورة، والأهداف المنشودة من بناء التحالفات: مدرسة تنظيمية حزبية، ترى في الثورة أداة ضغط لتوسيع الفرص أمام الحزب كي ينال نصيبًا أكبر داخل المجال السياسي الشرعي؛ وتيار شبابي راديكالي، يرى في الثورة تحولا جذريا عميقا، يجب دفعه لأقصى مداه، وصولًا إلى تغيير العالم.

انتهى الأمر بقيام حوالي 300 عضو فاعل من قيادات الحزب ومؤسسيه وأنشط كوادره باستقالة جماعية، سبقتها سلسلة من الاستقالات الفردية على امتداد بضعة أشهر، وضمت الاستقالة الجماعية اثنين من نواب رئيس الحزب؛ عماد عطية، وخالد علي، وعددا من أمناء اللجان الرئيسية وأعضاء المكتب السياسي: يحيى فكري، وخالد عبدالحميد، وعمرو عبدالرحمن، ورامي صبري.. وكان أحد أهم الأسباب المعلنة في نص الاستقالة التي قُدمت في شهر نوفمبر2013، هو المسار المتهادن الذي اتخذه الحزب بعد 30 يونيو من السلطة، وبدأت فيه كفة الحزب تميل إلى النظام الحاكم الحالي، ما انحرف بالحزب عن مساره ودفعه إلى مهادنة ومساومة السلطة القائمة، بحجة الحرب على الإرهاب والحفاظ على الدولة الوطنية.[35]

الغالبية العظمى من المنشقين -سواء في الاستقالة الجماعية، أو في الاستقالات الفردية السابقة عليها- شاركوا بعد ذلك في تأسيس مشروعين سياسيين كانت لهما أدوار هامة في الأحداث التالية، وهما حزب العيش والحرية، وجبهة طريق الثورة.. أعضاء مجموعة راديكاليو اليسار الديمقراطي وجدوا بلورتهم التنظيمية أخيرًا في حزب العيش والحرية، أما أعضاء مجموعة تيار التجديد فقد اندمجوا مع عدد من الكتل الشبابية الراديكالية في جبهة طريق الثورة، وانطلق المشروعان في ساحة سياسية جديدة خلقتها تحولات 3 يوليو، ساحة مختلفة كليًّة عن عامي الثورة 2011-2013، وعلى نقيضها تمامًا.

35- أحمد عبدالحميد حسين، حبيبة محسن، مصدر سابق، ص 59

مراجع الفصل الرابع

الكتب:

- أيمـن عبدالمعطـي (وآخـرون)، اليسـار والثـورات العربيـة (أوراق مؤتمـر القاهـرة 24-25 إبريـل 2013)، منتـدى البدائـل العـربي ومؤسسـة روزا لوكسـمبورج، القاهـرة، 2012.
- أحمـد عبدالحميـد حسـين، حبيبـة محسـن، الحـركات اليسـارية في مـصر، في خليـل كلفـت (محـرر)، خارطـة اليسـار العـربي، روزا لوكسـمبورج، تونـس، 2014.

الدراسات والأبحاث:

- أحمـد عبدالحميـد حسـين، يـس محمـد، حـراك ينخـر في جـدار الصمـت: حالـة الحـراك الاجتماعـي والسـياسي في مـصر بعـد يونيـة 2013، منتـدى البدائـل العـربي، القاهـرة، ينايـر 2017، ص 20.
- أحمـد عبدالحميـد حسـين، « اليسـار المـصري: إشـكاليات البديـل الديمقراطـي»، مجلـة الديمقراطيـة، مركـز الأهـرام للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، القاهـرة، ينايـر 2015.
- عمـرو حمـزاوي، مـن أوراق الانتخابـات البرلمانيـة 2011: تفتـت الأحـزاب العلمانيـة وهزيمتهـا، مركـز كارنيجـي للـشرق الأوسـط، (22/ 12/ 2017) شـوهد في 13 / 12/ 2018 : http://carnegie-mec.org/2017/12/22/ar-pub-75107.

مواقع وصحف :

- أكـرم اسـماعيل، إلهـام العيـدروس، اليسـار و أسـئلة الثـورة.. رؤيـة نقديـة (الجـزء الثاني)،مـدى مـصر، (10 / 11/ 2013)، شـوهد في 17 / 4/ 2014: http://goo.gl/HNCe2s
- المؤتمـر التأسـيسى الأول لحـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكى (14-16 مـارس 2013) ، قنـاة «جريـدة الـشروق» عـلى موقـع يوتيـوب، (14/ 3/ 2013)، شـوهد في 13 / 12/ 2018: https://www.youtube.com/watch?v=CsXoAn0PAMc
- البيـان التأسـيسي لحـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكي، (4/ 3/ 2011)، تاريـخ زيـارة الرابـط 10 / 12/ 2018: https://goo.gl/5VzpKH.
- ربـاب المهـدي، هـل مـات اليسـار بينـما مـا زال لبـه يُحـرّك النـاس، جريـدة السـفير اللبنانيـة، (17/ 12/ 2018)، تاريـخ الوصـول للرابـط 12/ 1/ 2019: https://goo.

.QHhhoi/gl

- علي الرجال، اليسار في مصر: حدوده وآفاقه في عالم 2011، جريدة السفير اللبنانية، (4/ 1/ 2019)، تاريخ الوصول للرابط 11/ 1/ 2019 : /https://goo.gl wQcW7i.

مقابلات:

- تامر وجيه، عضو بتيار التجديد الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 22 /12/ 2015.
- تامر وجيه، عضو سابق بتيار التجديد الاشتراكي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 10 / 4/ 2014
- عبدالغفار شكر، وكيل مؤسسي حزب التحالف الشعبي الاشتراكي ورئيسه السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18 / 11م 2018.
- يحي فكرى، عضو سابق في تيار التجديد وحزب التحالف، مقابلة شخصية مع الباحث ' القاهرة ، 3-1-2018
- علا شهبة، عضوة سابقة بـ»تيار التجديد الاشتراكي»، و»حزب التحالف الشعبي الاشتراكي»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 22 /12/ 2015.
- عمرو عبدالرحمن، عضو سابق بالهيئة التحريرية لمجلة»البوصلة»، وعضو مؤسس في «حزب عيش وحرية»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 15 / 11/ 2018.
- مصطفى شوقي، عضو سابق بالمكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة، و»حركة شباب من أجل العدالة والحرية»» و»تيار التجديد الاشتراكي»، 12 / 3/ 2015.
- محمد سالم، عضو المكتب السياسي عن الحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018.
- محمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة سكايب مع الباحث، 12 / 4/ 2014. .
- محمد صلاح، عضو المكتب السياسي لحركة «شباب من أجل العدالة والحرية، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 13 / 12/ 2018.

■ الفصل الخامس

التيار المصري..

القادمون من «الثقب الأسود»[1]

1- هذا الفصل تم تطويره عن ورقة بحثية نُشرت كفصل تحت عنوان «التيار المصري. أفول التجربة التنظيمية، أم أفول المجال السياسي؟» في كتاب «مصر الثائرة، التعبئة الاجتماعية وإرث 2011 المنقطع»، الصادر عن مبادرة الإصلاح العربي، 2018.

أولًا: النشأة والتجربة الشخصية

1. خبرة العمل الطلابي

لقد ساهمت مجموعة رئيسية من شباب الإخوان في تأسيس ائتلاف شباب الثورة، وهي نفسها التي شكلت لاحقًا النواة الرئيسية لحزب التيار المصري، ولعبت دور فعَّال في حملة أبو الفتوح الرئاسية. وقد ارتبط هؤلاء الشباب بالإخوان في البداية خلال دراستهم الجامعية عبر الأنشطة الطلابية، وبعد أن أنهوا دراستهم تلك انتظموا -لمدة خمسة عشر عامًا تقريبًا- داخل اللجان المركزية بالجماعة. حيث واصل أغلبهم الإشراف على العمل الطلابي بعد تخرجهم، وانضم آخرين إلى اللجنة السياسية المركزية لكنهم ظلوا على صلة بالعمل الطلابي، فقد احتاجت التعبئة للتظاهرات أو أي أعمال مشتركة إلى التنسيق بين هاتين اللجنتين.[1]

كانت هذه المجموعة تتمتع بخبرات جيدة نتيجة لنشاطها الطلابي في الجامعات. فالارتباط والتفاعل اليومي في التفاصيل الحركية والتنظيمية، والصراع والتنسيق مع القوى الأخرى، يسمح بحرية نسبية لا تتوفر في الأحياء، حيث يمارس الإخوان أنشطتهم الدعوية والخيرية. لذا كانت قيادات العمل الطلابي -على مدار تاريخ الجماعة منذ تأسيسها الثاني في أواخر السبعينيات- الأكثر قدرة على التحرك السياسي المفتوح، والتنسيق الجبهوي، وطرح خطاب سياسي منفتح نسبيًا، مقارنًة بالقيادات الإخوانية الأخرى.

وقد أطلقت هذه المجموعة على نفسها اسم «مجموعة الثقب الأسود»، وجمعت أفرادها ببعضهم البعض صداقات قوية وصلات شديدة الترابط، نشأت عبر سنوات الدراسة الجامعية. كما ساعدهم نشاطهم الجامعي على توطيد صداقات وعلاقات تفاهم مشترك مع شباب التيارات الأخرى: اليساريين والناصريين. كذلك ساهم تفاعل المجموعة مع القوى المختلفة -الاشتراكيين الثوريين، وكفاية، وشباب من أجل التغيير، وغيرهم- في أنشطة مثل: المظاهرات المناهضة للحرب على العراق، ومؤتمر القاهرة الدولي، ومظاهرات دعم استقلال القضاء، إلخ، في زعزعة الأفكار التقليدية -المهيمنة داخل الجماعة- لديهم، ودفعهم إلى النظر بطريقة مختلفة للقضايا ذات الأولوية، والسياسات المطلوبة للتعامل مع نظام مبارك.[2] لعبت هذه التجربة دورًا

1- هاني محمود، عضو ائتلاف شباب الثورة "مجموعة شباب الإخوان»، والعضو السابق بحزب التيار المصري، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 5 / 11/ 3102

2- المصدر السابق.

إيجابيًا في تكوينهم السياسي، وسمحت لهم بتجاوز الهيمنة الإيديولوجية للجماعة، وبطء تفاعلاتها، وضيق مساحات العمل المشترك بينها وبين القوى الأخرى. والأهم أن هذه التجربة ساعدت المجموعة -جزئيًا- على التمرد والخروج عن سيطرة القيادة الإخوانية.

يشير خالد عبدالحميد، ممثل حركة شباب من أجل العدالة والحرية في المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة، وعضو تيار التجديد الاشتراكي، إلى نجاح ائتلاف شباب الثورة في تأسيس مجموعته التنسيقية، وضم شباب الإخوان إليها، موضحًا: «استطعنا في 18 يوم تكوين أنجح تنسيق سياسي مع الإخوان، فقط لأن العواجيز لم يشاركوا فيه». وكان خالد عبدالحميد نفسه قد اشترك مع محمد القصاص، الذي سيُصبح مؤسس حزب التيار المصري، في تأسيس أول لجنة تنسيقية طلابية مشتركة تضم داخلها إخوانًا وناصريين ووفديين وشيوعيين عام 1996.[3]

إلا أن هذه المجموعة –الثقب الأسود- ظلت لوقت طويل تتبنى مهمة إصلاح الجماعة من الداخل، وبالتالي ضرورة مواصلة العمل كجزء من التنظيم. كما كانت ترى أن تواجدها المؤثر داخل قطاع نوعي ومُهمّ، مثل القطاع الطلابي للإخوان، يمدها بخبرات تنظيمية وسياسية لن تجدها في أي كيان آخر، وأن هذا التأثير سيمتد أثره مستقبلًا على جسد الجماعة، مع صعود القيادات الشابة من أسفل إلى أعلى داخل الهيكل التنظيمي. حتى أنهم ظلوا بعد اعتصام الـ18 يوم يرون أن الخروج عن الجماعة هو ضرب من العبث، بسبب غياب أي بديل حقيقي قادر على تغيير النظام من وجهة نظرهم.[4]

كانوا يؤمنون تمامًا بقوة تنظيم الإخوان، واستحالة حدوث تغيير حقيقي دون الاستناد إلى هذا الجسد التنظيمي الكبير، لذا استمر وجودهم في الجماعة حتى بعد الثورة بأشهر. وكانت استراتيجيتهم قائمة على فكرة تغيير وعي ورؤية القطاع العريض من الطلاب الإخوان، وبناء مجموعة صلبة ودائرة تشبيك قوية محيطة بهم، والكُمُون انتظارًا للحظة بعينها يصبحون فيها مؤثرين داخل ماكينة التنظيم الكبير، واستمروا يتبنون هذا التصور لفترة قصيرة تالية على بدء الثورة.

والملفت أن مجموعة الثقب الأسود كانت تتبنى وجهة نظر سلبية تجاه ظاهرة المدونين الإخوان. هذه الظاهرة التي انتشرت وسط بعض شباب الإخوان مع ظهور حركة التدوين وانتشارها في مصر منذ عام 2004. فكانت مجموعة الثقب الأسود ترى أن حركة المدونين غير مؤثرة، وأن تأثيرها قاصر على المجال الافتراضي لشبكة الإنترنت، ولا تصل رسالتها إلى أعضاء الجماعة. وهي رؤية شبيهة بالرؤية السلبية

3- محمد القصاص أحد مؤسسي حزب «التيار المصري»، وعضو سابق في «ائتلاف شباب الثورة» عن مجموعة «شباب الإخوان ، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 42 / 01/ 3102.

4- إسلام لطفي وكيل مؤسسي حزب "التيار المصري» السابق، وأحد مسؤولي مجموعة "شباب الإخوان» في "ائتلاف شباب الثورة»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 32 ديسمبر 3102

لقيـادات الجماعـة أنفسـهم تجـاه حركـة المدونـين.[5]

وبالنظـر إلى الخلفيـة الاجتماعيـة لقيـادات المجموعـة وسـيرهم الذاتيـة؛ نلاحـظ أن أغلبهـم ينتمـي للشرائـح الدنيـا والوسـطى مـن الطبقـة المتوسـطة، كـما أن أغلبهـم ينتمي لقطاعـات جغرافيـة مركزيـة مثـل: القاهـرة والإسـكندرية والجيـزة، وعواصـم المحافظـات. ويعمـل أغلبهـم في القطـاع الخـاص. وقـد اكتسـبوا خـبرة كبـيرة في العمـل الحـركي والتنظيمـي عـبر نشـاطهم الطـلابي، ومـن بعـده عـبر الأنشـطة المتنوعـة التـي انخرطـوا فيهـا داخـل الجماعـة. كـما أن أعمارهـم متقاربـة للغايـة، فتواريـخ ميـلاد أغلبهـم تـتراوح بـين منتصـف السـبعينيات ومنتصـف الثمانينيـات. هـذه السـمات عمومًـا، والخلفيـات الاجتماعيـة، هـي تقريبًـا نفـس سـمات وخلفيـات أغلـب شـباب الحـركات الاحتجاجيـة الذيـن أسسـوا ائتـلاف شـباب الثـورة، وشـاركوا فيـما بعـد في تأسـيس أحـزاب ثـورة ينايـر.

2. ظاهرتي «الترييف» و«الأقلمة»

يميـل باحثـون مهتمـون بالحركـة الإسـلامية إلى الحديـث عـن فكـرة «ترييـف» الإخـوان أو شـيوع مسـألة «الأقلمـة» -والأخـيرة ظاهـرة بشـكل أكـبر قليلًا مـن ظاهـرة «الترييف»- عـلى الجسـد القيـادي للجماعـة. وأبـرز مـن طـرح هـذه الفكـرة هـو الباحـث حسـام تمام في مقالتـه «ترييـف الإخـوان» التـي نشرهـا عـام 2008، وتحـدث فيهـا عـن أن الجماعـة شـهدت أكـبر عمليـة «ترييـف» في تاريخهـا مـا بعـد عـام 2005. وقـد أدت ظاهـرة «الترييـف» تلـك -مـن وجهـة نظـر تمـام- إلى تحويـل الجماعـة مـن جماعـة مدنيـة في طبيعـة عضويتهـا ونمـط تجنيدهـا والقواعـد واللوائـح المنظمـة لهـا، إلى جماعـة ريفيـة بشـكل كبـير.

«الترييـف» الـذي قصـده تمـام هـو إشـاعة ثقافـة ونمـط علاقـات جديـدة تنتمـي لما قبـل المؤسَّسـيَّة، وتسـتحضر الـولاءات الأوليَّـة، وهـو مـا يختلـف عـما كان سـائدًا منـذ نشـأة الإخـوان كجماعـة حضريـة. وهـو يشـير لأهـم ملامـح هذا»الترييـف»: «افتقـاده للثقافـة والتقاليـد القانونيـة الواضحـة والمرعيّـة، ثقافـة تتوسـل بالقيـم الأبويـة، والطاعـة المطلقـة والإذعـان للمسـؤول التنظيمـي، وانتشـار ثقافـة الثـواب والعقـاب والتخويـف حتـى في العلاقـات التنظيميـة، وسـيطرة الخـوف مـن المختلـف أو المتميـز، مـع الميـل للركـون إلى التماثـل والتشـابه بـين أعضـاء الجماعـة، التـي صـارت تميـل يومًـا بعـد يـوم إلى التنميـط.»[6]

ربـط حسـام تمـام ظاهـرة «الترييـف» التـي زحفـت عـلى جسـد الإخـوان بالانتخابـات

5- المصدر السابق

6- حسام تمام، «ترييف الإخوان»، موقع أون إسلام، (62 / 11/ 8002)، تاريخ زيارة الرابط 7 / 21/ 3102: ptth//:www.malsino.ten/ cibara/nooymalsi/doohrehtorb-milsum/810901-8002-11-62%0002-00-00.lmth

الداخلية للجماعة في نهاية مايو 2008، وهي الانتخابات التي أدت إلى فوز خمسة من أعضاء مجلس شورى الجماعة بعضوية مكتب الإرشاد، ينتمي معظمهم للريف كمنطقة جغرافية أو كثقافة فرضت منطقها على الإدارة العليا للجماعة الإخوانية.[7]

هناك وجهة نظر ثانية متقاربة للغاية يطرحها خليل العناني، الذي يتحدث عن ظاهرة أوسع من «الترييف» هي «الأقلمة»، بمعنى زحف إخوان الأقاليم على الهيكل المركزي للتنظيم. فهو يرى أنه، ومنذ التأسيس الثاني للجماعة في أواخر السبعينيات، كان مجال التجنيد التقليدي وضم أعضاء جدد يتمُّ بشكل أساسي وسط الأقاليم والأرياف لأسباب عدة: أولها سهولة التجنيد؛ وثانيها البعد الأمني، حيث تمتعت الحركة بحضور واسع في الأرياف والأقاليم أكثر من المدن والحواضر؛ وثالثها البعد الاقتصادي والاجتماعي، حيث كانت الجماعة تمثل لأعضائها في الأقاليم والأرياف والمناطق الهامشية وسيلة هامة للترقي والصعود الاقتصادي والاجتماعي. هذا إلى جانب أن الملاحقات الأمنية في الريف والمحافظات الإقليمية كانت غالبًا أقل وطأة من القاهرة والمدن الكبرى، لأسباب كثيرة أهمها الطابع القبلي العشائري وتوازنات القوى داخل القرى.[8]

ذلك يعني أن مسألة «ترييف» أو «أقلمة» القيادة الإخوانية نتج عن انتشار الجماعه وامتدادها في الأقاليم والمناطق الريفية. وأيضًا بسبب انتقال أفراد من قيادات الجماعة الوسطى من الأرياف ومدن الأقاليم للقاهرة، للإشراف لاحقًا على القطاعات، بتكليف من مكتب الإرشاد والأمانة العامة التي كان يتحكم فيها التيار المحافظ.

يرى العناني، بخلاف تمام، أن ظاهرة زحف إخوان الأقاليم وسيطرتهم على التنظيم، حدثت في وقت مبكر، حيث بدأت -من وجهة نظره- منذ منتصف التسعينيات بعد القضية العسكرية الأولى، واعتقال أعضاء مجلس الشورى عام 1995، الذين تلقَّوا أحكامًا عسكرية وصلت إلى خمس سنوات. ساعتها تم تصعيد أعضاء جدد -محسوبين على التيار المحافظ- ليحلوا محل الأعضاء المعتقلين من مجلس الشورى.[9]

منذ هذا التاريخ، أيّ من منتصف التسعينيات، بدأت سيطرة شبه كاملة للتيار المحافظ على إدارة الجماعة، وطغيان كتابات ومنهج التيار التنظيمي على لجنة التربية، والسيطرة على الموارد المالية بإشراف شخصيات من الصقور على أموال الجماعة، وأخيرًا التحكم في قنوات الاتصال داخل التنظيم الكبير باستحداث منصب الأمين العام كما سيأتي لاحقًا. وقد اهتم التيار المحافظ بشكل كبير باستيعاب وتأطير

7- المصدر نفسه

8- خليل العناني، باحث متخصص في حركات الإسلام السياسي، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 71 / 3/ 4102

9- المصدر نفسه

تلـك القطاعـات القادمـة مـن الأقاليـم، التـي تسـيَّدت قيـادة الجماعـة مـع الوقـت.

3. الصراع المكتوم بين الريف والمدينة

لم تكـن ظاهـرتي «الترييـف» و«الأقلمـة» -كـما طرحهـا تمـام والعنـاني- غائبـة عـن ذهـن شـباب الإخـوان المنشـقين. فعـلى حـد روايـة محمـد القصـاص في مقابلتـه مـع الباحـث: كان هنـاك صراع مكتـوم دائـر داخـل الجامعـة بـين شـباب الإخـوان الذيـن يديـرون العمـل الطـلابي في جامعتـي القاهـرة وعـين شـمس، القادمـين مـن المـدن المركزيـة، وبـين طـلاب الأقاليـم القاطنـين في المـدن الجامعيـة.

ظهـر هـذا الـصراع للمـرة الأولى في بدايـات التسـعينيات، عندمـا بـدأ التضييـق الأمنـي عـلى الإخـوان في الجامعـة. ظهـر وقتهـا جيـل مـن طـلاب الأقاليـم (إخـوان المدينـة الجامعيـة)، سـيطروا عـلى النشـاط الطـلابي بدعـم مـن القيـادة المركزيـة للجماعـة. هـذا الجيـل هـو السـابق عـلى جيـل القصـاص وزملائـه. وقـد دفـع إخـوان المدينـة الجامعيـة في اتجـاه تقليـص التواصـل مـع التيـارات السياسـية الأخـرى الناشـطة في الجامعـة، والانكفـاء عـلى العمـل التربـوي، واسـتمر هـذا الوضـع حتـى منتصـف التسـعينيات. مـع ظهـور جيـل القصـاص بـدأ في السـيطرة عـلى قيـادة العمـل الطـلابي وسـحبها مـن طـلاب الأقاليـم، واسـتمر هـذا الأمـر لفـترة طويلـة.[10]

كان نشـاط الإخـوان الطـلابي في هـذا الوقـت يتسـم باللامركزيـة -نسـبيًا- وعـدم التدخل مـن قبـل القيـادات الإخوانيـة. لكـن مـع نهايـات التسـعينيات وبدايـات الألفيـة، بـدأ تدخـل قيـادة الإخـوان في تعيـين مشرفـين مـن طـلاب الأقاليـم -قاطنـي المدينـة الجامعية- عـلى النشـاط الطـلابي، عـلى حسـاب المشرفـين القاهريـن. فتـم الإطاحـة بمحمـد القصـاص مـن مسـؤولية جامعـة القاهـرة، وبعدهـا بعامـين تمـت الإطاحـة بإسـلام لطفـي مـن الإشراف المركـزي عـلى جامعـة القاهـرة، بقـرار مـن باسـم عـودة، الـذي كان يُـشرف عـلى النشـاط الطـلابي. وكان ذلـك دلالـة عـلى زيـادة قبضـة التيـار المحافـظ عـلى مجريـات الأمـور داخـل الإخـوان.[11]

ومـن وجهـة نظـر مجموعـة التيـار المـصري -الثقـب لأسـود- أن إخـوان المـدن تميـزوا بخطـاب منفتـح سياسـيًا، ويركـز عـلى المطالـب الطلابيـة بالجامعـة، ولديهـم ميـل أكـثر للسياسـة عـلى حسـاب الدعـوة. كـما أنهـم حركيًـا امتلكـوا القـدرة عـلى التنسـيق والتشـبيك مـع التيـارات السياسـية الأخـرى بالجامعـة، والحفـاظ في نفـس الوقـت عـلى تميزهـم الحـركي والتكتيـكي. أمـا إخـوان الأريـاف فكانـوا أكـثر تميـزًا في التنظيـم الداخـلي، وأكـثر قـدرة عـلى التعبئـة والحشـد، وأكـثر انقيـادًا وطاعـة للقيـادات الكـبرى، وكانـت

10- محمد القصاص، مصدر سبق ذكره

11- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات الباحث مع: إسلام لطفي، ومحمد القصاص، مصادر سبق ذكرها.

صفاتهـم الشـخصية تميـل أكـثر لمسـألة العصبويـة الحزبيـة، وأولويـة العمـل للتنظيـم على حسـاب القضايـا المرتبطـة بالمجـال خـارج التنظيـم، وتغليـب الدعـوي عـلى السـياسي. وبالتـالي كانـوا أقـل قـدرة عـلى التواصـل مـع التيـارات السياسـية الأخـرى، وكان خطابهـم السـياسي أقـل انفتاحًـا.

ثانيًا: من التمرد إلى الخروج

1. الثورة والصدام مع القيادة الإخوانية

اتخذ شباب الإخوان، الموجودون في قسم الطلاب المركزي بالجماعة، قرارًا بالنزول يوم 25 يناير 2011، مع الدعوة التي انطلقت على صفحة كلنا خالد سعيد، وبدؤوا في التنسيق مع بقية المجموعات الأخرى التي تقوم بالترتيب للتظاهرات. وتولى أفراد المجموعة الأكبر سنًّا مثل إسلام لطفي، ومحمد القصاص، وأحمد نزيلي، وهاني محمود، إدارة التفاوض والضغط على قيادات الجماعة لأخذ موافقة رسمية من المكتب بالنزول. لكن طلب الموافقة على النزول، وفقًا لرواية الشباب، تم رفضه من قبل مكتب الإرشاد، وكان قرار الجماعة حينها، أن يقوم الشباب بالمشاركة، لكن على مسؤوليتهم الشخصية، وبشكل منفرد غير رسمي.[12]

وفي يوم 25 يناير كانت مجموعة الائتلاف، التي تضم شباب الإخوان، تعقد اجتماعًا على رأس كل ساعة في الحديقة التي تقع أمام محل كنتاكي بميدان التحرير. وفي الساعة السادسة مساء اتخذ الائتلاف قرارًا بالاعتصام في التحرير مع الثوار الذين امتلأ بهم الميدان. ورأى شباب الإخوان ساعتها ضرورة إقناع القيادة الإخوانية بالمشاركة في الاعتصام، وأيضًا إقناعها بضرورة التحرك في المحافظات لتخفيف الضغط على القاهرة. حينها أكد القصاص لزملائه أن الجماعة لن تقتنع بفكرة الاعتصام والمشاركة للنهاية، حتى لو جَربوا معها كل الوسائل الممكنة. ثم قام بتخييرهم بين التواجد في الميدان أو الذهاب للضغط على الجماعة، وإن كان هو نفسه يائسًا من قبول الجماعة للمشاركة. قام بعدها كلٌّ من هاني محمود وأحمد نزيلي وإسلام لطفي بالاتصال ببعض القيادات الإخوانية، وفُوجِؤُوا بأن القيادة الإخوانية في الإسكندرية اتخذت قرارًا بعدم المشاركة، ونبهت على الأعضاء بخلوِّ مسؤوليتها من إصابة أي فرد إخواني في الأحداث.[13]

قرر الشباب في التحرير ساعتها الاتصال بمكتب الإرشاد للضغط عليهم للنزول، إلا أن قيادات مكتب الإرشاد -وفقًا لرواية الشباب- رفضت إدخال الجماعة في مشهد لا تعرف مداه أو مصيره، على حد تعبيرهم، ولم يقدموا أي تبريرات مقنعة للشباب بعدم المشاركة. وحسب رواية أحمد النزيلي، أن محمود عزت أبرز قيادات

12- أحمد نزيلي، عضو الهيئة العليا بحزب التيار المصري، وأحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 32 سبتمبر 3102

13- المصدر السابق

الجماعة قال لهم: «بدأ الأمر شعبيًّا، دعوه يُكمل ويسير بشكل شعبي، واجعلوا حركتكم مع الناس إن ظلوا في الميدان ابقوا معهم، وإن غادروا غادروا أنتم أيضًا، ودعونا ننسق مع القوى السياسية الأخرى في مظاهرة الجمعة القادمة».[14]

في مساء 27 يناير 2011، عشية جمعة الغضب 28 يناير، فوجئ الشباب، وهم يُحَّضرون لمظاهرات الغد، أن مكتب الإرشاد اتخذ قرارًا بقصر مشاركة الجماعة على تجمع أعضاء كل مكتب إداري[15] في تظاهرة عند كل مسجد كبير في كل محافظة. كان معنى القرار أن يكتفي الإخوان بالتظاهر عند المساجد الكبرى فقط في المحافظات، والابتعاد عن ميدان التحرير، وقد أُسقط في أيدي الشباب الذين اعتبروا أن القيادة الإخوانية تخلَّت عنهم. وبعد منتصف الليل حتى الساعات الأولى من صباح اليوم الأشهر في تاريخ الثورة المصرية، ظل شباب الإخوان يحاولون التواصل مع مكتب الإرشاد، ومع قيادات المحافظات والمراكز من أجل مدِّ مناطق التجمعات الأساسية للمظاهرات بأفراد من الإخوان، حتى لا تنكشف ظهورهم مع بدء التجمعات والسير إلى ميدان التحرير. كان أغلب رموز القيادات الإخوانية قد أُلقيَّ القبض عليهم في هذه الليلة، مثل عصام العريان ومحمد مرسي وغيرهما، واستطاع الشباب التواصل فقط مع منطقتين في القاهرة لحث قياداتهما على نزول أعضاء الإخوان بها هما إمبابة والطالبية.[16]

نزل الثوار والمجموعات الثورية والسياسية إلى ميدان التحرير يوم 28 يناير، وفي آخر النهار، مع بدءِ السيطرة على الميدان، بدا تمامًا أن الكفة قد رجحت لصالح الثورة، وهنا تعامل الإخوان مع الميدان بدرجة أقل حذرًا، فبدؤوا بالتوافد عليه والمشاركة في الاعتصام.

تصدر ائتلاف شباب الثورة المشهد خلال الأيام الأولى، وبدأت الجماعة -بحكم الأمر الواقع- تترك لشبابها الحرية في التحرك والتنسيق مع المجموعات السياسية الأخرى داخل الائتلاف. لكن ظلت التجاذبات مستمرة بين الشباب وقيادة مكتب الإرشاد. ففي يوم 30 يناير فوجئ الشباب داخل الميدان بأيمن عبدالغني، أحد مسؤولي قسم الطلاب المركزي بالجماعة، يقوم بتوزيع منشور باسم الإخوان رغم الاتفاق العام على عدم رفع شعارات أو لافتات حزبية أو فصائلية، وعدم حديث أي حركة أو جماعة باسم الميدان. كان المنشور أو البيان كارثيًّا -كما وصفه الشباب-

14- مقابلة مع أحمد نزيلي، أحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، مصدر سبق ذكره

15- طبقا للائحة الإخوانية تنقسم الدولة المصرية إلى مكاتب إدارية، فلكل محافظة مكتبها الإداري الذي يشرف على المناطق الواقعة في هذه المحافظة، ويجوز أن تتسع حدود المكتب أو تضيق عن حدود المديرية أو المحافظة، ولكل مكتب إداري مجلس يديره، ويرأس المجلس الإداري رئيس الشعبة الرئيسية أو من يختاره مكتب الإرشاد من الإخوان العاملين الذين يرون فيهم الكفاءة، ولكل مكتب وكيل وسكرتير وأمين مالي، وضمن أعضاء المجلس أيضا رؤساء المناطق في دائرة المكتب الإداري، وأعضاء مجلس الشوري في القطر، ويوزع المكتب الإداري مناطقه في شكل قطاعات لتسهيل مهمة المتابعة في المكتب الإداري، ويضم القطاع الواحد على الأقل ثلاث مناطق: المصدر: مادة 82 و 92، الباب الرابع، قرار رقم 2 - اللائحة المعدلة لجماعة الإخوان المسلمين عام 1591م

16- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات الباحث مع هاني محمود، وأحمد نزيلي، مصدر سبق ذكره.

لا يطالب إلا بإلغاء قانون الطوارئ، وبضعة مطالب أخرى كان الميدان قد تجاوزها بأشواط بعيدة، فقد أصبح يطالب بتنحية مبارك ومحاكمته. دفع هذا شباب الإخوان المشاركين في ائتلاف شباب الثورة إلى تعنيف عبد الغني، ومطالبته بسحب البيان فورًا. وقام عضوان منهما، هما أحمد النزيلي وهاني محمود، بالذهاب إلى مكتب الإرشاد للتحدث مع محمود عزت، بعد أن عَرِفا أنه من أصدر هذا البيان ليحمي ظهر الجماعة في حال تراجع الزخم الثوري. وأخبره الشابان أن البيان يتحدث باسم الإخوان وهو أمر مرفوض في الميدان، وأن المطالب التي يُطالب بها تجاوزها الزمان حيث لم ينكسر فقط قانون الطوارئ، بل أوشك نظام مبارك نفسه على الانهيار.[17]

وفي يوم 2 فبراير 2011 -وهو اليوم الذي أعقب خطاب مبارك الشهير الذي أعلن فيه أنه لن يترشح مرة أخرى للرئاسة- حدث هجوم كبير من أنصار نظامه على الميدان، ونشبت معركة كبيرة انتهت بعدد كبير من القتلى، وهو اليوم الذي سُمِّي لاحقًا بموقعة الجمل. يحكي هاني محمود أنهم عَرِفوا من رشاد بيومي عضو مكتب الإرشاد بعد تنحي مبارك، الذي كان يوم موقعة الجمل مسؤول إداري عن مكتب الإرشاد، أن قادة مكتب الإرشاد قرروا يومها، بعد وصول الأخبار عن الهجوم وعن شائعات احتراق مقري الإخوان في الأخشيد وجسر السويس، انسحاب الجماعة من ميدان التحرير ظنًّا منهم أن المستهدف من الهجوم هو ذبح الإخوان. وبالفعل صدر القرار لمسؤولي وسط القاهرة بإبلاغ الإخوان في الميدان بالانسحاب، وأرسلت مجموعة الشباب أحدهم للتحدث مع محمود عزت، للتفاوض معه حتى يتراجع عن القرار، لكنه أصر على الانسحاب حفاظًا على حياة الإخوان. إلا أن المعركة كانت قد دارت بالفعل في ميدان التحرير، وقاتل أعضاء الجماعة -الذين لم يكن قد وصلهم القرار- بحماسة في المعركة الكبيرة، ولم ينسحب أيًا منهم حينها.[18]

كما رفض شباب الإخوان اللقاء الذي جمع سعد الكتاتني ومحمد مرسي عضوَيْ مكتب الإرشاد بعمر سليمان، وهو الاجتماع الذي حضره ممثلون عن بعض الأحزاب السياسية يوم 6 فبراير.[19]

وبعد 11 فبراير وتنحي مبارك، أصبح مضمون جميع القرارات الصادرة من مكتب الإرشاد إلى شباب الإخوان المشاركين في ائتلاف شباب الثورة لا يحمل سوى معنى واحدًا ومباشرًا: لقد أديتم دوركم.. الثورة انتهت تمامًا بتنحي مبارك.. دَعُوا قيادات الجماعة يديرون المشهد وفقًا لما يرتؤونه.[20]

17- معلومات متقاطعة حصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع هاني محمود، وأحمد نزيلي، ومحمد القصاص، مصدر سبق ذكره.

18- المصدر نفسه

19- المصدر السابق

20- محمد القصاص، مصدر سابق

كانت الجماعة ساعتها تخشى من تحول ائتلاف شباب الثورة إلى تنظيم ذو قاعدة جماهيرية، لذلك رفضوا تمامًا أن يقوم طلابهم بالتنسيق مع أي كيانات جديدة تحسب نفسها على الائتلاف داخل الجامعة. وصار المشرفون في قسم الطلبة المركزي يقومون، بأوامر من مكتب الإرشاد، بإلزام طلابهم برفض استخدام اسم «ائتلاف شباب الثورة» كعنوان لأي تنسيق جبهوي مع القوى الأخرى. فوجود قاعدة طلابية للائتلاف داخل الجامعة، معناه تلقائيًّا تحول إطار له دور تنسيقي وتعبوي جزئي إلى كيان ذو وزن حقيقي، يعتمد على قاعدة اجتماعية قوية مثل طلاب الجامعات. ومن ثَمَّ رفض مكتب الإرشاد صراحة أن يكون للائتلاف لجان فرعية بالمحافظات، وتم توجيه توصية للإخوان في المحافظات بمنع انضمام أي عضو من الجماعة لأي لجنة تابعة للائتلاف. كان الأمر واضحًا كما أخبر محمد مرسي ومحمود أبو زيد محمد القصاص: «لا نريد منافسًا على الأرض للإخوان».[21]

في 27 مايو 2011 دعا ائتلاف شباب الثورة، مع مجموعات سياسية وثورية أخرى، إلى جمعة القضاء ومكافحة الفساد السياسي، التي كانت أهدافها المعلنة هي تطهير الإعلام والقضاء وهيكلة الداخلية. إلا أن الإخوان تخوفوا من تحول اليوم إلى مظاهرة تطالب بالدستور أولًا، والقفز على التعديلات الدستورية التي أسفر عنها استفتاء مارس 2011. هذا غير أن الإخوان ومعهم بقية القوى الإسلامية باتوا يرون أن المسار الدستوري كفيل وحده بتحقيق ما تبقى من مطالب، وأن استمرار الزخم الثوري في الشارع معناه بالضرورة استخدام آليات تعوق تطور هذا المسار. لذا هاجمت وسائل الإعلام التابعة للإخوان والأحزاب الإسلامية الداعين إلى المظاهرة، وأطلقت عليها جمعة الوقيعة أي الوقيعة بين الجيش والشعب من خلال القوى المناوئة للمسار الدستوري.[22]

وفي يوم السبت 28 مايو هاجمت الجماعة شبابها المشاركين في الائتلاف بشدة، وظهر محمود حسين، أمين عام الجماعة، في برنامج تليفزيوني معلنًا أن الإخوان ليس لهم ممثلون في ائتلاف شباب الثورة. صُدمت مجموعة الشباب، وقابلت تصريح أمين عام الجماعة باستغراب واستنكار. وقام القصاص وقتها بالتأكيد على أن مشاركة شباب الإخوان في الائتلاف تم بمعرفة المرشد العام محمود بديع.[23] توالت بعدها الصدامات مع مواقف الجماعة المتتالية، وتحول بعدها صراع شباب الإخوان المشاركين في الائتلاف مع مكتب الإرشاد إلى صراع علني.

21- المصدر نفسه

22- معلومات متقاطعة تحصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع: إسلام لطفي، ومحمد القصاص، وهاني محمود، ومحمد عباس، وأحمد نزيلي، مصادر سبق ذكرها.

23- المصدر نفسه.

2. حزب الحرية والعدالة، المشروع الأخير

أعلـن الإخـوان مبكـرًا، بعـد تنحـي مبـارك مبـاشرة، عـن نيتهـم في تكويـن حـزب تابـع للجماعــة، وقامــوا بتشــكيل لجنــة لــلإشراف عــلى تأســيس الحــزب، برئاســة محمــود غـزلان، وعضويـة محمـد مـرسي وعصـام العريـان وآخريـن، وضمـت اللجنـة أحد الشـباب المشـاركين في الائتـلاف هـو أحمـد عبـد الجـواد. أصبحـت اللجنـة مسـئولة عـن وضـع برنامـج الحـزب، وهيكلـه الإداري، وسياسـاته، وكلفـت عبـد الجـواد بـأن يكـون همـزة الصلـة بينهـم وبـين الشـباب فصـار ينقـل لهـم جميـع ملاحظـات الشـباب.[24]

قامـت مجموعـة الشـباب وقتهـا بإعـادة النظـر في عـدة أوراق سياسـية، كانـوا قـد أعدوهـا سـابقًا وقـت الإعـلان عـن البرنامـج الـذي طرحـه الإخـوان عـام 2007، وذلـك لتحديثهـا، ثـم تقديمهـا إلى اللجنـة المشرفـة عـلى تأسـيس الحـزب. ضمـت تلـك الأوراق سلسـلة مـن التوصيـات تتعلـق بالأمـور التاليـة: ضرورة فصل الحـزبي عن الدعـوي، وفصل الحـزب عـن الجماعـة؛ واعتـماد الديمقراطيـة التشـاركية في الهيـكل التنظيمـي الداخـلي؛ وضرورة اسـتهداف الحـزب لعضويـة مـن خـارج الإخـوان، بحيـث تشـكل قوامـه الرئيـسي (30% مـن العضويـة مـن داخـل الجماعـة، و70% مـن خارجهـا) حتـى إذا تعـثر الحـزب لا يؤثـر ذلـك عـلى الجماعـة مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى لإعطـاء الحـزب فرصـة التحـرك بمرونـة عـن الجماعـة.[25]

وقـد ارتبطـت مسـألة العضويـة هـذه -مـن وجهـة نظـر الشـباب- بطبيعـة وتركيبـة العضويـة الإخوانيـة. فالجماعـة تكويـن ضخـم يضـم عضويـات شـتى، متنوعـة في قدراتهـا ومهاراتهـا، وأغلبيتهـم تميـل إلى العمـل الدعـوي والخـيري، وتسييسـهم حزبيًـا سـيصيب الحـزب والجماعـة بالـضرر. فالحـزب سـيضم أعضـاء غـير أكفـاء وغـير مؤهلـين لممارسـة العمـل السـياسي، كـما أن ذلـك سـيؤثر عـلى النشـاط الدعـوي والخـيري للجماعـة بسـبب انسـحاب أعضاءهـا إلى العمـل السـياسي، وهـو مـا حـدث لاحقًـا بالفعـل.[26]

وقــد اقــترح الشــباب عــلى اللجنــة أن يتــم اختيــار أعضــاء الجماعــة الراغبــين في المشـاركة بالحـزب، عـن طريـق مقابـلات شـخصية تجريهـا سـكرتارية المكاتـب الإداريـة بالمحافظـات، حتـى يتـم انتقـاء الأعضـاء المُسيّسـين، واسـتبعاد مـن تميـل اهتماماتهـم إلى العمـل الدعـوي والخـيري. وكان الشـباب شـديدي الاهتـمام بهـذه المسـألة، حتـى أنهـم أعـدوا وقدمـوا اقتراحـات بتفاصيـل متعلقـة بكيفيـة إجـراء المقابـلات الشـخصية تلـك.[27]

وقـدم الشـباب اقتراحـات أخـرى عديـدة، مثـل: ضرورة اسـتقلال الحـزب عـن الجماعـة

24- معلومات متقاطعة من مقابلات الباحث مع : محمد القصاص، مصدر سابق، هاني محمود مصدر سابق، أحمد عبدالجواد، ممثل عن شباب الإخوان في المكتب التنفيذي بائتلاف شباب الثورة، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 51/ 4/ 5102.

25- المصدر نفسه.

26- المصدر نفسه.

27- محمد عفان، مسؤول لجنة البرنامج بحزب التيار المصري، وأحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة سابقا، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 01 /11/ 3102

على مستوى التمويل، وعن أهمية زيادة الوزن النسبي لعضوية الشباب والنساء، خاصة في المحافظات.[28] أما التوصية الأهم هي ضرورة عودة الجماعة، بعد تأسيس الحزب، إلى التركيز على النشاط الدعوي والخيري، اللذان ابتعدت عنهما خلال العشر سنوات الأخيرة بسبب استنزافها في النشاط السياسي.[29]

وقد اقترح أحمد نزيلي -أحد شباب المجموعة وعضو الهيئة العليا لحزب التيار المصري لاحقًا- أن تقوم مجموعة الشباب بتقديم اقتراحها الخاص حول علاقة الحزب بالجماعة إلى كل أعضاء مجلس شورى الجماعة، وأن يقوموا بعقد لقاءات فردية وجماعية معهم لإقناعهم به. إلا أن الشباب فُوجئوا بإعلان الحزب، كما صُدموا ببرنامجه، المختلف تمامًا عما تم إعداده داخل اللجنة.[30]

3. مؤتمر شباب الإخوان، وفصل قياداتهم

وفي يوم 26 مارس، بالتوازي مع التحضير لتأسيس حزب الجماعة(الحرية والعدالة)، نظمت مجموعة أخرى من شباب الإخوان -بينهم أعضاء ساهموا في تأسيس حزب التيار المصري لاحقًا- بالتنسيق مع مجموعة الشباب المشاركين في ائتلاف شباب الثورة، ما عُرِفَ بـ»المؤتمر الشبابي الأول». وقد طرحوا فيه رؤيتهم لمسائل متعلقة بمستقبل الجماعة، ووضعها القانوني، والعلاقة بين العمل الحزبي والدعوة. كما ناقش المؤتمر تطوير الهيكل التنظيمي للجماعة، والعلاقة بين الحزب والجماعة، وطرحوا مسائل مهمة من بينها استقلالية إدارة النشاط الحزبي عن الأنشطة الدعوية والخيرية كافة. وقُدمت اقتراحات حول ضرورة تحويل الجماعة إلى كيان قانوني، وإشهارها كمؤسسة أو جمعية. ناقشوا كذلك مسائل أخرى متنوعة: ضرورة إدارة حوار بين أعضاء الإخوان على جميع المستويات في كل المناطق والمحافظات، وإنشاء قسم للشباب يهتم بقضاياهم بعد سن الجامعة، وتبني عقد مؤتمرات نوعية في المجالات المختلفة، وتشكيل لجنة متابعة وتطوير في كل محافظة بمشاركة كبيرة من الشباب، وضرورة عدم الجمع بين منصبين في الجماعة والحزب.[31]

وقد حرصت المجموعة التي أشرفت على تنظيم المؤتمر، على أخذ موافقة مكتب الإرشاد وإطلاعه على كل التفاصيل الخاصة بالتنظيم والأوراق المقدمة. وافقت الجماعة في البداية، ثم تراجعت قيادة مكتب الإرشاد -وفقًا لرواية الشباب-

28- المصدر نفسه

29- أحمد نزيلي، مصدر سبق ذكره.

30- محمد عفان، مسؤول لجنة البرنامج بحزب التيار المصري، وأحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 01 نوفمبر 3102

31- محمد شمس، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 03 / 21/ 3102، وانظر أيضا: هاني الوزيري، «شباب الإخوان» يطالبون بتفعيل مجلس شورى الجماعة وتحولها إلى العلانية، المصري اليوم، السبت (62 / 3/ 1102)، تاريخ زيارة الرابط 21 / 1/ 4102 : www//:ptth. #084121/sliated/sweN/moc.muoylayrsamla

ووضعـت محاذيـر قاصـدة مـن ورائهـا التضييـق عـلى الشـباب لإلغـاء المؤتمـر، مـن بينهـا عـدم دعـوة أشـخاص بعينهـم، مثـل: هبـة رؤوف، وعبـد المنعـم أبـو الفتـوح -كان حينهـا لا يـزال عضـوًا بالجماعـة- وأيضًـا منـع الصحافـة والفضائيـات مـن حضـور جلسـات المؤتمـر، وأن يتـم تأجيـل المؤتمـر ليـوم آخـر اقترحتـه الجماعـة، وأن يـزود منظمـو المؤتمـر مكتـب الإرشـاد بأسـماء الـــــ300 شـاب الذيـن سيشـاركون بـه حتـى تتأكـد الجماعـة مـن انتمائهـم التنظيمـي للإخـوان.[32] ثـم تراجعـت بعدهـا الجماعـة رسـميًا عـن الموافقـة عـلى المؤتمـر، وطلبـت مـن منظميـه إصـدار تصريـح إعلامـي يعلنـون فيـه تأجيلـه وإرسـاله إلى موقـع إخـوان أون لايـن.[33]

وفي يـوم المؤتمـر أرسـلت الجماعـة رسـائل لهواتـف جميـع أعضاءهـا، تنفـي فيهـا صلتهـا بالمؤتمـر. وأصـدر محمـد مـرسي تصريحًـا للموقـع الرسـمي للجماعـة، نـوه فيـه بـأن مكتـب الإرشـاد لا يرعـى مؤتمـر الشـباب، وأن «مكتب الإرشـاد لم يوافق عـلى أي عرض لتنظيم مؤتمر للحـوار بـين الشـباب، ومناقشـة أطروحـات تطويـر الجماعـة، وأن ما أشـيع بهذا الصـدد عارٍ تمامًـا من الصحـة».[34]

قـرَّر الشـباب تنظيـم المؤتمر في موعده، وسـمحوا بحضـور مندوبين للصحـف والإعلام لنفي كل التهـم التـي اتُّهمـوا بهـا مـن قبل الجماعـة، التي كان مـن بينها أن المؤتمـر منظم خصيصًا لإشـهار اسـتقالات مجموعـة مـن الشـباب، والهجوم عـلى مكتب الإرشـاد ومجلس الشـورى، والطعـن في التحـركات السياسـية للجماعـة. وحسـب روايـات شـباب الإخـوان في تدويناتهم، فقـد تعرضـوا بعـد انتهـاء المؤتمـر لهجـوم شـديد، وتـم فصـل بعـض أعضـاء المجموعـة التي نظمـت المؤتمـر، وآخريـن مـن الشـباب المشـاركين في ائتـلاف شـباب الثـورة، بعـد تحقيقـات سريعـة أُجريـت عـلى عجل.[35]

أدى المؤتمر وملابسـاته إلى تكريس الصورة السـلبية لدى الشـباب تجاه قيادات الجماعة، حيـث تابعـوا ردود فعلهـم عـلى تنظيـم المؤتمـر، وظهر لديهم مـدى تعنت قيـادة الجماعة وحرصهـا عـلى المركزيـة الشـديدة، وتخوفهـا مـن أي أطروحـات أو مبـادرات تُقلـل مـن سـلطويتها وسـيطرتها، بالإضافـة إلى التنكيـل المندفـع والعنيـف الـذي يصل لدرجـة الحرق المعنـوي خوفًا مـن تكـرار الأمر.[36]

هكـذا تصاعـد الصـدام بـين مجموعـة الشـباب وقيـادة الجماعـة: قيـام مكتـب الإرشـاد

32- محمد شمس، مؤتمر شباب الإخوان الأول، حلقات مسلسلة ترصد المؤتمر وظروفه نشرها محمد شمس عضو الإخوان وحزب «التيار المصري» السابق على صفحته على موقع "فيسبوك»، (71 / 4/ 3102) شوهد في 2 / 2/ 4102 : https://goo.gl/mMb9C2. (ملحوظة: قام المصدر بغلق الملاحظات السابقة على صفحته على فيسبوك)

33- المصدر نفسه

34- عبدالجليل الشرنوبي، د. مرسي: مكتب الإرشاد لم يوافق على مؤتمر الشباب يوم السبت، موقع إخوان أون لاين، (62/ 3/ 1102)، تاريخ زيارة الرابط 1/ 3/ 4102: http://www.ikhwanonline.com/print.aspx?ArtID=81284&SecID=0

35- محمد شمس الدين، أحد شباب الإخوان الذين نظموا المؤتمر الأول لشباب الإخوان، وعضو سابق بالتيار المصري، مصدر سبق ذكره

36- معلومات متقاطعة تحصل عليها الباحث من خلال مقابلته مع : محمد شمس، مصدر سبق ذكره، و محمد عباس، عضو المكتب التنفيذي لإئتلاف شباب الثورة عن شباب الإخوان «سابقا» وعضو بـ «حزب التيار المصري»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 11 ديسمبر 3102.

بإعاقة عمل الشباب خلال اعتصام الـ18 يوم؛ ثم إعلان الجماعة عن تأسيس الحزب، وتمرير الأمر في مجلس الشورى بشكل مفاجئ، وباستبعاد متعمد لتوجهات الشباب؛ وبعدها اتخاذ قرار متعنت بمنع أي عضو في الجماعة من الانضمام لحزب غير حزبها؛ وأخيرًا ما جرى من أحداث تتعلق بمؤتمر الشباب. ولأن هذه الفترة نفسها شهدت فشل محاولات تحويل ائتلاف شباب الثورة إلى حركة أو حزب سياسي، لذا تضافرت كل العوامل لدفع الشباب إلى الخروج من الجماعة، والاندفاع في تأسيس تجربة جديدة بعيدً عنها للمرة الأولى.[37]

37- المصدر السابق

ثالثًا: تأسيس حزب التيار المصري

1. بداية التجربة

قررت المجموعة في مايو 2011، بعد الانفصال عن الإخوان، البدء في تأسيس حزب يُعبر أكثر عن انحيازات الثورة، ويُصبح امتدادًا لائتلاف شباب الثورة، الذي فشل في التحول لحزب أو حركة واسعة. وبحيث يعتمد الشباب على هذا الحزب في استكمال مسار الثورة، وأن يتجاوزوا من خلاله الاستقطاب الديني-العلماني الذي تفاقم في المجال السياسي، مستلهمين تجربة التوحد التي كانت في الميدان طوال اعتصام الـ18 يوم. وقدرت المجموعة ساعتها أن طرحهم لحزب إسلامي سيحرق التجربة سريعًا، وسيعمق أكثر الانقسامات التي شهدها السياق السياسي بعد استفتاء مارس.[38]

لم يكن لدى الشباب لَبس بخصوص المهمة التي طرحوها على أنفسهم، وكانوا واعين تمامًا أنهم بصدد تأسيس حزب وليس حركة ثورية، لأن المسار الثوري اتجه بعد استفتاء مارس إلى التحول الدستوري والتنافس الحزبي. وكانت تصوراتهم المتعلقة بالوضع السياسي القائم ساعتها، وأي مواقف وسياسات عليهم تبنيها، واضحة في أذهانهم ولديهم توافق كامل حولها، أما الأمور المتعلقة ببناء الحزب وبرنامجه ومشروعه السياسي فلم تكن قد اكتملت لديهم بعد. فكما حرقت الثورة مراحل لديهم في الاستعداد للتحرك المستقل، وهدمت الكثير من الأفكار التقليدية حيال مشروع التغيير، فإنها حرقت أيضًا تصوراتهم الأيدلوجية القديمة، لكنها لم تكن قد منحتهم بعد أيديولوجية جديدة، أو رؤية استرتيجية موحدة. وبدا واضحًا أنهم لا يقفون على أرض واحدة محددة فيما يتعلق برؤيتهم حول كيفية بناء الحزب.

اهتمت المجموعة بشدة وقتها بضرورة فتح باب العضوية للحزب الجديد أمام كل الشباب المستقلين، وتحفيزهم ودفعهم للانضمام. ونجحوا بالفعل في ضم عدد من الكوادر البارزة ضمن شباب الائتلاف، منهم عبد الرحمن فارس، وأسماء محفوظ، والاثنين من شباب حركة 6 أبريل. وناقشوا المجموعة الرئيسية ضمن حركة شباب من أجل العدالة والحرية ودعوهم إلى الانضمام للحزب، إلا أن الانحيازات الفكرية للأخيرين جعلتهم يفضلون الانضمام إلى حزب التحالف الشعبي الاشتراكي.[39]

38- معلومات متقاطعة حصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع محمد عفان، محمد عباس، إسلام لطفي، مصدر سبق ذكره.

39- حضر الباحث في عمله الميداني المناقشات التي دارت بين حركة "شباب من أجل العدالة والحرية» وبين مجموعة "حزب التيار المصري» للتفاوض حول دخول المجموعة الأولى "حزب التيار المصري».

وبعـد سلسـلة مـن المحـاولات التـي لم تحقـق النجـاح المرجـو، تقلصـت العضويـة التـي استهدفها الحـزب عـلى المجموعـات القريبـة منهـم، سـواء مـن الإخـوان السـابقين، أو الشـباب الإسـلاميين المسـتقلين، بالإضافـة إلى قادمـين جـدد لعـالم السياسـة، لكنهـم أصحـاب ميـول محافظـة نوعًـا مـا.

2. أفكار الحزب الأساسية

عُقـدت عـدة لقـاءات لمناقشـة المـشروع، وتـمَّ الاسـتقرار عـلى تنظيـم لقـاءات تعريفيـة بالحـزب لمـن يريـد المشـاركة والانضـمام مـن أعضـاء الائتـلاف العاديـين، ومـن دوائـر شـباب الإخـوان المسـتقيلين، أو الذيـن لديهـم تحفـظ عـلى أداء الجماعـة ومسـارها السـياسي.

كـما تـمَّ تقسـيم الحـزب إلى عـدة لجـان: لجنـة المحافظـات، ولجنـة التمويـل، ولجنـة العمـل الجماهـيري. وشُـكلت لجنـة ضمـت مجموعـة شـباب الإخـوان بالائتـلاف، مـع بعـض شـباب الإخـوان السـابقين الآخريـن، بهـدف صياغـة مـشروع الحـزب ورؤيتـه، وشـارك فيهـا محمـد عفـان، وإسـلام لطفـي، وعبدالرحمـن الزغيمـي، ومحمـد شـمس، وآخريـن. كان الخـط الأسـاسي الـذي عملـوا عليـه، هـو أن عـلى الحـزب التحـرك في ثلاثـة محـاور أساسـية هـي: الديمقراطيـة التشـاركية، وتجـاوز الاسـتقطاب السـياسي، وأن يُصبـح أداة في يـد الجماهـير معـبرًا عنهـا مـن خـلال برنامـج يجسـد أهـداف هـذه الجماهـير بشـكل حقيقـي.[40]

حـدث في ذلـك الوقـت أن التقـى محمـد عفـان، المسـئول عـن صياغـة البرنامج، بناشـطة سياسـية مـن الحـزب الشـيوعي الفرنـسي، خـلال مشـاركته في مؤتمـر بفرنسـا. وقـد تأثـر بشـدة بتصوراتهـا حـول بنـاء الحـزب، فقـد أوضحـت لـه أن السياسـة تجـاوزت فكـرة الحـزب الـذي تحملـه الجماهـير إلى السـلطة عـبر البرلمـان، وأن الأحـزاب لا بـدَّ أن تصبـح أداة الجماهـير للتأثـير في السـلطة وطـرح السياسـات التـي تعـبر عـن مطالـب الشـارع من أسـفل لأعـلى وليـس العكـس. قـام عفـان بعدهـا بصياغـة اقـتراح مبني عـلى هـذا التصور، وقدمـه إلى اللجنـة: أن يتـم بلـورة برنامـج الحـزب عـبر لقـاءات يقـوم بهـا أعضـاءه مـع مجموعـات جماهيريـة مختلفـة، عـمال، وفلاحـين، ومهنيـين، وفنانـين، وطـلاب جامعـات، وغيرهـم. بعدهـا طـورت اللجنـة مجموعـة مـن الأفـكار الأساسـية الحاكمـة للبرنامـج، مثـل: الديمقراطيـة التشـاركية، والتخطيـط بالمشـاركة، وتفعيـل الرقابـة الشـعبية، إلـخ. هـذا إلى جانـب التأكيـد عـلى مسـألة تجـاوز الأيديولوجيـا التـي طرحتهـا المجموعـة منـذ الجلسـات العريفيـة، واعتبرتهـا نقطـة مركزيـة في توضيـح مـشروع الحـزب.[41]

40- محمد عفان، مصدر سبق ذكره

41- محمد عفان، مصدر سبق ذكره

كان المعنى المقصود من مسألة تجاوز الأيديولوجيا (post-ideology) هي ضرورة الابتعاد عن الحضور الأيديولوجي الكثيف في البرنامج والخطاب السياسي، والتركيز على الأطروحات المتعلقة بتحسين السياسات العامة والإدارة الحكومية. وتوجيه النقاط البرنامجية إلى تقديم علاج للمشاكل الجزئية، على غرار: تغيير طبيعة الجهاز الإداري للدولة، وتطوير كفاءة التكنوقراط الذين يديرون هذا الجهاز، إلخ. فقد سيطرت على قناعة المجموعة المؤسسة للحزب منذ البداية مسألة أن عصر الأيديولوجيات الصلبة والكبرى انتهى للأبد. وكانوا متأثرين في ذلك بالثورة التي طرحت أهدافًا عامة تمثلت في العيش والحرية والعدالة الاجتماعية.[42]

ومن الناحية التنظيمية، ظهر بوضوح أن المجموعة المؤسسة كانت متأثرة بشدة بتجربتها داخل الإخوان، وكان لديها تصميم شديد على بناء هيكل تنظيمي للحزب على نقيض التنظيم الإخواني. هكذا مثلًا اهتموا بشدة بآليات الديمقراطية الداخلية، واعتماد اللامركزية في كل أوجه النشاط، إلخ. كانوا مصرين على تجاوز التجربة الإخوانية، برؤيتها السياسية التقليدية، وخطابها السياسي، وتكوينها التنظيمي المغلق، والاعتماد على كتلة حرجة مؤثرة في صناعة القرار وإدارة التنظيم. وصل الأمر إلى أنهم وضعوا شرطًا ألا يتجاوز عُمر عضو المكتب السياسي للحزب الخامسة والأربعين عامًا.[43]

3. عقبات تأسيس الحزب

أهم عقبة واجهت الحزب كانت ضعف التمويل، وعدم وجود ممولين قادرين على تغطية نفقاته وأنشطته. فأغلب كوادره ينتمون إلى الشرائح الدنيا والمتوسطة من الطبقة الوسطى، ويعملون جميعًا في أنشطة خاصة تعرضت للركود، أو توقفت بسبب انشغالهم في النشاط السياسي. أما عضويته فكان معظمها من الطلبة وحديثي التخرج، الذين لا تؤهلهم حالتهم الاقتصادية للمشاركة في تمويل أنشطة الحزب.[44]

عرقلت مشكلة التمويل قدرة الحزب على جمع التوكيلات المطلوبة لتأسيسه (5000 توكيل) من المحافظات المختلفة. فقد اعتمدت الأحزاب الجديدة التي تشكلت في ذلك الوقت على طريق من اثنين لجمع التوكيلات، الأول هو وجود رموز شهيرة مدعومة من رجال أعمال يُنفقون على الحزب، وفي هذه الحالة تم استكمال التوكيلات بشرائها من مواطنين عاديين. والثاني هو امتلاكها لقاعدة كبيرة

42- المصدر السابق

43- عبدالرحمن هريدي، أحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، وأحد مؤسسي حزب التيار المصري، وعضو مجلس شورى سابق عن الحزب نفسه، مقابلة شخصية مع الباحث، 22/ 11/ 1102

44- معلومات متقاطعة من خلال مقابلة الباحث مع : هاني محمود، وعبدالرحمن هريدي، مصدر سبق ذكره

مـن العضويـة قـادرة عـلى تغطيـة التوكيـلات المطلوبـة، وأبـرز مثـلان هنـا هـما حـزبي الحريـة والعدالـة (الـذي أسسـه الإخـوان المسـلمون) والنـور (الـذي أسسـته الدعـوة السـلفية في الإسـكندرية).

وقـد اختـار شـباب التيـار المـصري أن يقومـوا بجمـع التوكيـلات عـن طريـق ضـم أعضاء يؤمنـون بشـكل جِـديٍّ بخـط الحـزب السـياسي. وفي هـذا الصـدد قامـت المجموعـة بتنظيـم سلاسـل مـن المحـاضرات في مقرهـا المركـزي بالقاهـرة، وأيضًـا في المحافظـات، لـشرح رؤيـة الحـزب وبرنامجـه ومشروعـه وخطـه السـياسي، وهـو مـا سـاعدهم كذلـك عـلى فـرز وتدقيـق العضويـة الجديـدة.[45]

4. عجز الحزب عن تغيير تركيبة عضويته

اقتـصرت عضويـة حـزب التيـار المصري عـلى قطاع ضيـق من الشـباب الجـدد القادمين إلى عـالم السياسـة بعـد الثـورة، إلى جانـب الشـباب الذيـن انشـقوا عـن جماعـة الإخـوان. وظـل نمـط حركتـه أقـرب إلى أسـاليب عمـل الائتلافـات والحـركات الاحتجاجيـة منـه إلى أسـاليب عمـل الأحـزاب. هـذا النمط -أسـاليب عمل الحـركات والتنظيمات الاحتجاجيـة- هو ما طبع ممارسـات أغلـب الأحـزاب الجديـدة التـي اقتـصرت عضويتهـا عـلى الشـباب، كحالـة التيـار المـصري. فبصرف النظر عن المسـميات، لكن الواقع سـاعتها، أن جميـع الحركات والتنظيمات الاحتجاجيـة والأحـزاب الشـبابية الـصرف افتقـدت إلى الروافع الاجتماعية، التـي لم تقدر على تكوينها بسـبب اسـتنزافها في المعارك الثورية، وقلة خبرتها في المجال السياسي. ونتيجة لضعف التمويـل، وغيـاب الكتـل الجماهيريـة الموقعيـة، أصبـح الحـزب عاجـزًا عن تنظيـم المؤتمرات والأنشـطة الجماهيريـة المطلوبـة للدعايـة، وعاجـزًا بالتـالي عن تغيير تركيبـة عضويته.

وبالطبـع أدى اسـتنزاف الحـزب في المعـارك الثوريـة والأنشـطة الاحتجاجيـة إلى تعطيلـه عـن اسـتكمال بنائـه الداخـلي، واسـتكمال توكيلاتـه كي يحصـل على الإشـهار الرسـمي. فبنيته المحـدودة ضمـت بالأسـاس تيار شـبابي منفعـل بالأحداث الثورية بشـكل دائم، تيـار لا يمكن ضبطـه داخـل إطـار تنظيمـي قـادر عـلى التحـرك في ملفات سياسـية عامـة، أو عمـل داخلي رتيـب ومنظـم. ذلـك بالإضافـة لانغـماس مجموعتـه القياديـة -بحكـم وضعهـا السـابق- في الفعاليـات الأساسـية للثـورة منـذ بدايتهـا، وبالتـالي كانـت حـوادث الثـورة المتكررة تسـحب الحـزب بأكملـه نحوهـا، وتعطلـه تمامًـا عـن التحـرك في أي بنـاء تنظيمـي وسـياسي يجعل له وجـودًا حقيقيًا.[46]

عـلى سـبيل المثال لم يسـتطع الحـزب تحقيق التوازن بـين الانخراط في النشـاط الاحتجاجي،

45- نقاش جماعي للباحث مع أعضاء سابقين من "حزب التيار المصري»، مصدر سبق ذكره

46- تحليل توصل عليه الباحث من خلال نقاشه مع : هاني محمود، إسلام لطفي، محمد عباس، أحمد نزيلي، عبدالرحمن هريدي، محمد القصاص، مصادر سبق ذكرها.

وبـين التركيـز عـلى تعبئة الحمـلات المطلوبة للانتخابـات البرلمانية عـام 2012/2011. فالحزب كان أحـد المجموعـات التـي دعـت للاعتصـام في التحرير إبـان أحداث محمد محمـود الأولى، وشـارك أعضـاءه بكثافـة في الاعتصام، وتأسـيس المستشـفى الميـداني. وقد امتد هـذا الاعتصام حتـى الانتخابـات البرلمانيـة، التي علّق الحزب مشـاركته فيها، وهو مـا أدى إلى ضعف دعايته الانتخابيـة حـول أعضـاءه الرشـحين عـلى قائمـة الثـورة مسـتمرة، وانتهـى الأمـر بغيابـه عـن الجولـة الأولى، وهـو مـا انسـحب تأثيره عـلى الجولتين الثانيـة والثالثة.[47]

47- إسلام لطفي، مصدر سبق ذكره

رابعًا: أفول تجربة التيار المصري

1. مصر القوية، حزب يولد وآخر يأفل

كان عبدالمنعم أبو الفتوح من أوائل من أعلنوا ترشحهم لأول انتخابات رئاسية بعد الثورة، ذلك بضغط قطاعات من شباب الإخوان، وبالطبع مجموعة التيار المصري. وقام عدد من الشباب ممن شاركوا في تأسيس التيار المصري، مثل: محمد عثمان، ومحمد الشهاوي، وأحمد عبد الجواد، بالمشاركة في تدشين حملة أبو الفتوح، ثم تفرغوا لها تمامًا فيما بعد، وإن كانوا لم يقطعوا علاقتهم بالتيار المصري.

وبشكل عام تعامل التيار المصري مع حملة أبو الفتوح على أنها امتداد له، وسينضم أغلب أعضائها إلى الحزب إن عاجلًا أو آجلًا. وكان أبو الفتوح نفسه يفكر في عدم تأسيس حزب سواء في حال فوزه أو خسارته، وكانت فكرته ساعتها أن يدعم الحزب الأقرب له سياسيًا وفكريًا، وكان التيار المصري هو المرشح المثالي لذلك.[48]

في مارس 2012 قام التيار المصري بعمل استفتاء داخلي حول المرشح الذي يجب أن يدعمه الحزب في انتخابات الرئاسة، وحصد أبو الفتوح نسبة تأييد 78.2%، ومن ثَمَّ أعلن الحزب تفرغه تقريبًا للحملة بأعضائه كافة في القاهرة والمحافظات.[49]

وقد لعبت كوادر التيار المصري دورًا هامًا في دعم أبو الفتوح، بعد انضمام الحزب إلى حملته، خصوصًا في المحافظات. وأصبحت مجموعة كبيرة من أعضاء الحزب تقوم داخل الحملة بأدوار مختلفة: المكتب التنفيذي للحملة، واللجنة السياسية، ولجنة العمل الجماهيري، واللجنة الإعلامية، ولجنة التنسيق بين المحافظات، وغيرها. وإلى جانب دعم أبو الفتوح، استهدف الحزب بمشاركته في الحملة التفاعل مع الجماهير في المحافظات، ومحاولة استقطاب أعضاء جدد نوعيين من الحملة وضمهم إلى الحزب. عمليًا كان هناك تصور غير مكتوب أن تتحرك المجموعتان اللتان خرجتا من المنظومة الإخوانية نفسها في مسارين مختلفين ليتقابلا في النهاية، إحداهما تقوم بإدارة حزب والأخرى تقوم بإدارة حملة، لكن لم ينجح هذا الأمر.[50]

على جانب آخر بات الإخوان السابقون المشاركون في الحملة -من غير أعضاء التيار المصري- الذين يشكلون نواة الحملة الرئيسية، ينظرون لشباب التيار بتحفز.

48- أحمد نزيلي، مصدر سبق ذكره

49- أحمد جمعة، التيار المصري وشباب العدالة والحرية يعلنون دعم أبوالفتوح، مصرس، (01 / 3/ 2102)، شوهد في 31/ 21/ 3102: ptth:// 4881/aamogle/moc.ssersam.www

50- معلومات تحصل عليها الباحث من خلال : مقابلة مع إسلام لطفي، وهاني محمود، مصدر سبق ذكره.

فوقتها كانت حملة أبو الفتوح تحظى بوزن كبير على الساحة السياسية، وأصبح الكثيرون ينظرون إليه على أنه الرئيس المقبل. من هنا نشأ تحفز كوادر الحملة ضد شباب التيار، حيث أصبح القرب من المرشح الرئاسي يعني الوجود بجواره في القصر الجمهوري.

صار هناك قلق وتحفز من جانب الفريقين واضحًا في ماكينة أخذ القرار داخل الحملة، وفي التحركات اليومية على الأرض. وبعد خسارة أبو الفتوح حاول شباب التيار إقناعه بعدم جدوى تأسيس مشروع جديد، وأن الأصوب هو دمج الحملة بالحزب. إلا أن الفريق الآخر كان يرى ضرورة بناء مشروع جديد يستغل الوزن السياسي والجماهيري للحملة، واسم أبو الفتوح الذي بات رمزًا معبرًا عن تيار كامل.

بدأ بعدها حوار داخلي في الحملة استمر لأسابيع، حول المسار الذي يجب أن تنتهجه الحملة بعد الانتخابات. طرح شباب التيار المصري على أبو الفتوح تصورًا شاملًا، يقوم على التالي: أن يصبح أبو الفتوح زعيمًا ورمزًا لتيار سياسي واجتماعي عريض تجسده حملته، وأن تصبح الحملة ذاتها نواة لمشاريع منفصلة تعمل بشكل لامركزي وتضم في عضويتها عناصر من الحملة والدوائر المحيطة بها، مشروعات تهتم بملفات سياسية نوعية، كقضايا التعليم والصحة والإسكان، وأخرى تهتم بالنشاط في المحليات، وثالثة تهتم بالنشاط في النقابات، إلخ. كما أنه يمكن التعبير عن هذا التيار سياسيًا -من وجهة نظرهم- بأكثر من حزب سياسي، ولا يُشترط أن يكون حزب التيار المصري ممثله الوحيد. وأن يبقى أبو الفتوح بعيدًا عن أي مشروع حزبي بعينه حتى لا يتم استنزافه في مشروع سياسي محدد، وأن تُستغلَّ رمزيتُه لدعم الكيانات أو المؤسسات -السياسية والاجتماعية- المعبرة عن تياره. بينما كان الفريق الآخر يدافع بإصرار عن ضرورة تأسيس حزب جديد يكون على رأسه أبو الفتوح، حتى تتمَّ الاستفادة القصوى من اسمه وزخم حملته.

ومع حسم الأمر لصالح تأسيس حزب مصر القوية، والبدء في جمع توكيلات له، جرت مفاوضات لدمج الحزبين، وتأسست مجموعة مشتركة للإشراف على الاندماج في حالة موافقة الهيئة العليا لكل منهما. ثم تعثر الأمر لأسباب متنوعة حتى داهمت الجميع أحداث 30 يونيو.[51]

وقتها قرر عدد من شباب التيار المصري -ضمن المجموعة الأساسية التي ساهمت في تأسيس ائتلاف شباب الثورة- ربط استمرارهم بالحزب بضرورة اندماج الحزب مع مصر القوية تحت لافتة واحدة. ذلك على أساس أن استمرار انفصال المشروعين

51- معلومات تحصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع: هاني محمود، إسلام لطفي، محمد عباس، أحمد نزيلي، محمد شمس، محمد القصاص، مصادر سبق ذكرها.

يعنـي عـدم قـدرة المؤسسـين عـلى اسـتيعاب الخلافـات الجزئيـة بـين فريقـين ينتميـان لنفـس التوجهـات السياسـية والفكريـة، وبالتـالي عجزهـم عـن بنـاء مـشروع جماهـيري حقيقـي قـادر عـلى كسـب قواعـد اجتماعيـة كبـيرة. ثـم أعلنـوا بعدهـا انسـحابهم مـن التيـار المـصري، وكان مـن ضمـن هـؤلاء: محمـد عفـان، ومحمـد شـمس الديـن، وهـاني محمـود.[52] والحقيقـة أن وجـود مـشروع بديـل مثـل مـصر القويـة يترأسـه أبـو الفتـوح بوزنـه السـياسي، والقـدرات التنظيميـة التـي امتلكتهـا حملتـه الرئاسـية، حفـز الكثيريـن إلى الارتبـاط بـه، بـدلًا مـن المغامـرة مـع حـزب صغـير لم يقـدر حتـى عـلى اسـتكمال توكيلاتـه.

2. الثلاثون من يونيو والخلاف على النزول

مـع انطـلاق الدعـوة لسـحب الثقـة مـن محمـد مـرسي، والمطالبـة بانتخابـات رئاسـية مبكـرة، انقسـم حـزب التيـار المـصري داخليًـا إلى فريقـين: الأول رأى أهميـة الحشـد والمشـاركة في مظاهـرات 30 يونيـو، وكان يمثـل أغلبيـة الحـزب (أغلبيـة الهيئـة العليـا، ولجنـة الاتصـال السـياسي، والمكتـب الفنـي، ومكتـب الطـلاب، ومكتـب المحافظـات)؛ والثـاني، الأقليـة، رفـض المشـاركة تمامًـا في 30 يونيـو، وكان عـلى رأسـه إسـلام لطفـي وكيـل المؤسسـين، الـذي كتـب عـلى صفحتـه رافضًـا مـا وصفـه بالتعـاون مـع «فلـول مبـارك وأشـباههم وأشـياعهم، وضـد إعـادة بعثهـم في الحيـاة السياسـية المصريـة تحـت أي ظـرف أو مـبرر»، وأنهـم لـن يقفـوا في «مشـهد واحـد مـع فلـول أو بلطجيـة النظـام السـابق أو مـع أربابهـم مـن الفاسـدين».[53] واتخـذ الحـزب في النهايـة قـرارًا بالنـزول يـوم 30 يونيـو، الأمـر الـذي ترتـب عليـه اسـتقالة المجموعـة الرافضـة وأبرزهـم إسـلام لطفـي وكيـل مؤسـسي الحـزب.

بعـد 30 يونيـو وجـد حـزب التيـار المـصري نفسـه أمـام أسـئلة وجوديـة، حول اسـتكمال تجربتـه، والأزمـات التـي تقابـل شرعيـة تأسيسـه كتنظيـم حـزبي، وجديـة وجـدوى الأفـكار التـي يطرحهـا، ومـدى قدرتـه عـلى الصمـود وسـط معضـلات التمويـل وانحسـار العضويـة، وانسـحاب أبـرز رمـوزه، إلى جانـب وجـود مـشروع آخـر -مـصر القويـة- مثَّـل عنـصر جـذب شـديد أعـاق تطـور تجربـة التيـار المـصري. وفي النهايـة لم يجـد مـن تبقَّـوا مـن مؤسـسي الحـزب بديـلًا عـن الاندمـاج في مـصر القويـة،[54] الـذي دفعتـه هـو الآخـر الظـروف إلى حالـة مـن التعـثر ثـم الجمـود التـام.

52- معلومات تحصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع هاني محمود، ومحمد عفان، ومحمد شمس، مصدر سبق ذكره

53- إسلام لطفي، بيان إبراء ذمة من خطايا نظام وسفك دماء وخراب دولة، صفحة إسلام لطفي على موقع فيسبوك، (92 / 6/ 3102)، شوهد في 5 / 4/ 4102: UNPCtv/lg.oog//:sptth

54- عادل الدرجلي، «مصر القوية» و«التيار المصري» يندمجان في حزب واحد، المصري اليوم، (1/ 01/ 4102)، تاريخ زيارة الرابط 2 / 11/ 5102 : 231635/sliated/swen/moc.muoylayrsamla.www//:sptth

مراجع الفصل الخامس

- أحمد جمعة، التيار المصري وشباب العدالة والحرية يعلنون دعم أبوالفتوح، مصرس، «10 / 3/ 2012»، شوهد في 13/ 12/ 2013: http://www.masress.com/elgomaa/1884

-إسلام لطفي، بيان إبراء ذمة من خطايا نظام وسفك دماء وخراب دولة، صفحة إسلام لطفي على موقع فيسبوك، «29 / 6/ 2013»، شوهد في 5 / 4/ 2014: https://goo.gl/vtCPNU

- حسام تمام، «ترييف الإخوان»، موقع أون إسلام، «26 / 11/ 2008»، تاريخ زيارة الرابط 7 ديسمبر 2013: http://www.onislam.net/arabic/islamyoon/muslim-brotherhood/109018-2008-11-26%2000-00-00.html

- عبدالجليل الشرنوبي، د. مرسي: مكتب الإرشاد لم يوافق على مؤتمر الشباب يوم السبت، موقع إخوان أون لاين، «26/ 3/ 2011»، تاريخ زيارة الرابط 1/ 3/ 2014: http://www.ikhwanonline.com/print.aspx?ArtID=81284&SecID=0

- عادل الدرجلي، «مصر القوية» و«التيار المصري» يندمجان في حزب واحد، المصري اليوم، «1/ 10/ 2014»، تاريخ زيارة الرابط 2 / 11/ 2015 : https://www.almasryalyoum.com/news/details/536132.

- كوادر وقيادات حزب «التيار المصري» يعلنون الانضمام لاعتصام «رابعة العدوية»، موقع إخوان أون لاين، 2 / 8/ 2013، http://ikhwanonline.com/Article.aspx?ArtID=158709&SecID=250

- محمد شمس، مؤتمر شباب الإخوان الأول، حلقات مسلسلة ترصد المؤتمر وظروفه نشرها محمد شمس عضو الإخوان وحزب «التيار المصري» السابق على صفحته على موقع «فيسبوك»، «17 / 4/ 2013» شوهد في 2 / 2/ 2014 : https://goo.gl/mMb9C2.» ملحوظة: قام المصدر بغلق الملاحظات السابقة على صفحته على فيسبوك»

- هاني الوزيري، «شباب الإخوان» يطالبون بتفعيل مجلس شورى الجماعة وتحولها إلى العلانية، المصري اليوم، السبت «26 / 3/ 2011»، تاريخ زيارة الرابط 12 / 1/ 2014 : http://www.almasryalyoum.com/News/details/121480#

مقابلات

- أحمد محمد عبدالجواد، وهاني محمود، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 12 ديسمبر 2013

- أحمد نزيلي، عضو الهيئة العليا بحزب التيار المصري، وأحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 23 سبتمبر 2013

- إسلام لطفي وكيل مؤسسي حزب «التيار المصري» السابق، وأحد مسؤولي مجموعة «شباب الإخوان» في «ائتلاف شباب الثورة»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 23 ديسمبر 2013

-خليل العناني، باحث متخصص في حركات الإسلام السياسي، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 17 / 3/ 2014

- عبدالرحمن هريدي، أحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة، وأحد مؤسسي حزب التيار المصري، وعضو مجلس شورى سابق عن الحزب نفسه، مقابلة شخصية مع الباحث، 22/ 11/ 2011

-هاني محمود، عضو ائتلاف شباب الثورة «مجموعة شباب الإخوان»، والعضو السابق بحزب التيار المصري، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 5 / 11/ 2013

- محمد القصاص مؤسس حزب «التيار المصري»، والمسؤول السابق لمجموعة «شباب الإخوان» في «ائتلاف شباب الثورة»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 24 / 10/ 2013

- محمد شمس، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 30 / 12/ 2013

- محمد عفان، مسؤول لجنة البرنامج بحزب التيار المصري، وأحد شباب الإخوان بائتلاف شباب الثورة سابقا، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 10 /11/ 2013

■ الفصل السادس

مصر القوية..

الثورة المصرية وتحولات «ما بعد الإسلاميين»[1]

1- هذا الفصل مطور عن ورقة تم نشرها كفصل في كتاب «الثورات العربية: عسر التحول الديمقراطي ومآلاته»، الصادر عن المركز العربي للأبحاث، الطبعة الأولى، بيروت، 2018

مقدمة

جاء تأسيس حزب مصر القوية على يد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وفريق حملته الانتخابية في الانتخابات الرئاسية التي خاضها عام 2012، وكانت تتميز حملة أبو الفتوح بمشاركة عناصر ليبرالية ويسارية وإسلامية فيها، وحظيت بدعم قطاع لا بأس به من الحركات الثورية الشبابية، وطرحت برنامجًا رئاسيًّا يميل إلى خطوط واسعة لطرح ديمقراطي في جانبه السياسي، وإلى أطروحات اجتماعية تميل إلى اليسار في جانبه الاقتصادي، حلَّ عبد المنعم أبو الفتوح في المنزلة الرابعة في انتخابات الرئاسة المصرية، لكن زخم حملته الانتخابية دفع أعضاءها إلى تبني تأسيس مشروع حزبي لمواصلة العمل السياسي.

بعد خسارة الانتخابات الرئاسية، رأت مجموعة الحملة أهمية الاستفادة من الزخم الكبير الذي تكون حول الحملة ورمزها الممثل في أبو الفتوح، والتنظيم الذي أدار الحملة عبر المحافظات المختلفة، وتمكن من حصد المركز الرابع في الانتخابات بعدد أصوات بلغ 4 ملايين و65 ألفًا و239 صوتًا.[1]

أجرت إدارة الحملة تصويتًا إلكترونيًّا داخليًّا للأعضاء المتبقين من جسد التنظيم بها، على الشكل الذي يجب الاستفادة به من مشروع الحملة وأعضائها، وتمثلت الاقتراحات المعروضة للتصويت: 1- تحويل الحملة إلى حزب سياسي وفقط؛ 2- تحويلها إلى مؤسسة تنموية تنشغل بالعمل المجتمعي فحسب؛ 3- تأسيس عدة مشاريع متوازية، منفصل بعضُها عن بعض تمامًا في الجانب الإداري، لكنها مرتبطة على نحو غير عضوي بمشروع الحملة وبرنامجها - حزب سياسي، ومؤسسة مجتمع مدني كبيرة، وجمعية رجال أعمال، وحركة طلابية، وجمعية أهلية صغيرة معنية بالعمل التنموي، ومؤسسة إعلامية، وأخرى للمرأة.[2]

كانت الاقتراحات المختلفة لمشاريع الحملة المستقبلية تجلّيًا للخلفية المتنوعة لأعضاءها ومؤسسيها. فكان قطاع عريض من الحملة من ذوي الخلفيات غير السياسية يرون أن التركيز يجب أن يكون على تطوير المجتمع وتنميته، بعيدًا عن الاستنزاف في المسار السياسي الذي تعمل فيه القوى المختلفة. أما أغلب وجهات نظر المجموعة المؤسسة كانت ترى أن المجال السياسي يحتاج إلى حزب لديه قدرة كبيرة على تصدير خطاب جماهيري، وعلى جذب الصراع السياسي إلى أرضية مختلفة بعيدة عن الاستقطاب الديني/ العلماني الذي اشتعل مبكرًا، أي بعد شهور

1- "العليا للانتخابات: الإعادة بين مرسي وشفيق.. و46.4% نسبة التصويت في الجولة الأولى"، اليوم السابع، (28/ 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 2/ 4/ 2013: https://goo.gl/EWNF1j.

2- محمد هيكل، مقابلة شخصية، القاهرة، 17/ 12/ 2014

مـن الإطاحـة بمبـارك.

دعَّـم 53% مـن أعضـاء الحملـة التحـرك في تأسـيس الحـزب عـلى جسـد الحملـة، وعـلى الرمزيـة التـي اكتسـبها أبـو الفتـوح طـوال سـنة ونصـف السـنة، في حـين أيّـد آخـرون بنِسَـب مختلفـة، التحـرك في تأسـيس مشـاريع أخـرى خـارج دائـرة العمـل الحـزبي[3].

وقـد بـدأ التحـرك بالفعـل في اتجـاه تأسـيس حـزب سـياسي، يعتمـد برنامجـه عـلى النقـاط العريضـة لرؤيـة الحملـة، لكـن بخطـوط أكـثر تفصيـلًا؛ وفي مـوازاة الحـزب تـم تأسـيس مؤسسـة مجتمـع مـدني حملـت اسـم «مـصر القويـة»؛ وعملـت مجموعـة مـن الحملـة بمشـاركة طـلاب كانـوا يقـودون لجـان الحملـة الرئاسـية بالجامعـات على تأسـيس حركـة طـلاب مـصر القويـة، وهـي الحركـة التـي ظهـرت قبـل تأسـيس الحـزب، وكان تأسـيس هـذه الحركـة سريعًـا للغايـة، إذ كان هيكلهـا موجـودًا وجاهـزًا في الجامعـات، فتـم تنشـيط قواعدهـا مـن جديـد، لتخـوض أول انتخابـات طلابيـة لهـا بعـد تأسيسـها بشـهرين، وتحصـل عـلى نسـبة 20%[4] في انتخابـات الاتحـادات الطلابيـة التـي أجريـت في شـهر آذار/ مـارس 2013.[5]

3- ورقة تقييمة غير منشورة لأداء حملة عبد المنعم أبو الفتوح

4- محمد البديوي ورحمة رمضان، "ننشر خريطة القوى الطلابية الصاعدة في مواجهة الإخوان بالجامعات.. طلاب مصر القوية حصدوا 02% من المقاعد بأسيوط ودعموا «مستقلا» لرئاسة اتحاد الجامعة.. والوسط ينافسون في 'البحيرة'"، اليوم السابع، 6/ 3/ 3102، شوهد في 81/ 8/ 6102، في:
EVqx7sSgtxU.#100969=DIsweN?psa.sweN/moc.7muoy.www//:ptth

5- أمل القاضي، "بالأرقام، 'مصر القوية' تعلن حصاد منافستها بانتخابات اتحاد الطلاب بالجامعات"، جريدة الوطن المصرية، 91/ 3/ 3102، تاريخ الوصول للرابط 81/ 8/ 6102، في:
077941/sliated/swen/moc.swennatawle.www//:ptth

أولًا: مفهوم «ما بعد الإسلاميين» وحزب مصر القوية

وُصِفت ثورات الربيع العربي بأنها انتفاضات «ما بعد إسلاموية»، بتعبير عالم الاجتماع الإيراني آصف بيات، حتى وإن كانت نتائجها السياسية في أغلبها أتت في مراحلها الأولى بمكوِّن إسلامي للسلطة.

ينظر آصف بيات إلى ديناميكات الحركة الداخلية لمجتمعات الشرق الأوسط غير المنضبطة في حركات منظمة، بوصفها الأساس الذي تنبني عليه التغييرات الاجتماعية الكبرى مثل الثورات عبر التراكم، وقد تواكبت هذه اللاحركات في انتفاضات الشارع العربي السياسي التي أطاحت بنُظُم سياسية كاملة، في هذه المرحلة التاريخية التي تسود فيها «ما بعديات» السرديات الكبرى التي هيمنت على المنطقة؛ وهي القومية والإسلاموية،[6] ومن هنا عُدَّ الربيع العربي تعبيرًا نموذجيًّا عن لاحركات ما بعد إسلاموية.

تناول آصف بيات ما بعد الإسلاموية باعتبارها 'حالة' و'مشروعًا'، من خلال نقطتين: الأولى، وجود هذه الظاهرة في الوقت الذي تتآكل فيها شرعية وجود الحركات الإسلامية، سواء كانت في المعارضة أو في السلطة، ما يدفعها إلى تجديد نفسها ومراجعة أصولها الفكرية، وبنية مشروعها الفكري والسياسي.[7] أما النقطة الثانية، فظهور الما بعد إسلاموية يأتي بوصفه «محاولة واعية لوضع إستراتيجية ومفاهيم لتخطّي الإسلاموية في المجالات الفكرية والسياسية، فما بعد الإسلاموية ليست معادية للإسلامية أو غير إسلامية أو علمانية، إنها تمثل جهدًا لدمج التدين بثقافة الحقوق، والإيمان بالحرية، والإسلام بالحرية الفردية، إنها محاولة لقلب مبادئ الإسلاموية رأسًا على عقب بالتأكيد على الحقوق بدلًا من الواجبات، والتعددية بدلًا من الأحادية، والتاريخانية بدلًا من النصوص الجامدة، والمستقبل بدلًا من الماضي، وعلى الرغم من تفضيلها للدولة المدنية غير الدينية، فإنها تسعى لإدراج دور للدين في المجال العام».[8]

مثَّل حزب مصر القوية حالة نموذجية لمفهوم ما بعد الإسلاموية هذا من حيث تكوينه الطبقي، ومن حيث برنامجه وخطابه السياسي؛ إذ ركَّز في خطابه السياسي

6- Asef Bayat, "Revolution in bad times," *New Left Review 80*, March-April 2013, accessed on 18/8/2016, at: http://newleftreview.org/II/80/asef-bayat-revolution-in-bad-times

7- محمد العربي، "عرض وقراءة كتاب ما بعد الإسلاموية: الأوجه المتغيرة للإسلام السياسي"، مركز الجزيرة للدراسات، الثلاثاء 18/ 11/ 2014، تاريخ الوصول للرابط 18/ 8/ 2016، في:
http://studies.aljazeera.net/bookrevision/2014/11/2014111865841824759.htm

8- المرجع نفسه

على أهمية حضور الإسلام في المجالين العام والاجتماعي، لكنّ برنامجه لم يعبِّر عن تصور إسلامي خالص، فمن الناحية الاجتماعية وفي رؤيته للدين، صُنّف الحزب -من قِبَل مؤسسيه- في دائرة يمين الوسط؛ كحزب «محافظ اجتماعي وسطي، لكن برنامج الحزب يرفض تدخل الدولة في مساحة الحريات الشخصية 'غير المتعدية على حريات الآخرين'، مع الالتزام بالشريعة الإسلامية في التشريع للأحوال الشخصية، والمحافظة على الأسرة كلبنة أساسية في بناء المجتمع».[9]

التزم الحزب بمسألة المرجعية الإسلامية للتشريع القانوني، وفقًا للمضمون الذي نصت عليه المادة الثانية من الدستور المصري، كما لم يهدف في برنامجه أو خطابه، بخلاف بقية المجموعات الإسلامية الحركية، إلى إقامة حكم نمطُه إسلامي، أو طرح أي تصورات عن فكرة الدولة الإسلامية.

رفض مؤسسو الحزب فكرة الربط بين العمل الدعوي (الرسمي أو الأهلي) والعمل السياسي، سواء أكان ذلك من خلال كيانات دعوية أو من خلال مرجعيات مؤسسية أو شخصية، ورأوا أهمية تقديم تشريعات قانونية تنظم فصل النشاط الديني عن العمل السياسي، كما عدّ المؤسسون حزبهم خارج دائرة الأحزاب العلمانية؛ لأن الحزب يرفض فكرة الفصل التام بين الدين والسياسة، بحكم أن الدين -وفقًا لتعبير أدبيات الحزب- يشكّل جزءًا أصيلًا في حياة المصريين ثقافةً وحضارةً وقيمًا وتشريعًا.[10]

طرح الحزب، في خطابه ورؤيته السياسية والاقتصادية، برنامجًا تعبّر ملامحه الأساسية عن مضمون اقتصادي واجتماعي؛ يميل يسارًا، حيث ركّز البرنامج الذي طرحه الحزب على الحقوق الإنسانية الأساسية، من حرية وحقوق اقتصادية واجتماعية؛ تعليم، وصحة، وسكن، وملبس، وعمل، وغيرها من الحقوق دون تمييز، كما دعم البرنامج تمكين المواطن من التأثير المباشر في صناعة القرار، بدعمه مسألة الديمقراطية التشاركية؛ إذ رآها فرصة لتوسعة مشاركة المواطنين في القرارات السياسية، والسياسات التي لها تأثير مباشر في حياتهم، وعدم الاكتفاء بالاعتماد الكلي على النواب المنتخبين، وضرب احتكار القلة للتمثيل السياسي والانتخاب.[11]

اتجه الحزب اتجاهًا يساريًّا وسطيًّا في دعم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للقطاعات الاجتماعية الأكثر فقرًا، ودعم الاقتصاد الإنتاجي على حساب الاقتصاد الريعي، ووضع كذلك أُطرًا عامّة لهذا التحيز، من خلال برنامج داعم للعمل على

9- محمد المهندس، عضو المكتب السياسي السابق لحزب مصر القوية، مقابلة شخصية، القاهرة، 17/ 12/ 2014.

10- "برنامج الحزب»، صفحة حزب مصر القوية في الفيسبوك، شوهد في 18/ 8/ 2016، في:
https://www.facebook.com/MisrAlQawia/app_137541772984354
وكذا: ورقة بعنوان "الموضعة السياسية لحزب مصر القوية"، ورقة داخلية للحزب غير منشورة

11- للمزيد انظر: «برنامج الحزب»، صفحة حزب مصر القوية في الفيسبوك، تاريخ الوصول للرابط 18/ 8/ 2016، في: https://www.facebook.com/MisrAlQawia/app_137541772984354

إعادة توجيه منظومة الدعم؛ لتقوم بدورها الأساسي في خدمة الكادحين، والمُفقَرين، ودعم الحدّ الأدنى للدخل وليس الأجر فقط، وتفعيله عن طريق توسيع مظلة المعاشات، وإعانة البطالة، والتحويلات النقدية للفئات المستحقة، وعن طريق دورٍ أكبر للدولة في وضع أولوية للإنفاق العام في قطاعَيِ الصحة، والتعليم؛ بحيث يقدم هذان القطاعان الحيَوِيّان خدمات إنسانية متميزة للمواطنين كافّة دون استثناء، وبلا تمييز.[12]

تبنى الحزب في برنامجه مسألة مجانية التعليم في مراحله كافة، ابتداءً بالأساسية منها، وانتهاءً بالجامعية، مع وضع منظومة شاملة للارتفاع بمستوى خريجي التعليم العام (الفني والجامعي)، تعتمد على تكثيف إنفاق الدولة على تدريب المعلمين، وإعادة هيكلة العملية التعليمية، واعتمد أيضًا في برنامجه سياسة الارتقاء بمستوى الخدمات الصحية وتمديد مظلتها لتشمل كل المواطنين بلا تمييز بسبب الفقر أو الإعاقة؛ عن طريق اتباع سياسات متكاملة للرعاية الصحية، تقوم على أسس احترام الإنسانية، وأولوية المريض وخدمته، وليس الاستثمار والتربح من المرض، كما تقوم على تحسين الظروف الوظيفية والمعيشية للأطباء، والعاملين في قطاع الصحّة جميعًا، من خلال هيكل عادل للأجور.[13]

ركَّز الحزب على مسألة اعتماد سياسة ضريبية تعطي الضرائب (المباشرة والتصاعدية) الإسهام الأكبر في الوعاء الضريبي؛ مع هيكلة الضريبة التصاعدية وفق دخول الأفراد بزيادة عدد الشرائح، والتدرج في أسعار الضريبة، مع زيادتها على الشرائح الأعلى، ورفع حد الإعفاء الضريبي، وتخفيض الضرائب لشرائح الدخل المنخفض، وتحصيل الضرائب على الأشكال المختلفة من الثروات الرأسمالية والعقارية، والاستهلاك الترفي، لضمان التوزيع العادل.[14]

وانطلق الحزب من هذه الرؤية في توجيه انتقاداته، لاحقًا، إلى السياسات الحكومية في عهد الرئيس المعزول محمد مرسي، أو في عهد الحكومات القصيرة التي تلت فترة 3 يوليو 2013، وكانت انتقاداته الأهم هي رفضه لدستوري 2012 و2014.

لكن يبدو أن الصيغة البرامجية التي تميل إلى الديمقراطية الاجتماعية بوضوح لا تكفي وحدها لتحليل خطاب الحزب ورؤيته، وهنا يمكن التطرق إلى خلفية أعضائه السياسية والاجتماعية، من خلال مدخل السير الذاتية للناشطين في نظرية الحركة الاجتماعية، وتحليل خلفيات المجموعة على نحوٍ أكثر تفصيلًا.

12- المرجع نفسه

13- المرجع نفسه

14- المرجع نفسه

ثانيًا: السير الذاتية للفاعلين.. ودورها في تشكيل مصر القوية

ضم حراك ثورة 25 يناير مجموعات شعبية مختلفة، لكن القطاع الأبرز كان حشودًا لأفراد ينتمي أغلبهم إلى شرائح الطبقة المتوسطة. ضمّت هذه الحشود قطاعات واسعة من شباب ينتمي جغرافيًّا إلى المدن، تلقى تعليمًا حكوميًّا، وتأثر بثورة التكنولوجيا والاتصالات، وهو محبط بشدة من الخطاب الأبوي لدولة مبارك، ومن القمع الأمني الذي ازداد واتسع خلال السنوات السابقة على الثورة. ولدى قطاع لا بأس به من هذه الشريحة ثقافة شبه محافظة متأثرة بتنويعات مختلفة للخطاب الديني، وخاصة خطاب الدعاة الجدد -وإن حدثت خلخلة كبيرة لهذه الثقافة بعد الثورة- ولم يشارك أغلبهم في عمل سياسي منظم من قبل بسبب موت السياسة في مصر، وانحسارها بين مجموعتين كبيرتين مغلقتين: الإخوان، والحزب الوطني. لذا، كان النشط فيهم غالبًا سيكون مرتبط بمؤسسات أهلية وخدمية مثل «رسالة» و«صُنَّاع الحياة»، أو بمبادرات طلابية مثل نماذج المحاكاة بالجامعات، أو بمؤسسات مجتمع مدني تعمل في القطاع التنموي بالأساس.[15]

توزّعت هذه المجموعة بعد الثورة، فمنهم من ظل مهتمًا بالعمل الأهلي والمدني، مع اهتمامه بالسياسة والمشاركة في فعالياتها الرئيسة مثل: الانتخابات والتظاهرات المختلفة، ومنهم من التحق -ضمن سياسيّين جدد- بأحزاب ومجموعات حركية مختلفة، وكانت من أهم الأحزاب التي ضمت أفرادًا من هذه النوعية أحزاب تميل برامجها وخطاباتها السياسية إلى مساحة الديمقراطية الاجتماعية، مثل: مصر القوية، والمصري الديمقراطي الاجتماعي، والدستور، والعدل.

والحقيقة أن دعم بعض القوى المدنية لحملة أبو الفتوح (الحملة التي خرج منها حزب مصر القوية) انطلق من تصور أن جماهير الحملة كانوا تعبيرًا نموذجيًا عن جمهور الطبقة المتوسطة بشرائحها التي مثلت الجسد الأساس للثورة. إضافة بالطبع إلى تقديرهم للشعبية الكبيرة للحملة، وأنها تحظى بتأييد جماهير غفيرة يمكن أن تنافس مستقبلًا الشعبيةَ والجماهيريةَ الواسعة للإخوان والإسلاميين التقليديين.

على جانب آخر اتخذت قوى مدنية أخرى موقفًا سلبيًا من حزب مصر القوية، لا لشيء إلا لأنه يُعَدُّ حزب الخارجين من الإخوان، أو بالتعبير الذي اشتهر في المجال

15- التحليل السابق لا يغفل دور شرائح عمال المصانع التي كانت قلب الحركة الاحتجاجية قبل الثورة وأثناءها، وكذا دور فقراء المدن من المناطق العشوائية الذين كان لحضورهم في أيام مهمة مثل يوم 28 يناير «دورٌ مفصليٌّ»؛ وخاضوا في أحداث مثل «معركة محمد محمود» مواجهات كبيرة، لكن جاء التركيز هنا على مجموعة سياسية كانوا جزءا أساسيا في بناء تنظيمات حزبية وحركية بعد 25 يناير.

السياسي الـ«إكس إخوان»، مع تجاهل تام لطبيعته الطبقية وتكوينه الاجتماعي، وحتى لقدر الاختلافات الفكرية بين أطراف المجموعة التي خرجت من الإخوان.

وسنجد إذا ما نظرنا بشكل تفصيلي لبنية مصر القوية، أن تكوين الحزب بدأ أساسًا من داخل حملة أبو الفتوح التي خاض بها الانتخابات الرئاسية، والتي تشكلت من قاعدة كبيرة ومتنوعة، أغلبها من القادمين الجدد لعالم السياسة بعد الثورة، وأغلبهم مدينيون ينتمون إلى الطبقة المتوسطة بتنوعاتها، الشريحتان الوسطى والعليا منها على وجه الخصوص. وقد ضمت الحملة، إلى جوار هؤلاء، إسلاميين وإخوانًا سابقين، وقيادات أحزاب ومجموعات مثل: حزب العدل، والجبهة القومية، وحركة مصرنا، وحتى أفراد من حركة 6 أبريل، ويساريين غير منضوين إلى مجموعات حركية منظمة، أو أعضاء سابقين في حركات يسارية.

وُجِدت هذه التشكيلة الكبيرة المتنوعة داخل حملة رئاسية برنامجها غير حزبي، ومواقفها السياسية أشدّ تجاوزًا لفكرة التفصيلات البرامجية، كان الدافع الأساسي يرتكز على دعم شخص ذي رؤية سياسية معبرة عن مطالب الثورة نوعًا ما، ويتبنى برنامجًا يمثل أرضية يتوافق عليها أعضاء حملته التي تضم تيارات مختلفة؛ يسارية وليبرالية وإسلامية ووسطيين.[16]

لكن مع تحوُّل الحملة إلى الحزب، بدأت مجموعات بالانسحاب للتحرك في مسارات حزبية أقرب إليها أيديولوجيًا، ومجموعات أكبر تركت الحملة؛ لأنها لا تفضل العمل الحزبي، ثم استقرت الحملة على أغلب المجموعة القيادية ذاتها؛ لتتأسس لجنة تحضيرية عملت على فكرة الخروج بمشروع لمصر القوية.

هكذا يظهر بوضوح أن حزب مصر القوية لا يمثل تعبيرًا صِرفًا عن أعضاء قادمين من جماعة الإخوان المسلمين، وإنما هو يعكس شرائح متباينة ومتنوعة شكلت بنيته. ضمت الشريحة الأولى قطاعات واسعة من قوى شبابية ثورية، مدنية في الأساس، قادمة من الطبقة المتوسطة، ومعبرة عن تحيزاتها السياسية والاقتصادية، ومحافظة اجتماعيًّا. وضمت الشريحة الثانية أعضاء سابقون في حملة البرادعي، التي لم تكمل مشوارها نتيجة لانسحابه من السباق الرئاسي، وأعضاء من حزب العدل، وحركة 6 أبريل، وحزب الغد القديم الذي أسسه المرشح الرئاسي الأسبق أيمن نور، وحزب التيار المصري الذي لم يكتمل تأسيسه، واندمج لاحقًا في حزب مصر القوية.

أما الشريحة الثالثة، التي تمثل القلب الصلب الذي أسس الحزب، هي مجموعة الإخوان السابقين أو الذين كانوا في دائرة جماعة الإخوان. هذه الشريحة نفسها تضم مجموعات شديدة التنوع ولا انسجام بينها البتّة. والحقيقة هناك خطأ كبير

16- محمد المهندس وممدوح الشايب ومحمد عثمان وأحمد سالم (قيادات في الحزب)، مقابلة جماعية، القاهرة، 18/ 12/ 2014

في اعتبـار المنشـقين عـن الإخـوان مجموعـة واحـدة مصمتـة ومتجانسـة، عـلى العكـس، فهنـاك طيـف واسـع خـرج مـن الجماعـة خـلال منعطفـات الثـورة، لأسـباب متفاوتـة ومختلفـة. بعـض هـذه الأسـباب سـياسي، يتعلـق برفـض مواقـف الجماعـة وممارسـاتها خـلال المراحـل المبكـرة مـن الثـورة؛ وبعضهـا الآخـر إيديولجـي، يتعلـق بالاختـلاف مـع توجـه الجماعـة ورؤيتهـا العامـة لمـا يجـب أن تكـون عليـه الأمـور؛ والبعـض الثالـث تنظيمـي، يتعلـق بالخـلاف عـلى طـرق إدارة الأمـور داخـل الجماعـة والترتيبـات التنظيمية المختلفـة. ويمكـن حـصر أهـم أقسـام الشريحـة الثالثـة هـذه كالتـالي:

أ- مجموعـة المدونـين المنشـقين المختلفـين جذريًـا مـع فكـر الجماعـة: قبيـل الثـورة وبعدهـا ظهـر ضمـن شـباب الإخـوان مجموعـة مـن المدونـين الذيـن فتحـت لهـم الشـبكة العنكبوتيـة مسـاحةَ تواصـل كبـيرة، وأفقًـا معلوماتيًـا لم يتيـسر مثلُـه للأجيـال القديمـة. كـما أتاحـت لهـم الارتبـاط بمجموعـات أخرى مـن المدونـين ذوي خلفيـة ليبرالية ويسـارية، وهـو مـا غـيَّر كثـيراً مـن رؤيتهـم لقضايـا مركزيـة مُحمّلـة بالأسـاس بتصـورات إسـلامية. تحولـوا سـاعتها إلى الاهتـمام بقضايـا الحريـات السياسـية والحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعيـة، وتبنـي أغلبهـم رؤى أكـثر جذريـة للتغيـير السـياسي، وانخرطـوا مـع مدونـين يسـاريين وليبراليـين مسـتقلين أو حزبيـين في أعـمال مشـتركة. وبعـد فـترة قصـيرة بـدأت هـذه المجموعـة في الابتعـاد عـن المنظومـة الإخوانيـة فكـرًا وحركـة، لترسـم وحدهـا خطًّـا جديـدًا في عـالم التدويـن ثـم النـشر المسـتقل مُشـكلةً تواجـدًا وتأثـيرًا مختلفًـا، وإن كان غـير منظـم في شـكل سـياسي أو حـركي. ظهـر مـن بـين هـذه المجموعـة تيـار مـن كتـابِ المقـالات الجـدد، ومدونـون مثـل: عبدالرحمـن منصـور أدمـن صفحـة كلنـا خالـد سـعيد، وتحـول هـؤلاء إمـا لناشـطين مسـتقلين، أو انضمـوا لأحـزاب يسـارية وليبراليـة.

ب- مدونـون ومنشـقون مـن شـباب الإخـوان حملـوا أفـكارًا أكـثر تشـددًا: كان هنـاك قطـاع آخـر مـن مـدوني شـباب الإخـوان أكـثر محافظـة عـلى مسـتوى الأفـكار والحركـة، وانصـب نقدهـم للإخـوان عـلى السياسـة العمليـة وتكتيكاتهـا مثـل الموقـف مـن الانتخابـات التشريعيـة، أو إدارة التنظيـم مـن الداخـل، لكـن لم يطرحـوا آراء نقديـة مغايـرة تختلـف مـع تصـورات الجماعـة وأفكارهـا، وهـو مـا جعلهـم مرتبطـين بالجماعـة ودائريـن في فلكهـا السـياسي والفكـري، حتـى وإن اسـتقال بعضهـم لاحقًـا وصـار مسـتقلًا. وقـد مالـت هـذه المجموعـة للإخـوان مـرة أخـرى بعـد وصـول مـرسي للرئاسـة، ومـا تـلا ذلـك مـن أحـداث، وبعـد الإطاحـة بمـرسي شـكلت حليفًـا للجماعـة وأنصـارًا لهـا عـلى المواقـع الاجتماعيـة وغيرهـا. كـما دفـع تداعـي الأمـور وقتهـا قطـاع منهـم إلى تبنـي أفـكارًا قُطبيـة –نسـبة إلى سـيد قطـب- صريحـة، تنـادي برفـض الديموقراطيـة وتوجـه لهـا نقـد جـذري، إذ ثبـت -من وجهـة نظرهـم- فشـلها، ونـادوا بالعـودة إلى رفـع شـعار «الدولـة الإسـلامية» الصريـح، الذي

يتعارض بكلياته وتفاصيله مع مفهوم الدولة القومية الحديثة.[17] ومع تزايد الصراع بين الجماعة والنظام حدثت هيمنة لهذا الخطاب ومثّل مرجعية فكرية لتكتيكات المواجهة على الأرض، وتبنته قطاعات من شباب الإخوان الذين سادت في صفوفهم أفكار التغيير بالعنف.[18]

ج- الجيل الأكبر من الإخوان السابقين القدامى: كانت هناك مجموعة أخرى انشقت عن الإخوان لأسباب تنظيمية بحتة، دون أي موقف مناقض لمشروع الجماعة الأساسي. كان اختلافهم الرئيسي مع طريقة إدارة الجماعة من الداخل وسيطرة تيار وحيد عليها. بعض رموز هذه المجموعة خرجوا قبل الثورة مثل: محمد حبيب نائب المرشد السابق، ومختار نوح المحامي والنقابي البارز. وبعد الثورة خرج أفراد عديدون خصوصًا بعد ترشح خيرت الشاطر للرئاسة، وانضم جزء منهم إلى حملة أبو الفتوح ثم حزب مصر القوية. إلا أنهم انسحبوا من الحزب فيما بعد بسبب مواقفه المناهضة لسياسات مرسي الإخوان وهم في الحكم، وقد برروا انسحابهم بسيطرة مجموعات ذات خلفية يسارية على الحزب. كان من هؤلاء مصطفى كمشيش عضو المكتب السياسي السابق للحزب، وأحمد عزام، أمين الحزب السابق لمحافظة أسيوط، وحسن البشبيشي أمين الصندوق السابق للحزب.[19]

د- مجموعة شباب الإخوان: هي المجموعة التي اشتهرت بدورها في قيادة القسم الطلابي داخل الجماعة، ومشاركتها الهامة والمؤثرة داخل ائتلافات شباب الثورة. وقد انشقّت هذه المجموعة لاحقًا عن الإخوان، أو تمّ فصلها بتعبير أدق، بعد الثورة بأشهر، كما شاركوا في حملة أبو الفتوح، ومنهم من أسهم في تأسيس الحملة وقيادتها. وبعدها لعبوا دورًا هامًا في تأسيس حزب مصر القوية، وحزب التيار المصري، الذي اندمج لاحقًا في الأول. تبنى هؤلاء مشروع سياسي ديمقراطي ما بعد إسلاموي، وهم يشكلون قسم كبير من أعضاء مصر القوية على المستويين الرأسي والأفقي للحزب. وقد اختلفت هذه المجموعة سياسيًا مع الجماعة في رؤيتها لمسار الثورة، وعارضوها في نهج تعاملها مع النظام السابق، ثم المجلس العسكري. وهم في الأصل أصحاب رؤى إصلاحية ناقدة لبرنامج الجماعة، الذي طرحته في 2004 و2005، وتوجهاتها، وكانوا متأثرين بأصحاب الخطاب الإسلامي المعتدل كراشد الغنوشي، وقريبين من أبو الفتوح وتياره، ومناهضين للتيار المحافظ داخل الجماعة ورموزه (خيرت الشاطر، ومحمود غزلان، ومحمد بديع، ومحمود حسين، وغيرهم). وربما

17- محمد عبّاس، الإخوان والتأسيس الرابع، موقع ساسة بوست، 31 مايو 2015 http://goo.gl/lmjAg2

18- "عربي21" تنفرد بنشر بيان لشباب من الإخوان حول أزمة الجماعة، موقع عربي 21 الإليكتروني، 30 مايو 2015 http://goo.gl/qhSBes

19-هناء عبدالله شلتوت، الدستور ينفرد بكواليس الإطاحة بكوادر مصر القوية من الحزب، موقع جريدة الدستور، 16 فبراير 2014 http://www.dostor.org/193438

تمثل هذه المجموعة نموذجًا واضحًا لظاهرة ما بعد الإسلامويين، الذين رأوا ضرورة طرح تصور أكثر ديمقراطية للمشروع الإسلامي، ويأتي على رأسهم: محمد القصاص، وإسلام لطفي، وعبد الرحمن هريدي، وعلي المشد، ومحمد عفان، ومحمد عبّاس، وأحمد نزيلي، ومحمد المهندس، ومحمد هيكل وآخرين. انضموا جميعًا لحملة أبو الفتوح، وتوزعوا فيما بعد بين الحزبين: مصر القوية والتيار المصري. وقد انسحب بعضهم من العمل الحزبي نهائيًّا بعد 30 يونيو 2013، لكن استمر أغلبهم في مصر القوية، خاصة بعد اندماج التيار المصري داخله.[20]

الجناح اليساري في مصر القوية: تأتي على يسار المجموعة السابقة مجموعةٌ أخرى انشقت عن الإخوان بسبب اختلافها الجذري مع مشروع الجماعة الفكري، ومع مشروع الإسلام السياسي بوجه عام. هؤلاء تأثروا بأفكار راديكالية جعلتهم يتخذون تموضعًا مختلفًا تمامًا عن التموضع القديم الذي اتخذوه وقت وجودهم أو قربهم من الجماعة (نظرًا إلى تباين الوجود داخل الجماعة ما بين مؤيدين أو أعضاء منتسبين رسميًّا إلى التنظيم). وقد رأى هؤلاء، رغم أفكارهم اليسارية الواضحة، أن الانضمام إلى مصر القوية، بخطابه وتركيبته وقوامه التنظيمي، يمنحهم فرص أفضل للتواجد الجماهيري من الانضمام إلى حزب يساري صريح ذو إيديولوجية مصمتة غير جاذبة للجماهير، وهكذا شكّل أفراد هذه المجموعة ما عُرف بالجناح اليساري في الحزب.

لقد تأثرت هذه المجموعة، قبل الثورة، بأفكار اشتراكية متنوعة، وكانت تحمل مزيجًا من الميول اليسارية الجذرية والأفكار الإسلامية التقدمية. ومع انطلاق حملة أبو الفتوح قاموا ببلورة أنفسهم في تيار سياسي صغير، وإن لم يطوروا رؤيتهم بطريقة شبيهة بما طرحته مجموعة اليسار الإسلامي في تونس، التي انشقت عن حزب النهضة في مطلع الثمانينات. ومع الوقت تطورت أفكار هذه المجموعة بشكل أكثر راديكالية، ما دفعهم إلى تأسيس نواة صغيرة موازية للحزب، هدفها تكوين حركة يسارية، لها رؤية وبرنامج يساري واضح، وبنيتها الفكرية والسياسية أشدّ جذريِّة من الحزب. وقاموا بكتابة ورقة تأسيسية، ووضع برنامج تثقيفي حول عناوين ماركسية صرف، مثل: الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية؛ النظرية الماركسية في الدولة؛ الأزمة المالية العالمية فساد أم أزمة رأسمالية؟؛ المجتمع الطبقي واضطهاد المرأة؛ وغيرها. ولاحقًا قام جزءٌ من هذه المجموعة بتأسيس حركة طلاب مصر القوية التي حازت نسبة 20% من مقاعد الانتخابات الطلابية في 2013.[21]

20- معلومات متقاطعة من خلال مقابلات شخصية ومقابلات إنترنت مع : محمد القصاص، ومحمد عفان، وإسلام لطفي، وأحمد عبدالجواد، وهاني محمود (قيادات سابقة في حملة عبد المنعم أبو الفتوح، وحزب التيار المصري الذي تم دمجه لاحقًا في حزب مصر القوية)، 23 و28 ديسمبر 2013، ويناير وفبراير 2014.

21- حضرالباحث نقاشات وورش عمل هذه المجموعة

هكـذا ورغـم أن لا يشـكل كتلـة واحـدة متجانسـة، إلا أن وجـود أبـو الفتـوح عـلى رأسـه صبغـه بلـون واحـد، وانسـحب الموقـف السـلبي لبعـض قـوى الثـورة مـن أبـو الفتـوح عـلى الحـزب بأكملـه، وربمـا تكـون هـذه أهـم نقـط ضعفـه. وربمـا أيضًـا لـو كان مؤسسـوه قـد اختـاروا بـذكاء شـخصية توافقيـة، لا تحمـل إرث تجـارب سـابقة قد تسـبب عبئًـا عـلى حركـة الحـزب وأفـكاره؛ شـخصية تعـبر بوضـوح عـن مسـاحة الوسـط التـي وضـع الحـزب نفسـه فيهـا. هـذا مثـلًا مـا فعلـه مؤسسـو الحـزب المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي، حينـما اختـاروا شـخصية توافقيـة مثـل محمـد أبـو الغـار، قـادرة عـلى جمـع التياريـن الرئيسـيين في الحـزب (اليسـاريين والليبراليـين). كـما رفـض المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي أن يرفـع صراحـة لافتـة تعـبر عـن اليسـار أو الاشـتراكية، لمـا تحملـه هاتـان الكلمتـان مـن تحيـزات قـد تعـوق الحـزب عـن ضـم قطاعـات واسـعة لا تميـل انحيازاتهم بالـضرورة نحـو اليسـار. عـلى عكـس حـزب مـصر القويـة الـذي اختـار لنفسـه الاسـم التسـويقي لحملـة أبـو الفتـوح الرئاسـية.

أخـيرًا، يجـب التأكيـد عـلى أحـد أهـم نقـاط القـوة في مـصر القويـة، وهـي وجـود خـبرات تنظيميـة وحركيـة سـابقة داخـل أنشـطة ضمـت معظـم المجموعـات المشـكِّلة للحـزب. فالتفاعـل الاجتماعـي والسـياسي السـابق عـلى وجـود الحـزب بـين أطرافـه المختلفـة والدوائـر التـي ارتبطـت بـه، أثـر بشـكل إيجـابي عـلى عمليـة بنـاء الحـزب وتفعيـل إطـاره التنظيمـي والسـياسي.

ثالثًا: مصر القوية.. حزب البرجوازية الصغيرة

هنـاك بالطبـع محـاولات تعريـف يسـارية لحـزب مـصر القويـة، شـديدة السـطحية، صـدر أغلبهـا عـن تيـارات تعـادي الإسـلاميين لأسـباب هُويَّاتِيّـة، اعتـبرت الحـزب مجـرد حـزب للإخـوان السـابقين، أو ظهـير للجماعـة. لكـن هنـاك تحليـل ماركسي آخـر، ربمـا يكـون مـن المفيـد عرضـه هنـا، انطلـق تعريفـه لمصر القويـة مـن كونـه حزبًـا للبرجوازيـة الصغـيرة، ويطـرح برنامجًـا برجوازيًـا صغـيرًا بامتيـاز، برنامجًـا ديمقراطيًّـا يتبنـى إصلاحـات اجتماعيـة كأغلـب الأحـزاب الإصلاحيـة ذات الطابـع الديمقراطـي.[22] ومـن وجهـة نظـر هـذا التحليـل، تطـرح هـذه النوعيـة مـن الأحـزاب وهـي خـارج السـلطة في موقـع المعارضـة، خطابًـا ديمقراطيًّـا جذريًّـا وثوريًّـا، لكنـه إمـا أن يكـون طوباويًّـا أو محـدودًا، ويرجـع ذلـك إلى تذبذبهـا الدائـم بسـبب طبيعتهـا البرجوازيـة الصغـيرة، تلـك الطبقـة المحجـوزة بـين طبقتـين كبيرتـين، لهـما مصالـح شـديدة الاختـلاف، هـما البرجوازيـة الكبـيرة (الرأسـماليون)، والبروليتاريـا (الطبقـة العاملـة). تـردد البرجوازيـة الصغـيرة ناجـم عـن تذبذبهـا بـين طـرفي الـصراع، فهـي مـن ناحيـة لهـا مصلحـة في مواجهـة سـيطرة الرأسـماليين الكبـار، لأن وضعهـا الاجتماعـي ينهـار نتيجـة لسـيطرتهم عـلى مفاصـل القـرار السـياسي والاقتصـادي. لكنهـا مـن ناحيـة أخـرى تَعُـدُّ نفسَـها أفضـل حـالًا مـن الطبقـة العاملـة، وهـي مذعـورة دائمًـا مـن التعـرض للانهيـار، بسـبب أزمـات الاقتصـاد، والتحـول إلى جـزءٍ مـن الطبقـة العاملـة. نتيجـة لهـذا الـتردد عـادة مـا تتبنـى البرجوازيـة الصغـيرة مواقـف جذريـة غـير كاملـة، وتقـدِّم تصـورات، لكنهـا لا تقـدم طريقـة لتحقيقهـا.[23]

البرجوازيـة الصغـيرة أيضًـا -وفقًـا للتحليـل نفسـه- طبقـة مشـبَّعة بالخطـاب المجتمعـي السـائد. هكـذا كانـت البرجوازيـة الصغـيرة في روسـيا، قبـل ثـورة أكتوبـر، تتبنـى شـعارات اشـتراكية، وتضـع عناويـن اشـتراكية في أسـماء أحزابهـا، لأن الاشـتراكية وقتهـا -في نهايـة القـرن التاسـع عـشر ومطلـع العشريـن- كانـت الخطـاب الأكـثر انتشـارًا وسـط الجماهـير الروسـية. هكـذا أيضًـا تبنـت قطاعـات كبـيرة مـن البرجوازيـات الصغـيرة الأوروبيـة الشـعارات الفاشـية، التـي كانـت الخطـاب السـائد في عشرينـات وثلاثينـات القـرن العشريـن هنـاك. بينـما كان الخطـاب الإسـلامي هـو المسيطر عـلى الحركـة الاجتماعيـة في إيـران، في سـتينيات وسـبعينيات القـرن العشريـن، بعـد انهيـار مـشروع مصـدّق في

22- رامي صبري كيرلس، ورقة بحثية غير منشورة
23- المرجع نفسه

الخمسـينيات، وهـو مـا دفـع البرجوازيـة الصغـيرة الإيرانيـة للاتشـاح بطابـع إسـلامي، وتبنـي دعايـة إسـلامية في مختلـف مشـاريعها السياسـية، سـواء كانـت عـلى نمـوذج عـلي شريعتـي أو عـلى نمـوذج الخُمينـي.

انطلاقًـا مـن هـذا التحليـل، وطبقًـا للسـياقات التـي عاشـتها مـصر في العقـود السـابقة، سـنجد قطاعًـا كبـيرًا مـن شـباب البرجوازيـة الصغـيرة المصريـة ذو ميـول دينيـة، أو متبنـي لتصـورات عـن التغيـير الاجتماعـي ذات محـددات دينيـة، نتيجـة لانخراطـه في أنشـطة العمـل الدعـوي والجمعيـات الدينيـة الخيريـة. هـذه القطاعـات هـي التـي انجذبـت لحـزب مـصر القويـة وشـكلت قوامـه الرئيـسي، بسـبب خلفيـة مؤسسـه الإسـلامية وخطابـه الإصلاحـي، وتبنـي نـواة الحـزب الرئيسـية خطابًـا إسـلاميًا متجـاوزًا خطـاب الإخـوان التقليـدي.

ومـن وجهـة النظـر هـذه، فـإن هـذا التحليـل يفـسر لنـا كثافـة وجـود قطاعـات مـن شـباب البرجوازيـة الصغـيرة ذوي ميـول ليبراليـة داخـل حـزب الدسـتور، وقطاعـات منهـم ذوي ميـول قوميـة داخـل التيـار الشـعبي، وهكـذا. وهـذا لا يعنـي أن تلـك التقسـيمات صلبـة أو مصمتـة، نتيجـة الارتبـاك في المشـهد، فليـس بالـضرورة كل مـن في الدسـتور ليبراليـين، أو كل مـن في التيـار الشـعبي قوميـين، أو كل مـن في مـصر القويـة مجموعـات مـا بعـد إسـلاموية، وهكـذا.[24]

24- المرجع نفسه

رابعًا: ملامح التنظيم الداخلي للحزب

تأسس حزب مصر القوية، وعلى رأسه الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وهو قائد سياسي معروفٌ قبل الثورة بقربه من التيارات السياسية الأخرى وانفتاحه عليها، وبشخصيته القيادية القادرة على التعبئة والتنظيم على نحوٍ جيّد. وقد لعب تأثيره الشخصي، ثم تأثير حملته لاحقًا، دورًا قويًا في تأسيس الحزب. دور آخر مهم أثر في بناء الحزب، نتج عن وجود مجموعة كبيرة ارتبطت بأبو الفتوح أثناء وجوده في الجماعة، نظرًا لتوجهه الإصلاحي. وهي مجموعة متنوعة ضمت قيادات للعمل المجتمعيّ ذوي خبرة واسعة بالتنظيم والارتباط بالجماهير، وقيادات طلابية سابقة أسهم العمل الجامعي في تكوينهم سياسيًّا وحركيًّا بالقدر الذي سمح لهم بتجاوز الاستقطابات الأيديولوجية، والقدرة على خلق مساحات مشتركة مع الفرقاء السياسيين أكبر كثيرًا من قدرة غيرهم من أعضاء الجماعة.

أعطت خبرةُ العمل الجماعي قيادات شباب الإخوان السابقين قدرةً على التحرك السياسي المفتوح، والتنسيق الجبهوي، وطرح خطابٍ سياسيٍّ أكثر انفتاحًا، نسبيًّا، من القيادات الإخوانية الأخرى. وكان لتفاعل قسم من شباب الإخوان مع كيانات وحركات أخرى، مثل: الاشتراكيين الثوريين، وكفاية، وشباب من أجل التغيير، الفضل في زعزعة كثير من أفكارهم التقليدية المتعلقة بالمسار السياسي قبل 25 يناير، والتفكير في تغيير أدوات التعامل مع نظام مبارك.

كما ساعدهم ذلك على تجاوز استجابات الجماعة البطيئة لتطورات الحركة خارجها، والتحرك –جزئيًّا- خارج سيطرة قيادات الجماعة، وبالتالي على المساهمة الفعالة خلال الأيام الأولى للثورة، ثم الإسهام لاحقًا في تأسيس مشاريع سياسية مختلفة: ائتلاف شباب الثورة، وحزب التيار المصري، وحملة أبو الفتوح، وأخيرًا حزب مصر القوية.

أدت الخلفية الحركية لهذه المجموعة من شباب الإخوان السابقين، واحتكاكهم على مدى سنوات بمجموعات سياسية أخرى، إلى تبنيهم موقفًا رافضًا لطرق إدارة الأمور داخل الجماعة، كان أحد الأسباب الرئيسية لانشقاقهم. وأصبح هذا الموقف وازعًا قويًا أمامهم وهم يلعبون الدور الرئيسي هذه المرة في تدشين تجربة تنظيمية جديدة هي حزب مصر القوية. هكذا مثلًا أرسوا منذ الوهلة الأولى قاعدة إشراك أكبر نسبة من قواعد الحزب في اتخاذ القرار، حتى قبل تأسيسه، وهو ما دفعهم

إلى تنظيم الكثير من ورش العمل داخل لجان الحملة في القاهرة والمحافظات، بعد انتهاء الانتخابات وقبل الإعلان عن الحزب، لتقييم الحملة وإدارة النقاش حول المستقبل.

وبعد إشهار الحزب مباشرة، تم تأسيس لجنة عليا للانتخابات كان لها مهمتان: كتابة لائحة للحزب، ثم الإشراف على أول انتخابات قاعدية كاملة، من اللجان الفرعية حتى المكتب السياسي للحزب.[25] وعملت منذ أول يوم لها على مأسسة الهيكل الداخلي للحزب، ووضع قواعد ديمقراطية لإدارته.

وقد أُقر أن تتشكل الهيئة العليا للحزب من أمناء المحافظات، بالإضافة إلى 15 عضوًا يتمُّ اختيارهم عن طريق رئيس الحزب، ورغم إعطاء اللائحة لرئيسَ الحزب حق اختيار الأعضاءالمعينين، فإنه قام بإرسال خطابات إلى أعضاء الحزب، ليرشحوا له من يرغبون في تعيينهم، وبهذا أشرك رئيسُ الحزب الأعضاء في اختيار تشكيل الهيئة العليا، حتى في الجزء المفترض تعيينه بواسطته.

وتم داخل اللائحة مراعاة أن تراقب مؤسسات الحزب بعضها البعض، فالأعضاء يقومون باختيار الأمين العام للمحافظة، ثم يختار الأعضاء أنفسهم هيئة أخرى اسمها هيئة المحافظة، وهي وحدة مصغرة للحزب داخل كل محافظة، تُكلف بالأعمال التنفيذية، وتختار هذه الهيئة المكتب المعاون للأمين، وهو ما يعني أن مكتب المحافظة يتم اختياره على درجتين انتخابيتين: مرة بانتخاب الهيئة، ومرة بانتخاب المكتب. ثم تقوم الأمانة العامة للحزب (التي يتم تعيينها من قبل الأمين العام للحزب وهي الهيئة المنوط بها العمل التنفيذي للحزب بمستواه الأعلى) بمراقبة المكتب السياسي، وتقوم الهيئة العليا، أيضًا، بمراقبة رئيس الحزب الذي يدير الحزب بالتعاون مع المكتب السياسي. ووفقًا للائحة إذًا لن يكون هناك مجال أمام الأمين العام للاستبداد بشؤون الحزب التنفيذية، ولا مجال أمام رئيس الحزب ولا مكتبه للاستبداد بشؤون الحزب السياسية؛ إذ تراقبهم الهيئة العليا، وتراقب الهيئة العليا هيئات المحافظات التي أتوا منها بالضرورة.[26]

بعد انتهاء اللجنة العليا للانتخابات -التي لم يكن لأعضائها الحق في الترشح- من إدارة الانتخابات وتشكيل الهيئات، تحولت إلى مجلس حكماء، وهي لجنة قضائية تفصل في الشكاوى المقدمة من الأعضاء ضد رئيس الحزب وضد أمينه العامّ، وتُعامَل، بروتوكوليًّا، معاملةَ رئيس الحزب.[27] كما تَفصِل هذه الهيئة العدلية -كما يُطعَن لديها- في القرارات التأديبية التي تُصدرها لجنة الشؤون القانونية بالحزب، أو الأمين العام بصفته، أو رئيس الحزب، أو لجان الشؤون القانونية التابعة للأمانات

25- ممدوح الشايب، عضو المكتب السياسي، وعضو لجنة اللائحة السابق بحزب مصر القوية، مقابلة شخصية، القاهرة، 25/ 2/ 2014

26- المرجع نفسه

27- المرجع نفسه

بالمحافظات، هكذا يتساوى رئيس الحزب مع أصغر عضو به. وقد ألغت بالفعل لجنة الحكماء هذه عديد من قرارات رئيس الحزب، وأمينه العام الحزب، وأمين الصندوق، ولم يملك الثلاثة سوى الانصياع إلى حكمها النهائي.[28]

وقد كرست اللائحة لتوجه الحزب فيما يتعلق بلا مركزية الإدارة. هكذا مثلًا كان لابد من إشراك قواعد الحزب في اتخاذ القرارات المصيرية، مثل: قرار النزول في مظاهرات 30 يونيو، وقرار رفض دستور 2012، ورفض دستور 2014، ذلك عبر استطلاعات رأي واستبيانات داخلية. كما يتم استدعاء الهيئة العليا لإبداء الرأي واتخاذ القرار في جميع الأمور ذات الشأن، حتى في القرارات التي تدخل في صلاحيات رئيس الحزب وحده.

ومن حيث انتشار عضوية الحزب، فقد تواجد الحزب في عديد من المحافظات وفقًا للترتيب الآتي: القاهرة، الجيزة، الإسكندرية، الدقلهية، دمياط، بني سويف، القليوبية، الشرقية، الغربية، البحيرة، سوهاج، أسوان، المنيا، أسيوط، الأقصر، الفيوم، البحر الأحمر. ويشكل الشباب (من 18 إلى 35 عامًا) النسبة الأكبر من عضوية الحزب، والشريحة العُمرية الأكبر داخل مستوياته القيادية. فثمانية من أعضاء المكتب السياسي الحالي، الذي يضم 12 عضوًا، أصغر من أربعين عامًا، واثنان منهم أصغر من خمسة وعشرين عامًا. ويشكل النساء حوالي 20% من عضوية الحزب، لكن يقل وجودهم في مستوياته القيادية.[29]

أما نقطة ضعف الحزب الرئيسية أنه لا يضم أي عضو مسيحي. ويعاني كثيرًا من غياب قيادات الصف الثاني، وندرة الخبراء الاقتصاديين، والخبراء بالسياسات العامة. ويضم أعداد قليلة من العمال والفلاحين مقارنةً بالمهنيين والطلبة.[30] ورغم الجماهيرية النسبية التي تمتع بها الحزب، إلا أنه -على غرار جميع الأحزاب السياسية في مصر- لم ينجح في ضم أقسام من الطبقات الاجتماعية المتوسطة أو الفقيرة، التي يمكن أن تشكل روافع اجتماعية له.

28- المرجع نفسه
29- أحمد فوزي، الأمين العام لحزب مصر القوية، مقابلة هاتفية، القاهرة، 17/ 4/ 2016
30- المرجع نفسه

خامسًا: مصر القوية.. والوصم السياسي

لقد تعرض أغلب المنشقين عن الإخوان (الإكس إخوان) إلى حالة من الوصم باختلاف أفرادهم، وتحيزاتهم، ودرجة قربهم من العمل السياسي، سواء في المجال السياسي، أو مجمل النشاط العام. وقد عانى من ذلك بشكل ملموس كل من حزبي التيار المصري ومصر القوية، بسبب الخلفية التنظيمية السابقة لأبرز مؤسِّسي الحزبين. ذلك رغم مواقفهما وأفكارهما الرافضة لسياسات الإخوان وقراراتهم، طوال شهور الثورة وفترة حكم الإخوان. ومن أبرز مواقف الحزبين كان رفضهما لدستور 2012، الذي خرج من لجنة تأسيسية أغلبيتها من الإخوان والسلفيين. وقد اتخذ مصر القوية ساعتها موقفًا صارمًا مما سماه الهيمنة الإسلامية على كتابة الدستور. ذلك انطلاقًا -كما جاء في بيان أصدره الحزب- من أن «تشكيل الجمعية التأسيسية على أساس المحاصصة الحزبية والسياسية دونما اعتبار للتنوع الطبيعي والحقيقي للشعب المصري أمر غلبت فيه المصلحة الحزبية على مصالح الوطن العليا، كما عمّقت هذه القسمة فكرة الاستقطاب الإسلامي المدني النخبوي البعيد عن الشارع المصري».[31]

ولقد رفض مصر القوية أيضًا الإعلان الدستوري المشبوه الذي أصدره مرسي، ودعا إلى مظاهرات 30 يونيو، وكان ذلك سببًا في استقالة أعضاء إسلاميين من الحزب أعلنوا صراحةً تعارض أفكارهم ذات المرجعية الإسلامية مع انحيازات الحزب وتصوراته،[32] التي من بينها: ضرورة خلق تحالف سياسي جديد، على أرضية خارج دائرة الصراع الديني/ المدني أو الديني/ العلماني.

ورغم مواقف مصر القوية والتيار المصري المناهضة للإخوان وسياستهم، إلا أن أغلب القوى المدنية اتخذت منهما مواقفًا سلبية، خاصة مصر القوية، بسبب وجود قيادي إخواني بارز سابق على رأسه. وقد اتهم مصر القوية بأنه ساحة خلفية للإخوان، وأن أفكاره لا تختلف عن أفكار الجماعة، وأن ما بينهما هو مجرد خلاف تكتيكي.[33]

وكان تحليل بعض الكوادر البارزة في مصر القوية لحالة الوصم هذه، أن تلك

31- "بيان الحزب بخصوص تأسيسية الدستور"، صفحة حزب مصر القوية في الفيسبوك، 18/ 11/ 2012، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: https://goo.gl/F3xGLL

32- هناء عبدالله شلتوت، الدستور ينفرد بكواليس الإطاحة بكوادر مصر القوية من الحزب، مصدر سبق ذكره

33- إسلام جمال، «كمال خليل: 'مصر القوية' هو الحديقة الخلفية لجماعة الإخوان المسلمين"، اليوم السابع، 2/ 5/ 2013، تاريخ الوصول للرابط 18/ 8/ 2016، في:
http://goo.gl/mgE97K

القـوى المدنيـة تتخـذ هـذا الموقـف السـلبي مـن الحـزب انطلاقًـا مـن أجنـدة هُوِيَّاتِيّـة، ومواقـف انتهازيـة. فاختـلاف مـصر القويـة والإخـوان اختـلافٌ جـذريٌّ عـلى المسـتوى الفكـري والسـياسي، عـلى عكـس هـذه القـوى التـي شـارك بعضهـا في تحالـف مـع الإخوان خـلال الانتخابـات البرلمانيـة، مثـل حـزب الكرامـة، وشـارك آخـرون منهـم في اللجنـة التأسيسـية للدسـتور باتفـاق مـع الجماعـة أيضًـا، ثـم خرجـوا منهـا لاحقًـا بعـد محاولـة الإسـلاميين الاسـتئثار بكتابـة الدسـتور.[34]

ويـرى كـوادر مـصر القويـة أن رئيـس الحـزب ومؤسسـه يُعاقَـب عـلى خروجـه مـن الإخـوان مرّتـين، الأولى مـن الإخـوان أنفسـهم الذيـن وقفـوا أمـام ترشـحه بتعنـت واضـح، وتـم وصمـه داخـل الجماعـة بوصفِـه العضـو الـذي خـرج عـن شـورى الجماعـة ورأيهـا. والمـرة الثانيـة مـن القـوى التـي تصـف نفسـها بالمدنيـة، بالتشـكيك فيـه وفي مواقفـه وفي مواقـف حزبـه.[35]

ولقـد حـاول الحـزب بعـد 30 يونيـو مواصلـة العمـل في تنسـيقيات وجبهـات مختلفـة، وإعـادة تنشـيط تنظيمـه الداخـلي بعقـد انتخابـات داخليـة، والحفـاظ عـلى كـوادره القدامـى، لكـن تحـولات المجـال العـام ولّـدت إحبـاط لـدى أعضـاء كثيريـن، وهـي حالـة عامـة وسـط جميـع أحـزاب ثـورة ينايـر. هكـذا انسـحب كثـيرون بطـرق متنوعـة، البعض اسـتقال، والبعـض الآخـر هجـر الحـزب وابتعـد، والبعـض الثالـث انقطـع عـن النشـاط السـياسي كليـة. كـما فقـد الحـزب القـدرة عـلى جـذب عضويـات جديـدة،[36] ليدخـل بعدهـا في مرحلـة جمـود تـام.

34- محمد عثمان، مقابلة شخصية، القاهرة، 12/ 7/ 2015

35- المرجع نفسه

36- نقاشات جماعية وفردية للباحث مع أعضاء مختلفين في الحزب، استقالوا أو جمدوا عضويتهم أو ما زالوا منتظمين في الحزب

مراجع الفصل السادس

العربية

- إسلام جمال، «كمال خليل: ‹مصر القوية› هو الحديقة الخلفية لجماعة الإخوان المسلمين»، اليوم السابع، 2/ 5/ 2013، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://goo.gl/mgE97K
- أحمد عبد الحميد، «القمع وتأثيره على الانسحاب وفك التعبئة: ‹جبهة طريق الثورة› نموذجا»، مبادرة الإصلاح العربي، 4/ 5/ 2016، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://www.arab-reform.net/ar/node/941.
- أمل القاضي، «بالأرقام، ‹مصر القوية› تعلن حصاد منافستها بانتخابات اتحاد الطلاب بالجامعات»، جريدة الوطن المصرية، 19/ 3/ 2013، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://www.elwatannews.com/news/details/149770
- «بيان الحزب بخصوص تأسيسية الدستور»، صفحة حزب مصر القوية في الفيسبوك، 18/ 11/ 2012، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: https://goo.gl/F3xGLL.
- «برنامج حزب مصر القوية»، صفحة حزب مصر القوية في الفيسبوك، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: https://www.facebook.com/MisrAlQawia/app_137541772984354
- ددييه الصاوت وحميدة حمومي، «نظرية الحركات الاجتماعية هياكل، أفعال وتنظيمات: تحليل الاحتجاج الاستشرافي»، مجلة إنسانيات. شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://insaniyat.revues.org/8382
- رامي صبري كيرلس، ورقة بحثية غير منشورة
- «عربي21» تنفرد بنشر بيان لشباب من الإخوان حول أزمة الجماعة، موقع عربي 21 الإليكتروني، 30 مايو 2015 http://goo.gl/qhSBes
- محمدالعربي، «عرض وقراءة كتاب ما بعد الإسلاموية: الأوجه المتغيرة للإسلام السياسي»، مركز الجزيرة للدراسات، الثلاثاء 18/ 11/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2016، في: http://studies.aljazeera.net/bookrevision/2014/11/2014111865841824759.htm

- محمـد مسـعد العـربي، «مـا بعـد مـرسي: أبعـاد التغـيرات السياسـية في مـصر بعـد 30 يونيـو»، مجلة السياسـة الدوليـة، شـوهد في 18/ 8/ 2016، في:
http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/3169.aspx
- محمـد عبَّـاس، الإخـوان والتأسـيس الرابـع، موقـع ساسـة بوسـت، 31 مايـو 2015 .lmjAg2/gl.goo//:http
- محمــد البديــوي ورحمــة رمضــان، «ننــشر خريطــة القــوى الطلابيــة الصاعــدة في مواجهــة الإخــوان بالجامعــات.. طــلاب مــصر القويــة حصــدوا 20% مــن المقاعــد بأســيوط ودعمــوا «مســتقلا» لرئاســة اتحــاد الجامعــة.. والوســط ينافســون في 'البحــيرة'»، اليــوم الســابع، 6/ 3/ 2013، شــوهد في 18/ 8/ 2016، في:
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=969001#.UxtgSs7xqVE
- هنـاء عبداللـه شـلتوت، الدسـتور ينفـرد بكواليـس الإطاحـة بكـوادر مـصر القويـة مــن الحــزب، موقــع جريــدة الدســتور، 16 فبرايــر 2014 http://www.dostor.org/193438
- ورقـة بعنـوان «الموضعـة السياسـية لحـزب مـصر القويـة»، ورقـة داخليـة للحـزب غـير منشورة

الأجنبية

- Sidney Tarrow, *Power in Movement, Social Movements and Contentious Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- Asef Bayat, "Revolution in bad times," *New Left Review 80*, March-April 2013, accessed on 18/8/2016, at:
- http://newleftreview.org/II/80/asef-bayat-revolution-in-bad-times
- Choukri Hmed, "Revue de littérature Mobilisation: Engagement et Désengagement," *The Arab Reform Initiative*, accessed on 17/8/2015, at:
- http://goo.gl/YCqjVU

مقابلات

- أحمـد فـوزي، الأمـين العـام السـابق لحـزب مـصر القويـة، مقابلـة هاتفيـة، القاهرة، 17/ 4/ 2016

- عمـرو عبدالدايـم، عضـو المكتـب الفنـي بحـزب مـصر القويـة، مقابلـة شـخصية، القاهــرة، 10/ 3/ 2015
- عـلا شــهبة، عضـوة سـابقة بحـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكي وجبهـة طريـق الثــورة، مقابلــة شــخصية، القاهــرة، 9/ 3/ 2015
- ممـدوح الشـايب، عضـو المكتـب السـياسي بحـزب مـصر القويـة، مقابلـة شـخصية، القاهـرة، 25/ 2/ 2014
- محمـد عثـمان، عضـو المكتـب السـياسي بحـزب مـصر القويـة، مقابلـة شـخصية، القاهــرة، 12/ 7/ 2015
- محمـد المهنـدس وممـدوح الشـايب ومحمـد عثـمان وأحمـد سـالم، أعضـاء بالمكتـب السـياسي بحـزب مـصر القوية، مقابلـة جماعيـة، القاهـرة، 18/ 12/ 2014
- محمـد المهنـدس، عضـو المكتـب السـياسي السـابق بحـزب مـصر القويـة، مقابلـة شـخصية، القاهـرة، 17/ 12/ 2014
- محمــد هيــكل، عضــو المكتــب الســياسي لحــزب مــصر القويــة ســابقا، مقابلــة شــخصية، القاهــرة، 17/ 12/ 2014
- نقاشـات جماعيـة وفرديـة للباحـث مـع أعضـاء مختلفـين في الحـزب، اسـتقالوا أو جمـدوا عضويتهـم أو مـا زالـوا منتظمـين في الحـزب

■ الفصل السابع

الدستور..

حينما غادر الملك مملكته دون عودة

أولًا: خلفية تاريخية

أحدثـت عـودة محمـد البرادعـي، حامـلًا معـه مطالـب واضحـة للتغيـير عـام 2010[1]، حالـة تفـاؤل كبـيرة في مجـال سياسي كان يشـهد تراجـع، عـلى الأقـل فيـما يخـص المكاسـب الضئيلـة التـي تـم التحصـل عليهـا في عـام 2005. وذلـك قبـل أن تتقلـص هـذه المكاسـب لاحقًـا تحـت ضغـوط أكـبر بكثـير مـن قـوى المعارضـة، سـواء كانـت إصلاحيـة أكـثر مـن الـلازم كالإخـوان المسـلمين، أو جذريـة لكـن هشـة وضعيفـة أكـثر مـن الـلازم أيضًـا، كأغلـب الحـركات الراديكاليـة والاحتجاجيـة التـي مـلأت المشـهد السـياسي في السـنوات العـشر السـابقة عـلى الثـورة.

أتى البرادعـي في لحظـة تراجـع في المجـال السـياسي في مـصر، كان النظـام يسـتعيد فيهـا كل مـا تنـازل عنـه بسـبب الضغوطـات الخارجيـة في عامـي 2004 و2005. فـزج بمعـارض بـارز للنظـام -أيمـن نـور- إلى السـجن، لأنـه تجـرأ وترشـح أمـام مبـارك. وسـاعد عـلى إحـداث فتنـة في حـزب الوفـد أخـرج بهـا مرشـحًا آخـر في الانتخابـات الرئاسـية مـن الحياة السياسـية للأبـد، هـو نعـمان جمعـة، الرئيـس الأسـبق للوفـد. وكبَّـل الحيـاة السياسـية بتعديـلات دسـتورية قيـدت المجـال بأسـوأ مـما كان عليـه الوضـع قبـل 2007. وقـام بتزويـر المحليـات حتـى يدعـم السـلطة المركزيـة بأطـر قاعديـة كاملـة الـولاء لـه. وأطـاح بأمـل المعارضـة الإصلاحيـة، خصوصًـا الإخـوان المسـلمين في التواجـد ببرلمـان 2010. وأشـهر سـيف المحاكـمات العسـكرية، وجعلهـا دسـتورية في وجـه مـن أراد أن يرفـع صوتـه أمـام مـشروع التوريـث.

التفـت رمـوز المعارضـة السياسـية مـن اليمـين والوسـط واليسـار حـول البرادعـي، مُدشِّـنة معـه الجمعيـة الوطنيـة للتغيـير، آملـين أن يسـاعدهم وجـوده في انفراجـة كبـيرة، لكنهـم داخـل أنفسـهم كانـوا متململـين مـن قيادتـه. فهـو ربيـب الإدارة البيروقراطيـة، الرجـل الـذي لم يصافـح يومًـا فقـيرًا، والدبلومـاسي الـذي لم تطـأ قدمـاه الشـوارع قـط، ولم يرَهـا سـوى مـن زجـاج سـيارته الفارهـة. كان بالنسـبة لهـم أداة وكانـوا بالنسـبة لـه مجموعـة مـن السياسـيين القدامـى، لم يعـول عليهـم كثـيرًا، وألقـى كل مشروعـه عـلى كاهـل الشـباب مـن السياسـيين الجـدد، القادمـين تـوًّا إلى عـالم السياسـة. فضـل الرجـل أن يمـارس السياسـة للمـرة الأولى بـأدوات البيئـة التـي عمـل فيهـا خـلال عقـود، أدوات وشـعارات جديـدة لواقـع قديـم شـديد السـوء، إلا أنـه كان محظوظًـا بقـدر كبـير حينـما اندلعـت ثـورة في جـارة عربيـة بعيـدة، ثـورة أعطـت أمـلًا لجمـوع الشـباب المتحلِّقـين

1- عودة البرادعي إلى مصر والتحديات التي تنتظره، بي بي سي العربية، (20/ 2/ 2010)، شوهد في 23/ 12/ 2018: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/02/100220_egypt_elbaradei_dh_tc2

حولـه، وللمجموعـات الاحتجاجيـة السياسـية والعُمّاليـة التـي بذلـت جهـدًا طيلـة فـترة عشريـة الغضـب التـي تلـت بدايـة الألفيـة، والذيـن رأوا أن الثـورة أمـر يمكـن فعلـه بمثـل مـا فعلهـا أقرانهـم هنـاك في شـمال المغـرب العـربي، فتواصلـت الـشرارة مـن تونـس إلى القاهـرة، ثـم اندلعـت الثـورة.

كان للبرادعـي وللجمعيـة الوطنيـة للتغيـير دورًا مـا في الأيـام المشـهودة خـلال الثـورة، لكـن لم يكـن الـدور القيـادي، ولم يتصـدر الرجـل المشـهد، حيـث ألقـتِ الثـورةُ كل أضوائهـا حـول مجموعـة ائتلافيـة جديـدة كلهـم مـن الشـباب، تضامنـوا مـع دعـوة صفحـة كلنـا خالـد سـعيد، وأعطاهـم ميـدان التحريـر قصـب السـبق في قيـادة جـزء كبـير مـن المشـهد. تـوارى السياسـيون القدامـى الذيـن أعطَـوا أنفسـهم لقـب الحكـماء[2] في لجنـة شـكلوها بـذات الاسـم، بعـد أن أدرك المجلـس العسـكري أنـه لا حـول لهـم ولا قـوة في التعبئـة والحشـد، وأن ليـس ثمـة كلمـةٌ لهـم عـلى الجمـوع المُتمركِـزة حـول الكعكعـة الحجريـة. ثـم تـوارى المشـهد عـن الشـباب، حيـث أفـل زخـم الثـورة، ودخـل الجميـع في سـباق التنافـس عـبر الصناديـق لتحديـد شـكل النظـام السـياسي، وبـدأ الجميـع ينفـض إمـا إلى حزبـه، أو حملتـه الرئاسـية، أو معسـكره السـياسي الجديـد.

شـارك جـزء مـن الشـباب الـذي التـف حـول البرادعـي في تأسـيس أبـرز ائتـلاف داخـل المشـهد الثـوري، وهـو ائتـلاف شـباب الثـورة، الـذي ضـم تمثيـلات متنوعـة مـن الحـركات والأحـزاب القديمـة والجديـدة، ثـم شـارك أغلـب هـذا الجـزء لاحقًـا -بعـد أن ذَوَى وجـود الائتـلاف وتـلاشى- في تأسـيس حـزب الدسـتور.

قبـل الخامـس والعشريـن مـن ينايـر كانـت هنـاك ثـلاث مجموعـات عبرت عـن مطالب البرادعـي، أو ارتبطـت بـه؛ الإطـار الأول هـو الجمعيـة الوطنيـة للتغيـير، ومنسـقها العـام هـو محمـد البرداعـي، الـذي عمـل عـلى تأسيسـها بعـد عودتـه مبـاشرة مـن فيينـا لمـصر في بدايـات عـام 2010، مـع مجموعـة كبـيرة مـن رمـوز القـوى السياسـية مثـل: حمديـن صباحـي، وأيمـن نـور، وحسـن نافعـة، وسـعد الكتاتنـي، وجـورج إسـحق، وعـلاء الأسـواني، وعبدالجليـل مصطفـى، ومحمـد أبـو الغـار، وأسـامة الغـزالي حـرب، وعصـام سـلطان وآخريـن.[3] والمجموعـة الثانيـة التـي ارتبطـت بالبرادعـي ومشروعـه هـي مجموعـة الحملـة الشـعبية لدعـم البرادعـي-لازم، ومنسـقها عضـو مجلـس الشـعب السـابق مصطفـى النجـار. والمجموعـة الثالثـة هـي حملـة دعـم البرادعـي ومطالـب التغيير-معًـا سـنغير، والتـي انشـقت عـن الثانيـة إثـر تصاعـد الخـلاف بينهـا وبـين المنسـق العـام لـلأولى، لأسـباب تنظيميـة.

2- محمد الدسوقي رشدي (وآخرون)، شباب التحرير: لا نعرف شيئًا اسمه لجنة الحكماء و95% من متظاهري التحرير يرفضون التفاوض قبل رحيل الرئيس، اليوم السابع، (10/ 2/ 2011)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://goo.gl/8wRfEb

3- البرادعي يعلن تأسيس «الجمعية الوطنية للتغيير».. ويعقد مؤتمرًا مغلقًا مع القوى السياسية، المصري اليوم، (25/ 2/ 2010)، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/34712

شـاركت مجموعـة شـباب الجمعيـة الوطنيـة للتغيـير وممثلهـا نـاصر عبدالحميـد، ومجموعـة حملـة البرادعـي ودعـم التغيـير التـي كان مـن بـين ممثليهـا زيـاد العليمي، مع حركـة 6 أبريـل، وشـباب من أجل العدالة والحرية، وشـباب من حـزب الجبهة الديمقراطية، ومجموعـة مـن الأفـراد المسـتقلين، في التنسـيق لتظاهـرات الخامـس والعشريـن مـن يناير 2011، ثـم انضـم لهـم لاحقًا مجموعات أخرى كشـباب الإخوان، وأسـس كل هـؤلاء ائتلاف شـباب الثـورة. لم تشـارك مجموعة مصطفـى النجار في الائتلاف، واكتفـت بالتحرك المنفصل مثـل عـشرات المجموعـات التـي دعـت هـي أيضًـا إلى تظاهـرات الخامـس والعشريـن من ينايـر والأيـام التـي تلتهـا، وكان لهـا مثـل غيرهـا دورًا في التظاهـرات التـي كانـت موجـودة في التحريـر، ثـم صـار لبعـض أفرادهـا مسـار آخـر اتجهـوا إليـه حينـما قاموا بتأسـيس أولى مبـادرات التكوينـات الحزبيـة بعـد الثـورة، وهـو حـزب العـدل الـذي ظهـر بعـد الثـورة مبـاشرة طارحًـا نفسـه باعتبـاره حزبًـا وسـطيًا متجـاوزًا للأيديولوجيـا، وممثـلًا عـن الثـورة وشـبابها ورؤيتهـا وأهدافهـا الثوريـة العامـة بـدون أن يطـرح تصـورات أيديولوجيـة، وهـو ذات المنحـى الـذي أخـذه حـزب الدسـتور لاحقًـا حينـما تأسـس كحـزب، معـبرًا -عـلى حد وصـف مؤسسـيه- عـن التيـار الثـوري العـام ورافضًـا توصيفه بأنـه حزب يميني أو يسـاري.

ثانيًا: تأسيس الدستور.. التنظيم والتصورات السياسية

حينـما أسـسَّ البرادعـي حزبـه كانـت عينـاه عـلى تجربـة حزبيـة جامعـة، تجمـع المصريـين تحـت لافتـة حـزب كبـير يسـتكمل بـه أهـداف الثـورة، ويتبنـى برنامجًـا واسـعًا لمجموعـة مـن الأهـداف الكـبرى التـي يمكـن أن يجتمـع تحـت ظلهـا طيـف واسـع مـن اليسـاريين والليبراليـين والإسـلاميين والمسـتقلين، ويكـون بمثابـة تجـلٍّ تنظيمـيٍّ يعمـل عـلى عكـس صـورة ميـدان التحريـر في الأيـام التـي تلـت 25 ينايـر 2011، ويدفـع باتجـاه خلـق قيـادة لم تكـن موجـود فعليًّـا في الثـورة.

بـدا مـن كلـمات البرادعـي أثنـاء مؤتمـر تأسـيس الحـزب وكأنـه يسـأل سـؤالًا اسـتنكاري: مـاذا يمكـن أن يفـرق مجموعـة منظمة كبـيرة ذات خلفيـات متنوعـة سياسـيًا وأيديولوجيًا إذا اجتمعـوا عـلى تأييـد الثـورة، وعـلى برنامـج واسـع يهـدف لتحقيـق الديمقراطيـة، وعدالـة اجتماعيـة تسـع الجميـع، وحريـات سياسـية، وانتخابـات حـرة؟!

وقـد انعكـس هـذا الأمـر عـلى ملمحـين أساسـيَّين بالحـزب أولهـما جسـد الحـزب وتنظيمـه ومكوناتـه، والثـاني رؤيـة الحـزب السياسـية وبرنامجـه وأفـكاره.

1. المجموعات المكونة لتنظيم الحزب

مثَّـل البرادعـي نقطـة جاذبـة محوريـة للحـزب، حيـث كان الرجـل وجهًـا مُهـمًّا لشـكل التغيـير الديمقراطـي الجديـد لـدى فئـات متنوعـة ممَـن التحقـوا بالثـورة، أو ممَـن دعـوا إليهـا، وفئـات عاديـة لم تشـارك بالثـورة، لكنهـا التحقـت بعـالم السياسـة بعدهـا. قيـادات مـن الدسـتور تحدثـت عـن أنـه و«في بدايـة تكويـن الحـزب كان ينظـر إليـه مـن الكثيريـن حتـي مـن قبـل بعـض شـباب الحـزب الوطنـي، أو المؤمنـين بنظـام مبـارك، خصوصًـا في الأقاليـم، عـلي أنـه سـيكون حـزب السـلطة القـادم، وهـذا شـجع الكثيريـن منهـم عـلى الانضـمام لـلحـزب".[4] كـما مثّـل البرادعـي أيضًـا نقطـة مسـتقطبة للالتحـاق بالحـزب بشـكل أكـبر بعـد 3 يوليـو 2013، حينـما أصبـح في واجهـة المشـهد، بعـد أن صـار نائبًـا لعـدلي منصـور، أو المجموعـات التـي رأت أن الحـزب قـد يكـون قـاب قوسـين أو أدنى مـن السـلطة، لكـن هـؤلاء لم يمكثـوا طويـلًا؛ إذ سرعـان مـا انفضـوا عـن الحـزب بعـد اسـتقالة البرادعـي، وسـفره خـارج البـلاد.

4- وليد نصر، عضو المكتب التنفيذي السابق لمحافظة الدقهلية، ومسئول أمانة الحريات المركزية السابق بحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، القاهرة، 5 /1/ 2019.

تشكل جسد الحزب من مكونات مختلفة، المكون الأول مجموعات ضخمة من القادمين الجدد لعالم السياسة، الذين التحقوا بالمجال السياسي بعد الثورة مباشرة، وشكلوا رافدًا كبيرًا للغاية في ظل مجال مفتوح استوعب مئات الآلاف منهم في تكوينات سياسية واجتماعية وثقافية جديدة.

المكون الثاني هو المجموعات التي دعمت البرادعي، وتشكلت قبل الثورة، مثل حملة البرادعي ودعم مطالب التغيير، التي كان من ضمن قيادتها زياد العليمي، المُمثِّل عن ذاتِ المجموعة في ائتلاف شباب الثورة، لكن العليمي لم يلتحق بحزب الدستور، بل أسس مع آخرين الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي. وأيضًا الحملة الشعبية لدعم البرادعي رئيسًا، التي قادها مصطفى النجار وعبدالرحمن يوسف القرضاوي، لكن النجار فضل تأسيس حزب العدل، وأخذ كتلة من الحملة معه كما سبق ذكره. وبالطبع بقايا حملة البرادعي التي تفتت بإعلان الأخير انسحابه من السباق الانتخابي، بعد اعتراضه على مسار العملية السياسية التي تلت استفتاء مارس 2011. والمجموعة الأخيرة كانت شباب الجمعية الوطنية للتغيير، الذين مثلهم ناصر عبدالحميد في ائتلاف شباب الثورة، ثم شارك بعدها في تأسيس الدستور.

المكون الثالث، وهو شبابي أيضًا، فضم عناصر وحلقات محسوبة على اتجاهات إسلامية، بعضهم سلفيون، وأغلبهم مستقلون لم يمارسوا السياسة قبل الثورة، وأشهرهم محمد يسري سلامة، الذي كان متحدثًا عن حزب النور قبل استقالته، ومجموعة سلفيو كوستا. والمكون الرابع مجموعات مختلفة كانت ملتحقة بأحزاب ليبرالية قائمة قبل الثورة مثل الوفد، والغد، والجبهة الديمقراطية. أما المكون الخامس فرموز سياسية برزوا من خلال معركة التغيير قبل الثورة، كجورج إسحق وأحمد دراج. والمكون السادس ضم مجموعات من الطبقة المتوسطة العليا، رأت في البرادعي رمزًا جيدًا قادرًا على تحقيق آمالهم في إصلاحات أوسع سياسية واقتصادية. والمكون السابع والأخير أفراد بارزين داخل الجهاز الإداري للدولة، لكنهم كانوا يقفون على مسافة من النظام القديم، ولديهم نفور من سياساته التي كان يتحكم فيها مجموعة مغلقة ذات مصالح ضيقة، وقد مثَّل البرادعي لهؤلاء حافزًا كبيرًا للانضمام إلى حزب جديد، قد تؤول إليه السلطة لاحقًا. وبالطبع، بسبب وضعية البرادعي كدبلوماسي سابق، كان جزءٌ مُهمٌّ من المكون الأخير قادم من وزارة الخارجية وإداراتها، وقد تولى أحدهم لاحقًا إدارة الحزب، بعد تولي البرادعي منصب نائب الرئيس مباشرة.

يمكن استعراض أسماء بارزة عبَّرت عن هذه الكتل داخل مجموعة المؤسسين. فبجوار البرادعي، المؤسس ورمز الحزب ورئيسه، سنجد أسماء بارزة عديدة: جورج

إسحق، وعلاء الأسواني، وأحمد البرعي،[5] وجميلة إسماعيل، وعماد أبو غازي، وحسام عيسى، وهالة شكر الله، وأحمد دراج، وعدد من السفراء أبرزهم شكري فؤاد، وعمر متولي، والسيد المصري، وأحمد فهمي مراد، هذا غير عدد من الشباب البارزين منهم ناصر عبدالحميد، وعمرو صلاح، وأحمد عيد، وشادي الغزالي حرب، وجميعهم من ائتلاف شباب الثورة، وأحمد حرارة أشهر مصابي الثورة، وإسراء عبد الفتاح العضوة البارزة في 6 أبريل، ويسري سلامة مؤسس سلفيو كوستا.

ولم يعتمد الدستور على بنية اجتماعية قديمة يمكن الاتكاءُ عليها كرافعة اجتماعية، كما فعل مثلًا المصريين الأحرار باعتماده على على رجال الأعمال، وقواعد من الحزب الوطني المنحل، وقواعد تميلُ بالولاء الديني للكنيسة المصرية. فباستثناء بعض رجالات جهاز الدولة الإداري -تحديدًا الخارجية- وثيقي الصلة بالبرادعي؛ كان حزب الدستور كحزب التيار المصري والعدل، يشبههما في اعتماده على النخب الآتية من ميدان التحرير، سواء من الشباب الجدد، أو الرموز القديمة ذات التاريخ السياسي السابق. جميعهم أفراد مؤمنون تمامًا بالثورة وآلياتها، لكن أغلبهم تنقصه خبرة التنظيم الحزبي، أو إدارة المعارك الانتخابية.

2. أفكار الحزب وبرنامجه السياسي

كما سبق الذكر؛ حاول البرادعي ومؤسسو الحزب التركيز بشكل أكبر على تأسيس حزب لا يعبر بشكل واضح عن اتجاه سياسي تقليدي، أملًا في ضم أوسع قطاعات شعبية ممكن.، والتركيز بشكل أكبر على إعطاء صورة للشارع بأن الحزب يعبر عن آمال الجماهير الواسعة في تحقيق الأهداف الأساسية للثورة المرتبطة بالديمقراطية وتحقيق عدالة اجتماعية ورفاهية اقتصادية، ودعم دولة القانون ووضع أطر واضحة للرقابة على مؤسسات الدولة التنفيذية.

عكس اسم "الدستور" نفس الملمح؛ حيث كان الاسم تعبيرًا عن ميثاق اجتماعي ووطني جامع، يشير إلى شكل الحياة السياسة المراد صياغتها بعد الثورة، ويؤكد على فكرة العدالة والحقوق الأساسية والتعددية السياسية والحزبية. الدستور في أحد معانيه الإطارُ الذي يجب أن يعمل عليه ومن خلاله مع المكونات السياسية والمجتمعية. وهو اسم بمفردة واحدة حتى يستقر في أذهان الجمهور مثلما استقر اسم "الوفد" قديمًا، وكأن البرادعي يستلهم جزءًا من تجربة الأخير لنجاح تجربته، وفد جامع يشمل اليمين واليسار، المحافظين والتقدميين، جناح يميني وجناح يمثل

5- سلوى الزغبي، أحمد البرعي وزير التضامن الاجتماعي.. رجل المراحل الانتقالية، جريدة الوطن، (14/ 7/ 2013)، شوهد في 23 / 12/ 2018 : https://www.elwatannews.com/news/details/224387، انظر أيضا: أحمد البرعي، ويكيبيديا، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://goo.gl/coCDKo

طليعة يسارية، يتقارب هؤلاء وأولئك على مساحة في المنتصف، ليظهر الحزب الذي يعبر عن مساحة الوسط الذي يندمج الجميع في داخله، حزب يعبر عن الثورة، ويعبر في وقت لاحق -حينما توضع الأسس لحياة سياسية جديدة- عن الأغلبية.

كانت الآمال التي صدرها البرادعي أثناء كلمته الأولى لحظة التأسيس عريضة للغاية، وكذلك كانت كلمات زملائه الذين فارقهم لاحقًا قبل أن يفارقوا هم حزبهم الذي بنَوْه معه.

في 28 أبريل، نظَّم حزب الدستور مؤتمرًا صحفيًّا بنقابة الصحفيين للإعلان عن تأسيسه، ويمكن بسهولة أخذ تصور عن الرؤية المطروحة أعلاه من كلمات مؤسسي الحزب الأساسيين في المؤتمر، كالبرادعي، وحسام عيسى، ووائل قنديل:

فحسام عيسى الذي تولى رئاسة لجنة التسيير التي كُلفت بإدارة الحزب لاحقًا؛[6] قال إن "نتائج انتخابات 2011/2012 البرلمانية أظهرت أن الحياة السياسية تحتاج توازنًا عن طريق حزب كبير، حزب يمكنه أن يشمل قوى متعددة من أقصى اليمين لأقصى اليسار، حزب يجمع الأحزاب كلها، المدنية والاشتراكية الراديكالية، والأجنحة الإسلامية غير الراضية عما يحدث، حزب يجمع كل القوى التي تحترم ما قامت عليه الدولة المصرية خلال المائتي عام الماضية"، ووائل قنديل المتحدث الرسمي للحزب سابقًا تحدث في ذات المؤتمر عن أن "الحزب يمكن أن يتواجد من خلاله كيان ثوري جامع للقوى التي تشتَّتتْ وتفرقت، وأننا نستطيع أن نبني من خلال هذا الحزب حالة إجماع وطني أخرى، لمواصلة السعي نحو تحقيق أهداف الثورة المصرية"، أما محمد البرادعي فحينما سُئِلَ عن أيديولوجية الحزب وأفكاره قال: "يجب أن ننسى الشعارات، ونعمل على أساس إذا كان لدينا أيديولوجية فهي أيديولوجية العلم والكفاءة والمصداقية والمحاسبة والديمقراطية، الديمقراطية الحقيقة هي حلُّنا لننطلقَ للأمام بمشروع نهضوي مصريّ"[7]، وفي نفس المؤتمر تحدث البرادعي عن أن الدستور سيكون حزب الأغلبية خلال ثلاث إلى أربع سنوات، وفي حديث عن ملامح أفكار الحزب أيضًا قال: "أنا واثق كل الثقة أن هذا الحزب هو حزب مصر الوسطية، حزب الاعتدال، حزب السماحة، حزب المساواة، حزب العدل، كل هذه القيم الإنسانية التي عشنا بها في الماضي وسنعيش بها في المستقبل، وهو الذي سيبني مشروع نهضة مصر مستقبلًا".[8]

أسس البرادعي حزب الدستور وفي ذهنه نمطُ بعض الأحزاب الحديثة في

6- سمير السيد، حسام عيسى يستقيل من "الدستور" اعتراضًا على محاولات البعض التزوير لضمان البقاء على مقاعد السلطة بالحزب، جريدة الأهرام، (21/ 3/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: http://gate.ahram.org.eg/News/323899.aspx

7- أحمد حسين، مؤتمر الإعلان عن حزب الدستور، يوتيوب، (30/ 4/ 2012)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://www.youtube.com/watch?v=7-Po2t0d9zc

8- إعلان تأسيس حزب الدستور بالصحفيين، بوابة الوفد، (29/ 4/ 2012)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://www.youtube.com/watch?v=Vbcv3eZoS5A

الديمقراطيات الغربية، وهي التي تسمى بأحزاب البرنامج، تلك التي تتجاوز الارتباطَ بتصورات أيديولوجية مسبقة، والنمطُ الذي تم تأسيس الحزب عليه هو ذاته النمط الذي تأسست عليه غالبية الأحزاب الجديدة التي كانت في مساحة الوسط مثل حزب العدل، الذي لم يُعرف نفسه أيضًا كحزب أيديولوجي، وحزب التيار المصري الذي لم يواصل المسيرة بسبب عدم استكمال توكيلاته اللازمة لحصوله على الرخصة الرسمية، وحزب مصر الذي قام بتأسيسه عمرو خالد، وحزب الحضارة الذي اندمج لاحقًا في حزب الوسط.

كان هناك سِجالٌ طوال الوقت داخل الحزب، هل الحزب يمثل حزب يسار وسط، أم يمين وسط، أم حزب ليبرالي، أم ليبرالي اجتماعي؟ ويتفاقم هذا السجالُ حينما تُناقشُ قضية اقتصادية أو اجتماعية، أو قانون ما يتم طرحه من قبل الحكومة أو البرلمان، أو أثناء اجتماع الحزب مع أحزاب أخرى لتشكيل تحالف سياسي ما، وكان هذا الأمر يضع ممثلي الحزب في أزمة، حينما يتم التصويت على دعم قضية ما، أو حين يُثار النقاشُ حولها في المجال السياسي، أو في البرلمان.[9]

3. برنامج الحزب

طرح مؤسسو الدستور برنامجًا لا ينصُّ صراحة على اتجاه الحزب السياسي بشكل واضح، بل يشرحُ مبادئه وأفكاره التي تظهر فيها ملامح وسطية بشكل كبير، فقد نصَّ البرنامج على أن الحزب يهدف إلى بناء دولة مصرية حديثة تقوم على الحكم الديمقراطي الرشيد، والعلم والكفاءة والخبرة، وسيادة القانون، واحترام كرامة الإنسان وحقوقه، بحيث تكون مؤسسات الدولة أداةً لحماية حقوق المواطنين وحرياتهم ومصالحهم في داخل البلاد وخارجها، ولتنمية الاقتصاد وحسن إدارة موارد البلاد، ولتوفير الحاجات الأساسية لمواطنيها، وترسيخ العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعيين، وتحمي حدودها وهُوِيّةَ شعبها ومصالحه، وتطلق طاقات المجتمع بما يضعه في المكانة التي تليق به جنبا إلى جنب مع بقية شعوب العالم المتقدمة.[10]

كما نص البرنامج أيضًا على إيمان الحزب باقتصاد السوق القائم على المنافسة الحرة، لكنه يؤمن بأن للدولة دورًا لا غنى عنه في دفع التنمية الاقتصادية، وتوجيهها للمصلحة العامة. كما يرى الحزب أن تحقيق العدالة الاجتماعية مسؤوليةٌ تقع على عاتق الدولة، ابتداء بوضع التشريعات التي تمنع الفساد والاستغلال والاحتكار والتلاعب وضمان تطبيقها التطبيق الأمثل، مرورًا بوضع سياسة ضريبية عادلة،

9- هند الخولي، نائبة أمين لجنة الإعلام بحزب الدستور سابقا، مقابلة عبر الإنترنت مع الباحث، 16 / 12/ 2018

10- برنامج حزب الدستور، صفحة حزب الدستور (القاهرة)، موقع فيسبوك، (3/ 10/ 2012) شوهد في 23 / 12/ 2018 : https://goo.gl/iy3Jvy

وتقوية التضامن الاجتماعي، وتحقيق تكافؤ الفرص وخلق فرص عادلة للفئات الأقل حظًا، وتمكين الفئات الأضعف في المجتمع، ودعم التعليم المجاني لخلق فرص عادلة أمام الشرائح الأفقر للتقدم وتحسين أوضاعها، ومكافحة التمييز السلبي، وانتهاء بتوفير مظلة من الحماية الاجتماعية للجميع بحيث توفر الحاجات الأساسية للمواطنين من مأكل وملبس ومياه نقية ومأوى وصحة وتعليم وخدمات ثقافية. كما يدعو الحزب في برنامجه إلى إعادة توجيه الاقتصاد المصري بالكامل بحيث يؤدي أولًا إلى تحسين مستوى معيشة المواطنين، وتحسين البيئة التي يعيشون فيها وعليها، والتي تشكل ملكية مشتركة لنا ولأبنائنا من بعدنا، وبحيث يعتمد على علاقة بناءة وذكية بين أجهزة الدولة والسوق، ويتم ذلك من خلال إصلاح المجالات الاقتصادية كافة.[11]

11- المصدر نفسه

ثالثًا: الهيكل التنظيمي قبيل الإعلان عن تأسيس الحزب كان الأربعة وكلاء الرسميون الذي كان يمكن عمل توكيلات للحزب باسمهم هم: الدكتور محمد البرادعي، والسفير السيد المصري، والدكتور أحمد حرارة، والدكتور أحمد دراج.[12] وقد استطاع الحزب الحصول على نسبة توكيلات ضخمة وصلت عشرة آلاف توكيل،[13] وبعض قيادات الحزب يقولون بأن الرقم تجاوز الـ20 ألف توكيل،[14] وهو يعد أكبر الأرقام التي تقدم بها حزب للحصول على رخصة رسمية، وهو رقم أيضًا يظهر مدى حجم العضوية الكبيرة التي بدأ بها الحزب لحظة تأسيسه، قبل أن تتقلص هذه العضوية لاحقًا لأسباب مختلفة.

بعد ذلك؛ تم تشكيل لجنة تسيير الأعمال لإدارة الحزب في فترته الانتقالية، حتى إقامة أول مؤتمر عام له، وانتخاب أول رئيس للحزب، وهو ما تم فعليًّا في 22 فبراير 2014 حينما ترشحت جميلة إسماعيل على رئاسة الحزب ومعها هاني الجمل كأمين عام، أمام هالة شكر الله كرئيس للحزب وياقوت السنوسي كأمين عام، وفاز الأخيران في الانتخابات.[15]

بعد تأسيس الحزب تولى محمد البرادعي رئاسة الحزب لفترة انتقالية، انتهت بعد توليه منصب نائب الرئيس، إثر الإطاحة بمحمد مرسي، وكان يدير الحزب أسفل الرئيس مباشرة لجنةُ تسيير الأعمال، التي كانت تضم السفير شكري فؤاد، أمين لجنة الصندوق، وجميلة إسماعيل، أمينة التنظيم، وتامر جمعة، مسؤول لجنة الشؤون القانونية، ووائل قنديل الذي كان متحدثا رسميًا للحزب،[16] وأحمد حرارة، الذي كان وكيلًا للمؤسسين، وهالة شكر الله، التي كانت تدير أمانة التدريب والتثقيف، كما أنشأت أكاديمية حزب الدستور،[17] ومحمد أبو العلا، وبسنت فهمي، التي كانت مسؤولة للجنة الاقتصادية، ثم ممثلين عن قطاعات المحافظات، وآخرين [18]

12- ضحى الجندي، إخطار لجنة شؤون الأحزاب بتأسيس (الدستور).. والبرادعي وكيل المؤسسين، جريدة الشروق، (24 / 4/ 2012)، شوهد في 22 / 12/ 2018 : http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=24042012&id=dde06d18-06a6-4f3d-ab-fb-7fca99970d75. انظر أيضا: طريقة عمل توكيل لحزب الدستور، الصفحة الرسمية لحزب الدستور، موقع فيسبوك، (25/ 4/ 2012)، شوهد في 21/ 12/ 2018: https://goo.gl/Ad3EnH

13- محمود نبيل، حزب الدستور يقوم بتقديم الأوراق الرسمية للجنة شؤون الأحزاب، جريدة الصباح المصرية (مؤرشف على موقع مصرس)، (30/ 8/ 2012)، شوهد في 20/ 12/ 2018 : https://www.masress.com/elsaba7/19907

14- وليد نصر، مقابلة مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

15- هالة شكر.. أول امرأة رئيسًا لحزب في مصر، العربي الجديد، (22/ 2/ 2014)، شوهد في 23/ 12/ 2018 : https://goo.gl/C3dpN5

16- ضحى الجندى، إخطار لجنة شؤون الأحزاب بتأسيس (الدستور).. والبرادعي وكيل المؤسسين، جريدة الشروق، مصدر سابق

17- هالة شكر.. أول امرأة رئيسًا لحزب في مصر، مصدر سبق ذكره

18- مصطفى إبراهيم، أمين محافظة المنوفية، ومقرر الهيئة العليا بحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 20 / 12/ 2018

لاحقًا؛ تم تأسيس لجنة عليا ضمت بداخلها لجنة التسيير السابقة بالإضافة إلى الممثلين عن القطاعات، وفي البداية كان الحزب قد قسّم المحافظات بأكملها إلى أربعة قطاعات هي: قطاع الدلتا والإسكندرية، قطاع سيناء ومحافظات القناة، قطاع الصعيد، قطاع القاهرة الكبرى، ثم تَمَّ استحداثُ لجنةٍ سُمِّيت بمجلس المحافظات تحتوي على أمناء مجلس المحافظات، وكان يتم اختيار أربعة فقط من هذا المجلس في الهيئة العليا، في إطار التجديدات التي طرأت على اللائحة، وأُجريت انتخابات لاختيار أمناء المحافظات قبل المؤتمر العام، كما تم ضمُّ أمناء المحافظات كلهم في الهيئة العليا لتدعيم قرارات المشاركة القاعدية بالحزب.[19]

داخل الحزب وبعد نشأته بفترة قصيرة؛ كانت هناك عملية واسعة لمحاولة تنظيم الحزب، والعمل على خلق هيكل واسع يدير هذا الحجمَ الكبير من العضوية وهذا الزخمَ الذي تزامن مع نشأة الحزب في منتصف العام 2012. فتمَّ تأسيسُ مدرسة كوادر للحزب، كما تم عمل دورات داخل الحزب لتدريب الأعضاء على كيفية التواصل مع الجمهور والتسويق الانتخابي. كانت هناك محاولات لتدريب الأعضاء على الانتخابات البرلمانية التي كان من المفترض أن تجرى في نهاية 2012، لكن الإعلان الدستوري حوَّل نشاط الحزب من العمل السياسي والتنظيمي إلى العمل الاحتجاجي في الشارع ضد قرارات محمد مرسي.[20]

رسميًّا؛ كانت القرارات المهمة كالتحالفات وغيرها يتم الرجوع فيها إلى الهيئة العليا، لكنَّ القرارات المصيرية كان يتم عمل استفتاء داخلي عليها بين كل أعضاء الحزب. وحدث هذا الأمر عدة مرات كان من بينها المشاركة في الاستفتاء على دستور 2012، الذي كُتب باللجنة التأسيسية الثانية وكان أغلبها من الإخوان، وقرارات مصيرية أخرى مثل أي مرشح رئاسي يجب اختياره في انتخابات 2014؟ هل عبدالفتاح السيسي أم حمدين صباحي؟ وجاء تصويت القواعد لحمدين صباحي حينها بأغلبية من الحزب.

حسب كلام أعضاء من الحزب؛ فقد كان من الممكن أن تُؤخذ هذه القرارات من قبل الهيئة العليا للحزب، لكن خوفًا من غضب الأعضاء والحفاظ على تماسك جسد الحزب كان من الأهمية رجوعُ لجنة تسيير الحزب، ثم رئاسة الحزب بعدها إلى القواعد لتحديد أي الخيارات يمكن سلوكها.[21]

قبل 30 يونيو مباشرة كانت هناك محادثات مباشرة بين حزب العدل والدستور لدمج الحزبين، وبدا الأمر طبيعيًا في ظل تقارب مؤسسي المجموعتين، وتماثل الخط

19- المصدر نفسه
20- هاني الجمل، المرشح السابق على منصب الأمين العام لحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 17/ 12/ 2018
21- مصطفى إبراهيم، أمين محافظة المنوفية، ومقرر الهيئة العليا بحزب الدستور، مصدر سبق ذكره

الفكـري والسـياسي للحزبـين، وعـدم قـدرة الأحـزاب الصغـيرة كالعـدل عـلى التحـرك وحدهـا، وإدراك الأحـزاب حينهـا أنهـا لـكي تكـون رقـمًا في المعادلـة السياسـية أمـام الإخـوان والإسـلاميين وبقيـة الأحـزاب العلمانيـة الكبـيرة كالمصريـين الأحـرار والوفـد؛ عليهـا أن تندمـج مـع بعضهـا أو تدخـل في تحالفـات جبهويـة أو انتخابيـة كبـيرة. ثـم دخـل الحـزب المـصري الديمقراطـي الاجتماعـي عـلى خـط مفاوضـات الحزبـين، وكان مقـررًا أن يُسـمَّى الحـزبُ المُدمَـج باسـم حـزب الدسـتور المـصري الديمقراطـي، لكـن كانـت المفاوضـات تسـير ببطء شـديد، نظـرًا لاسـتقرار وضـع بنيـة أحـزاب عـن أحـزاب أخـري، وقلـق بعـض مسـؤولي هـذه الأحـزاب مـن الاندمـاج خشـيةَ فقـدان مناصبهـم الكبـيرة، ثـم دهمـت هـذه الأحـزاب التغيـيرات الكبـيرة التـي تمـت بعـد 3 يوليـو 2013، وهـو مـا أوقـف المفاوضـات بـين الأحـزاب الثلاثـة.[22]

الذراع الطلابية للحزب

فـور تأسـيس حـزب الدسـتور كانـت لـه حركـة طلابيـة مرتبطـة بـه، لكـن كان للحركـة الحـق في أخـذ قـرارات منفصلـة، وكذلـك الحـق في كتابـة البيانـات وفـق مـا ترتئيـه، عـلى ألّا تخـرج سياسـاتها بشـكل كامـل عـن سياسـات الحـزب.

حقـق طلبـة الدسـتور في الجامعـات نتائـج جيـدة للغايـة في انتخابـات اتحـادات الطـلاب التـي أُجريـت في بدايـة عـام 2013، حيـث قامـوا بعقـد تحالفـات واسـعة مـع طـلاب مـصر القويـة وطـلاب روابـط مسـتقلة للنـزول عـلى قوائـم مختلفـة أمـام طـلاب الإخـوان المسـلمين. وهـو مـا أسـهم لاحقـا في تحقيقهـم نسـبًا عاليـة في أول انتخابـات اتحـاد طـلاب يتـمُّ إجراؤهـا بعـد الثـورة مبـاشرة. وكانـت للنتائـج الجيـدة التـي حققوهـا حينهـا إرهاصـات عـلى إمكانيـة بنـاء حركـة مدنيـة مسـتقبلية منظمـة يمكنهـا أن تنافـس بشـكل كبـير في المسـاحات الطلابيـة والنقابيـة التـي ظـل الإخـوان يسـيطرون عليهـا لفـترة طويلـة.

خاضـت الحـركات الطلابيـة المضـادة للإخـوان صراعًـا كبـيرًا حينهـا، وكانـت تشـكل مجموعـات مختلفـة، لكـن أقواهـا كان طـلاب مـصر القويـة، والدسـتور، وصنـاع الحيـاة، والتيـار الشـعبي، وحركـة مقاومـة اليسـارية.

في الانتخابـات الطلابيـة التـي جـرت في النصـف الأول مـن عـام 2013؛ خـاض طـلاب التيـار المـدني معركـة شرسـة في مواجهـة اسـتمرار اللائحـة الطلابيـة التـي أعاقـت دخولهـم المعـترك الانتخـابي، ودشَّـنوا حملـة لوضـع لائحـة بديلـة للائحـة التـي أعدهـا اتحـاد طـلاب مـصر الواقـع تحـت سـيطرة طلبـة الإخـوان، تحـت اسـم "لائحتـك.. دسـتورك"،

22- المصدر نفسه

حيث قدمت الحركات الطلابية لائحة بديلة للائحة القديمة. وتكونت التحالفات من ثلاث كتل هي: الإخوان وحلفاؤهم من المستقلين، والتيار المدني وحلفاؤه من المستقلين، ثم المستقلون أنفسهم، وبُنيت كلُّها على أساس المصلحة المشتركة، حيث إن انتخابات المستوى التصعيدي تستوجب بناء تحالفات لتعذر إمكان الفوز على أي حركة بمفردها. فيما كانت خيارات التحالف لطلاب التيار المدني مفتوحة على كل التيارات السياسية وفقاً لظروف العملية الانتخابية بكل جامعة، حتى مع التيار السلفي، لكن الاستثناء الوحيد كان الإخوان.[23]

فقد أوضحت النتائج بشكل عام تقدم الطلاب المستقلين الذين حصلوا على مقعدي رئيس ونائب رئيس اتحاد طلاب في ٧ جامعات، وأحد المقعدين في 4 جامعات، وحصل طلاب الإخوان على مقعدي الرئيس ونائبه في 8 جامعات مقابل 11 في الانتخابات الماضية، أما طلاب القوى السياسية الأخرى فقد حصدوا ٨ مقاعد ما بين رئيس ونائب رئيس، مقسمةً على حزب الدستور ومصر القوية وصناع الحياة وحزب الإصلاح والنهضة.[24]

23- نجلاء مكاوي، الانتخابات الطلابية في مصر قراءة في المقدمات والنتائج، جريدة السفير اللبنانية، (17/ 6/ 2013) شوهد في 22/ 12/ 2018: https://goo.gl/VYbyaz

24- المصدر نفسه

رابعًا: الدستور من التأسيس حتى 3 يوليو 2013

توازى تأسيس حزب الدستور تقريبًا مع الزخم الأهم الذي ملأ المجال السياسي في مصر في أبريل ومايو 2012، وهو الزخم الذي ارتبط بتشكيل الجمعية التأسيسة الثانية لوضع الدستور. كانت الجمعية الأولى قد تمَّ حلُّها بقرار من القضاء الإداري، والعمل على وقف تشكيلها صباح يوم 10 أبريل 2011، بعد أن شهدت الجمعية انهيارًا سريعًا للغاية إثر الإعلان عن تشكيلها في 25 مارس 2012 بعد انسحاب عدد كبير من أعضائها من القوى المختلفة الليبرالية واليسارية، وممثلي الأزهر والكنيسة، اعتراضًا على شكل تكوين اللجنة، وطريقة الانتخابات، وهيمنة حزب الحرية والعدالة وحزب النور على تشكيلها. وجرت وساطاتٌ ومحاولات تفاوض بين حزبي الحرية والعدالة والنور من جهة وممثلين عن المنسحبين وأحزابهم وكياناتهم التي قدموا منها من جهة أخرى، لكن القضاء الإداري استبَقَ هذه المفاوضات بقرارٍ بالحلِّ. ووفقًا لوحيد عبد المجيد أحد أعضاء لجنة المائة لوضع الدستور؛ اتخذ حزبا الحرية والعدالة والنور موقفًا إيجابيًا عندما رفضا الطعن عليه وقَبِلا التوجه إلى طريق الحل الصحيح، وهو إعادة انتخاب الجمعية.[25]

لكن؛ وبسبب الغرق في التفاصيل وعدم القدرة على تقديم التنازلات الكافية، لم تستطع القوى السياسية الإسلامية من ناحية، والتيارات اليسارية-الليبرالية من ناحية أخرى الاتفاقَ على وجود صيغة مناسبة تضمن وجود توازن لكل القوى باللجنة التأسيسة لوضع الدستور الثانية، وهي الأزمة التي اعتبرها وحيد عبدالمجيد، أحد أبرز الوسطاء بين القوى الإسلامية والعلمانية حينها، أكبرَ أزمة شهدتها مصر بعد ثورة 25 يناير،[26] وكان عبد المجيد يكتب رأيه الهام هذا -والتفصيلي جدًّا بصفته شاهد عيان على جولات التفاوض حينها- في 21 يونيو 2012، أي قبل تصاعد الخلاف على تكوين اللجنة وطريقة تشكيلها، والدستور الذي خرج منها، وتمَّ الاستفتاءُ عليه.

ثم كانت الأزمة الأخطر التي واجهت الثورة، وأشعلت حالة استقطاب سيئة للغاية في المجال السياسي حينها، وهي أزمة الإعلان الدستوري الذي أصدره محمد

25- وحيد عبدالمجيد، القصة الكاملة لمعركة الجمعية التأسيسية (2-1)، الشروق، (20 / 6/ 2012)، شوهد في 24 / 12/ 2018 : http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=20062012&id=3a6452e6-5c5f-4856-8300-ff8241b63569

26- وحيد عبدالمجيد، القصة الكاملة لمعركة الجمعية التأسيسية (2-2)، الشروق، (21 / 6/ 2012)، شوهد في 24 / 12/ 2018 : http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=21062012&id=e0f322e9-e17c-42fa-89c0-39057201e099

مـرسي في الحـادي عـشر مـن نوفمـبر 2012، وهـي الأزمـة التـي كانـت سـببًا في الإطاحـة بـه لاحقًـا. فقـد أصـدر إعلانًـا دسـتوريًا تضمـن إقالـة عبدالمجيـد محمـود، النائـب العـام الـذي كان موجـودًا قبـل الثـورة، واعتَـبرَ الإعـلانُ الدسـتوري وفقًـا للمرسـومِ -الـذي صـدر في نفـس اليـوم- "الإعلانـاتِ الدسـتوريةَ والقوانـين والقـرارات السـابقة عـن رئيـس الجمهوريـة منـذ توليـه السـلطة في 30 يونيـو 2012 وحتـى نفـاذ الدسـتور وانتخـاب مجلـس شـعب جديـد نهائيـةً ونافـذةً بذاتهـا غـير قابلـة للطعـن عليهـا بـأى طريـق وأمـام أيـة جهـة ، كـما لا يجـوز التعـرض بقراراتـه بوقـف التنفيـذ أو الإلغـاء وتنقـضي جميـع الدعـاوى المتعلقـة بهـا والمنظـورة أمـام أيـة جهـة قضائيـة".[27]

كـما حصّـن الرئيـس المعـزول مؤسسـات مجلـس الشـورى والجمعيـة التأسيسـة لوضـع الدسـتور، بالقـرار رقـم 5 مـن نفـس الإعـلان، كـما وضـع مـادة مُبهمـةً وهـي المـادة السادسـة، تتيـح لـه أخـذ اجـراءات وتدابـير بعينهـا، إذا رأى أنهـا خطـر يهـدد الثـورة أو الوحـدة الوطنيـة، أو يعـوق مؤسسـات الدولـة عـن أداء دورهـا.[28]

تفجَّـرت الأحـداث بعدهـا لتتشـكل جبهـة الإنقـاذ التـي ضمـت مـا أُطلـق عليـه قـوى المعارضـة المدنيـة وضمـت أحزابًـا وشـخصيات عامـة عديـدة.[29] ونظّمـت جبهـة الإنقـاذ الوطنـي عـدة تظاهـرات للمطالبـة بتراجـع مـرسي عـن الإعـلان الدسـتوري، فاسـتجاب محمـد مـرسي وسـارع إلى إلغـاء بعـض بنـود الإعـلان، ونقـل الصلاحيـات التشريعيـة إلى مجلـس الشـورى، وألغـى حصانـة المراسـيم والقـرارات الرئاسـية، لكنـه رفـض سـحْبَ تعيينـه للنائـب العـام الجديـد، ورفضـت جبهـة الإنقـاذ سـحبَ مـرسي بعـضَ بنـود الإعـلان وطالبـت بإلغائـه برمتـه وإعـادة تثبيـت النائـب العـام السـابق في منصبـه، كـما عـادت هـذه الأحـزاب مجـددًا إلى تكتيـكات العرقلـة، ورفـض معظمُهـا دعـوة الرئيـس إلى المشـاركة في مؤتمـر للحـوار الوطنـي.[30]

في شـهر ينايـر 2013؛ رفـض محمـد البرادعـي، رئيـس حـزب الدسـتور، والـذي كان يقـود جبهـة الإنقـاذ دعـوةَ الرئيـس المعـزول محمـد مـرسي للحـوار، معتـبرًا الدعـوة التـي وجههـا مـرسي دعـوة شـكلية، وأن الحـوار لـن يتـم بـين جبهـة الإنقـاذ وبـين الرئاسـة إلا عـلى أرضيـة تحقيـق شروط الأولى،[31] وهـو الأمـر ذاتـه الـذي تضامـن فيـه معـه قـادة جبهة الإنقاذ كحمدين صباحي وعمرو موسى والسيد البدوي.[32]

27- ننشر مواد الإعلان الدستوري الجديد للرئيس مرسي، اليوم السابع، (22/ 2/ 2012)، شوهد في 24/ 12/ 2018 : https://goo.gl/mKyMv4

28- المصدر نفسه

29- انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب: الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي.. الانتقال من المركز إلى الهامش

30- عمرو حمزاوي، ميشيل دان، الأحزاب السياسية العلمانية في مصر: تنازع من أجل الهوية والاستقلال، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2017، ص 26

31- سهيلة حامد، البرادعي: الحوار الذي دعا إليه مرسي "شكلي".. ونقبل فقط بالحوار "الجاد"، (28/ 1/ 2013)، شوهد في 21/ 12/ 2018 : https://www.elwatannews.com/news/details/121826

32- سهيلة حامد، صباحي يحمل مرسي المسؤولية السياسية عن الدم الذي أهدر.. ويقول لأهل القناة: "لن نسمح بعزلكم"، جريدة الوطن، (28/ 1/ 2013)، شوهد في 21 / 12/ 2018 : https://www.elwatannews.com/news/details/121845

وهكـذا وبعـد أشـهر معـدودة مـن ولايـة مـرسي؛ طفـا الاسـتقطاب العلماني-الإسـلامي عـلى السـطح مجـددًا وبحـدّة، وتظاهـرت جبهـة الإنقـاذ الوطنـي ووجّهـت نـداءات متكـررة مـن أطـراف مختلفـة إلى الجيـش كي يتدخـل في السياسـة ويطيـح بالإسـلاميين مـن السـلطة، وفي هـذه الأثنـاء كانـت غالبيـة وسـائل الإعـلام العامـة والخاصـة تصـدح بالعواطـف المشـبوبة المؤيـدة للجيـش، وتسـخر بمـرارة مـن مـرسي آنـاء الليـل وأطـراف النهـار.[33]

فتـح حـزب الدسـتور مقراتـه لحركـة تمـرد واشـترك أعضـاؤه وقياداتـه بفعاليـة شـديدة في الدعـوة للتوقيـع عـلى ورقـة تمـرد التـي كانـت تنـادي بالنـزول يـوم 30 يونيـو للضغـط عـلى محمـد مـرسي، كي يقبـل فتـح البـاب لانتخابـات رئاسـية مبكـرة. ثـم شـارك الدسـتور في تظاهـرات 30 يونيـو، لتندفـع الأحـداث لاحقًـا برفـض الإخـوان ومحمـد مـرسي طلبـات المتظاهريـن والقـوى السياسـية، الأمـر الـذي أدى لسـيناريو 3 يوليـو 2013، وعـزل مـرسي وحكومته.

وبعـد تـولي البرادعـي نائبًـا لرئاسـة الجمهوريـة بعـد 3 يوليـو 2013؛ تـرك منصبـه في رئاسـة الحـزب نظـرًا للطبيعـة التنفيذيـة للمنصـب الجديـد الـذي شـغله. وبعـد فـضِّ اعتصامـي رابعـة والنهضـة مباشرة، قـدّم البرادعـي اسـتقالته مـن منصـب نائـب الرئيـس، وسـافر خـارج البـلاد بـلا رجعـة، وقوبلـت اسـتقالتُه بهجـوم واسـع عليـه مـن جانـب الإعـلام المـوالي للنظـام الجديـد، وأحدثـت حالـة ارتبـاك لحزبـه الـذي اسـتقال عـدد كبـير منـه بسـبب اتهامهـم البرادعـي بـترك المسـؤولية باسـتقالته، وكذلـك لاعتقادهـم بـأن الحـزب صـار في مرمـى نـيران المواجهـة التـي كانـت محتدمـة حينهـا، ثـم دخـل الحـزب بعـد 3 يوليـو مرحلـة أخـرى شـهد فيهـا حالـة تغيـيرات واسـعة بسـبب طبيعـة المرحلـة الجديـدة.

33- عمرو حمزاوي، ميشيل دان، الأحزاب السياسية العلمانية في مصر: تنازع من أجل الهوية والاستقلال، مصدر سابق، ص 27

خامسًا: تركيبة الحزب وتأثيرها على التنظيم الداخلي

شكلت بنيةَ تنظيم حزب الدستور -خصوصاً في مستواه القيادي الأعلى- مجموعةٌ من متنوعي الاتجاهات السياسية، ومتعددي الرؤى والأفكار. حيث أراد مؤسسو الحزب هذا الأمر من البداية واعتبروه نقطة قوة لصالحه، وعكسوا هذا الأمر -كما سبق ذكره- في مشروع الحزب وبرنامجه وكذلك اسمه وشعاره.

لكن هذا التنوع الواسع للأفراد الذين كانوا معًا في ميدان التحرير، والتفوا بتوافق حول شعارات الثورة، لم يمكنهم من إيجاد حد أدنى من التوافق حول شكل الحزب الجديد، وطريقة إدارته، وطريقة التعاطي مع الملفات السياسية التي كانت تفتح طوال الوقت في المجال السياسي منذ نشأة الحزب.

كما امتدت عدوى الاستقطاب من خارج الحزب إلى داخله، تلك العدوى التي شهدها المجال السياسي ومثلت أبرز مشاكل وأزمات الثورة، فتناحر الشباب الراديكاليون بأدواتهم الثورية مع الكهول والشيوخ بتصوراتهم المحافظة، وكانت الاعتراضات الواسعة والميل للعمل الاحتجاجي سمة غالبة على التيار الواسع في جسد الحزب.

أطلق هذا التنافرَ تشكُّلُ عدةِ جبهات متضادة وشِللٍ متحاربة داخل الحزب،[34] أعقبها موجة انشقاقات وخلافات واسعة في جسد الحزب، عززها تصاعد حدة الاستقطاب الإسلامي-العلماني، وبروز الخلافات الوسعة -التي تزامنت مع نشأة الحزب- على تشكيل لجنة تأسيس الدستور، والخلافات التي تلت الإعلان الدستوري الذي أصدره محمد مرسي.

في 7 يناير 2013 بدأت أولى أزمات الحزب، مع إعلان مجموعة من شبابه الاعتصام داخل المقر الرئيسي بالقاهرة، معلنين رفضهم القرارات التي اتخذها الدكتور محمد البرادعي رئيس الحزب، بتشكيل لجنة الإعداد للانتخابات البرلمانية، مشيرين إلى أن ذلك يتناقض جوهريًا مع ما يطلبه الأعضاء من التصرف بصورة مؤسسية واتخاذ القرارات بعد التشاور. وطالب الشباب في بيان لهم بإقالة الأمين العام للحزب آنذاك الدكتور عماد أبو غازي، مؤكدين أن لجنة تسيير الأعمال فشلت في مهمتها التي كانت تتمثل في عبور الحزب مرحلته الانتقالية في التأسيس من خلال إتمام الهيكل التنظيمي للحزب، وتشكيل مكتب سياسي، بالإضافة إلى تمكين الشباب داخل

34- هاني الجمل، مصدر سبق ذكره

الحـزب كـما وعـد البرادعـي في بيانـه التأسـيسي، مضيفـين أن الحـزب لا يطبـق مبـادئ الديمقراطيـة التـي تأسـس مـن أجلهـا.[35]

في 15 ينايـر 2013، حدثـت حادثـة قدريـة أثنـاء الاعتصـام صعَّـدت مـن جـو الخلافـات داخـل الدسـتور، حيـث سـقط قيـادة وسـيطة مـن قيـادات الحـزب هـو شـعراوي عبدالباقـي -أمـين الحـزب لأمانـة السـادس مـن أكتوبـر والشـيخ زايـد- ميِّتًـا إثـر أزمـة قلبيـة جـراء انفعالـه أثنـاء النقـاش الـذي جـرى بخصـوص ضغـط القواعـد عـلى مسـؤولي لجنـة تسـيير الأعـمال وأمانـة التنظيـم لإعـادة هيكلـة الأمانـات، والمطالـة باختيـار الأمانـات بالانتخابـات وليـس بالتعيـين، وترتيـب تنظيـم الحـزب مـن الداخـل.[36]

ترتـب عـلى هـذه الحادثـة اسـتقالة سـامح مكـرم عبيـد، الـذي كان طرفًـا في المشـادة، وكان يشـغل أمـين تنظيـم الحـزب وعضـو لجنـة تسـيير الحـزب، كـما رفـع شـباب الحـزب مطالـب بإقالـة كل مـن عـماد أبـو غـازي والسـفير شـكري فـؤاد، وتغيـير لجنـة تسـيير الأعـمال بأكملهـا.[37]

وفي 23 مـارس 2013، طالـب الشـبابُ البرادعـي رئيـسَ الحـزب بإتمـام الهيكلـة طبقًـا لقواعـد الانتخـاب الحـر المبـاشر، والإعـلان عـن مواعيـد وأسـماء الأعضـاء الذيـن لهـم الحـق في الانتخـاب قبلهـا بأسـبوع عـلى الأقـل.[38]

بعدهـا بشـهرين أعلـن الدكتـور حسـام عيـسى أحـد مؤسـسي الحـزب اسـتقالته، مؤكـدًا أن هيكلـة الحـزب قـد طالـت بشـكل غـير مقبـول، وأرجـع عيـسى سـبب اسـتقالته إلى مـا وصفـه بـ»محـاولات التزويـر التـي يحـاول البعـض مـن خلالهـا ضـمان البقـاء الأبـدي على مقاعـد السـلطة داخـل الحـزب".[39]

لم تهـدأ الخلافـات التنظيميـة داخـل الدسـتور، فتعاقبـت اسـتقالات أفراد من المؤسسـين عـلى إثـر الخلافـات المتأثـرة بأزمـات إعـادة الهيكلـة، والانتخابـات الداخليـة، وتراكـم تعبئـة المجموعـات الجبهويـة ضـد بعضهـا، وكان عـلى رأسـهم عـماد أبـو غـازي الأمـين العـام السـابق للحـزب، وأحمـد البرعـي وزيـر التضامـن الاجتماعـي الأسـبق، وجـورج إسـحاق، وشـادي الغـزالي، وإسراء عبدالفتـاح ونـاصر عبدالحميـد وعضـوا لجنـة الخمسـين أحمـد عيـد وعمـر صـلاح، الذيـن حاولـوا تكويـن تحالـف انتخـابي بعـد اسـتقالتهم

35- معلومات متقاطعة من: محمد سعيد، "الدستور" مسيرة من الأزمات والانشقاقات.. فهل ينتهي حُلم البرادعي؟، مصراوي، (23/ 12/ 2015)، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://goo.gl/eBrfg9، ومقابلات على الإنترنت للباحث مع قيادات سابقة وحالية من حزب الدستور، 17-20 / 12/ 2018

36- هاجر إسماعيل، بالتفاصيل.. قصة شعراوي شهيد حزب الدستور، بوابة شباب جريدة الأهرام، (16 / يناير/ 2013)، شوهد في 23/ 12/ 2018: http://shabab.ahram.org.eg/News/8802.aspx، انظر أيضا: عادل الدرجلي وخالد الشامي، «الدستور».. «مفيش رجوع يا برادعي»، المصري اليوم، (17/ 6/ 2015)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=467987

37- عمر الناغي، مصدر: سامح مكرم عبيد رحل عن "الدستور" لاحتواء أزمة "شعراوي"، مصراوي، (تمت أرشفة الخبر عن طريق موقع مصرس)، (16/ 1/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://www.masress.com/masrawy/5492483

38- محمد سعيد، "الدستور" مسيرة من الأزمات والانشقاقات.. فهل ينتهي حُلم البرادعي؟، مصراوي، المصدر السابق

39- سمير السيد، حسام عيسى يستقيل من "الدستور" اعتراضًا على محاولات البعض التزوير لضمان البقاء على مقاعد السلطة بالحزب، الأهرام، (21/ 3/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: http://gate.ahram.org.eg/News/323899.aspx

مباشرة من الدستور، لكنهم فشلوا في الوصول لصيغة تنظيمية مناسبة،[40] قبل أن ينسحب جزء كبير منهم من العمل السياسي بعدها للأبد.

في رأي أفراد كانوا قياديين بالحزب وفي مناصب أساسية به؛ فإن عدمَ وجود اتجاه سياسي وفكري واضح للحزب، واعتماده أكثر على وجود المؤسس مع تجميعه لكتل كبيرة متنافرة في الاتجاهات السياسية، سببُ أزمة التشظي الداخلية الواسعة، خصوصًا حينما كانت تتخذ قرارات مصيرية تجاه مواقف أو قضايا بعينها، سياسية أو اقتصادية. وفي رأيهم أيضًا أن الحزب كان يحتاج في البداية إلى وضع إطار سياسي محدد المعالم يمكن على أساسه ضم الأعضاء، لا أن يحدد الإطار الفكري والسياسي والبرنامج لاحقًا.[41]

بعض القيادات المستقيلة عَزَوا استقالاتهم إلى أسباب تتمحور حول المشكلة نفسها، مثل -والتعبير هنا للمستقيلين- «زيادة الخلافات الداخلية التي انتشرت يومًا بعد يوم داخل الحزب، وتصاعد وتيرة التخوين وتصفية الحسابات والتجاوزات، وفشل الحزب بجدارة في طرح أي حلول سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ذات جدوى تمثل طموحات أبنائه»، كما انتقدوا شكل التنظيم المؤسسي وغياب الرؤية الحزبية.[42]

لكن هناك وجهة نظر أخرى وجيهة داخل الحزب، تقول بأن تصدير فكرة الخلافات الأيدلوجية بأنها أحد أسباب الصراع داخل الحزب -تحديدًا قبل 30 يونيو 2013- أمر مبالغ فيه، لأسباب أهمها، أن الحزب تزامن ظهوره مع حالة حراك واسعة بالأساس على جملة من القضايا العامة شبه متفق عليها، مثل: معارضة الرئيس مرسي في الإعلان الدستوري الذي أصدره، وكذا معارضة الدستور الذي خرج من لجنة تأسيسة تشكلت بأغلبية إسلامية. كما كان هناك تحيز لدى أغلب الأحزاب للاهتمام بالحراك الاحتجاجي عن الاشتباك مع قضايا اجتماعية واقتصادية تفصيلية، وأن الصراعات لم تكن أيدلوجية بقدر ما كانت صراعات بين مجموعة من السياسيين القدامى الذين رأوا أنهم يمتلكون خبرة أطول في العمل السياسي، وبالتالي يستحقون المناصب القيادية الأهم في الحزب، وبين قطاعات واسعة من الشباب، الذين كانوا يمثلون المكون الرئيسي بالحزب، والذين كانوا يرون أنهم الأحق بإدارة الحزب، لأنهم هم مَن كان لهم الدور الأبرز في الثورة. كما عزت نفس وجهة النظر الصراع بالأساس بأنه كان قائمًا على خلفية وجود فريقين، أحدهما إصلاحي،

40- محمد عمارة وأحمد غنيم وعمرو حامد، منشقو حزب "البرادعي" يؤسسون كيانا جديدا لخوض الانتخابات، جريدة الوطن، (3/ 11/ 2013)، شوهد في 20/ 12/ 2018: https://www.elwatannews.com/news/details/349752. انظر أيضا: أحمد السكري، بعد 3 سنوات.. أين ذهب مؤسسو حزب الدستور؟، دوت مصر، (29/ 6/ 2015)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://goo.gl/BPPheV

41- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات الباحث مع: هاني الجمل، مرشح سابق على منصب الأمين العام للحزب، مصدر سبق ذكره، وهند الخولي، نائبة أمين لجنة الإعلام بحزب الدستور سابقا، مصدر سبق ذكره، ومحمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018

42- نور عبدالقادر، بعد الاستقالات.. هل ضاع الهدف من إنشاء حزب الدستور؟، مصراوي، (29 /10/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://goo.gl/cw1oTN

وأغلبهـم مـن السياسـيين القدامـى، والآخـر ثـوري، وأغلبهـم مـن الشـباب.[43] وأن الخلافات الحزبيـة كان يمكـن تداركهـا مـع الوقـت، ومـع إنضـاج التجربـة الحزبيـة لـولا حـدوث تغـيرات مـا بعـد 30 يونيـو، والتـي أثـرت في النهايـة عـلى أغلـب الأحـزاب التـي ظهـرت بعـد ينايـر وعـبرت عـن مطالبهـا وأهدافهـا.

أسـباب الخلافـات الحزبيـة التـي ظهـرت في حـزب الدسـتور تتشـابه مـع أغلب المشـاكل التـي حدثـت في كل الأحـزاب التـي تأسسـت حديثًـا، وكانـت تحتـاج إلى فـترة انتقاليـة لبنـاء تنظيمهـا الداخـلي وهياكلهـا. وربمـا لـو توافـر ذلـك كانـت سـتدور الخلافـات حـول أمـور موضوعيـة، تتعلـق بالفعـل السـياسي أو التنظيمـي. لكـن ما حـدث في الدسـتور كان مختلفًـا، ونتـج عنـه تعاظـم في الأمـر لعـدة أسـباب: الأول، تشـكل الحـزب مـن تركيبـة متنوعـة متضـادة الاتجاهـات، نتيجـة لشـكل وطريقـة بنـاءه منذ البدايـة؛ والثاني، السـياق السـياسي المتوتـر الـذي ظهـر فيـه الحـزب والـذي اسـتمر حتـى لحظـة أفولـه، وسـبب ضغطًـا عـلى الحـزب ومجموعاتـه، وأدى إلى انسـحاب أفـراد كثـيرون منـه؛ والثالـث، وهـو السـبب الجوهـري، المرتبـط بغيـاب الرمـز المحـوري الـذي قـام عليـه الحـزب، أي البرادعـي، الـذي بدونـه لم تكـن هنـاك فرصـة لتجميـع تلـك المكونـات المتنافـرة، لـذا حينـما تـرك البرادعـي الحـزب ورحـل دون حتـى أن يـترك توضيحًـا لمسـؤوليه وأعضائـه؛ انفـرط عقـد الحـزب، ثـم دخـل في حالـة جمـود لم يخـرج منهـا حتـى اليـوم.

43- وليد نصر، مقابلة مع الباحث، مصدر سبق ذكره.

مراجع الفصل السابع

أولا. دراسات وصحف ومواقع

- البرادعي يعلن تأسيس «الجمعية الوطنية للتغيير».. ويعقد مؤتمرًا مغلقًا مع القوى السياسية، المصري اليوم، (25/ 2/ 2010)، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/34712
- أحمد حسين، مؤتمر الإعلان عن حزب الدستور، يوتيوب، (30/ 4/ 2012)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://www.youtube.com/watch?v=7-Po2t0d9zc
- إعلان تأسيس حزب الدستور بالصحفيين، بوابة الوفد، (29/ 4/ 2012)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://www.youtube.com/watch?v=Vbcv3eZoS5A
- برنامج حزب الدستور، صفحة حزب الدستور (القاهرة)، موقع فيسبوك، (3/ 10/ 2012) شوهد في 23 / 12/ 2018 : https://goo.gl/iy3Jvy
- سهيلة حامد، البرادعي: الحوار الذي دعا إليه مرسي "شكلي".. ونقبل فقط بالحوار "الجاد"، (28/ 1/ 2013)، شوهد في 21/ 12/ 2018 : https://www.elwatannews.com/news/details/121826

- سمير السيد، حسام عيسى يستقيل من "الدستور" اعتراضًا على محاولات البعض التزوير لضمان البقاء على مقاعد السلطة بالحزب، جريدة الأهرام، (21/ 3/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: http://gate.ahram.org.eg/News/323899.aspx
- سهيلة حامد، صباحي يحمل مرسي المسؤولية السياسية عن الدم الذي أهدر.. ويقول لأهل القناة: "لن نسمح بعزلكم،"، جريدة الوطن، (28/ 1/ 2013)، شوهد في 21 / 12/ 2018 : https://www.elwatannews.com/news/details/121845
- سمير السيد، حسام عيسى يستقيل من "الدستور" اعتراضًا على محاولات البعض التزوير لضمان البقاء على مقاعد السلطة بالحزب، الأهرام، (21/ 3/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: aspx.323899/News/eg.org.ahram.gate//:http.
- ضحى الجندي، إخطار لجنة شؤون الأحزاب بتأسيس (الدستور).. والبرادعي وكيل المؤسسين، جريدة الشروق، (24 / 4/ 2012)، شوهد في 22 / 12/ 2018 : d-=id&24042012=cdate?aspx.view/news/com.shorouknews.www//:http 7fca99970d75-abfb-de06d18-06a6-4f3d

- طريقة عمل توكيل لحزب الدستور، الصفحة الرسمية لحزب الدستور، موقع فيسبوك، (25/ 4/ 2012)، شوهد في 21/ 12/ 2018 :https://goo.gl/Ad3EnH
- عمر الناغي، مصدر: سامح مكرم عبيد رحل عن ''الدستور'' لاحتواء أزمة ''شعراوي''، مصراوي، (تمت أرشفة الخبر عن طريق موقع مصرس)، (16/ 1/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://www.masress.com/masrawy/5492483
- عمرو حمزاوي، ميشيل دان، الأحزاب السياسية العلمانية في مصر: تنازع من أجل الهوية والاستقلال، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2017
- عودة البرادعي إلى مصر والتحديات التي تنتظره، بي بي سي العربية، (20/ 2/ 2010)، شوهد في 23/ 12/ 2018: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/02/100220_egypt_elbaradei_dh_tc2
- عادل الدرجلي وخالد الشامي، «الدستور».. «مفيش رجوع يا برادعي»، المصري اليوم، (17/ 6/ 2015)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=467987
- محمود نبيل، حزب الدستور يقوم بتقديم الأوراق الرسمية للجنة شؤون الأحزاب، جريدة الصباح المصرية (مؤرشف على موقع مصرس)، (30/ 8/ 2012)، شوهد في 20/ 12/ 2018 : https://www.masress.com/elsaba7/19907
- محمد الدسوقي رشدي (وآخرون)، شباب التحرير: لا نعرف شيئًا اسمه لجنة الحكماء و95% من متظاهرى التحرير يرفضون التفاوض قبل رحيل الرئيس، اليوم السابع، (10/ 2/ 2011)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://goo.gl/8wRfEb
- محمد سعيد، "الدستور" مسيرة من الأزمات والانشقاقات.. فهل ينتهي حُلم البرادعي؟، مصراوي، (23/ 12/ 2015)، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://goo.gl/eBrfg9

- محمد عمارة وأحمد غنيم وعمرو حامد، منشقو حزب "البرادعي" يؤسسون كيانا جديدا لخوض الانتخابات، جريدة الوطن، (3/ 11/ 2013)، شوهد في 20/ 12/ 2018: https://www.elwatannews.com/news/details/349752، انظر أيضا: أحمد السكري، بعد 3 سنوات.. أين ذهب مؤسسو حزب الدستور؟، دوت مصر، (29/ 6/ 2015)، شوهد في 23/ 12/ 2018: https://goo.gl/BPPheV
- نور عبدالقادر، بعد الاستقالات.. هل ضاع الهدف من إنشاء حزب الدستور؟، مصراوي، (29 /10/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: https://goo.gl/cw1oTN.

- نجلاء مكاوي، الانتخابات الطلابية في مصر قراءة في المقدمات والنتائج، جريدة السفير اللبنانية، (17/ 6/ 2013) شوهد في 22/ 12/ 2018: https://goo.gl/VYbyaz
- ننشر مواد الإعلان الدستوري الجديد للرئيس مرسي، اليوم السابع، (22/ 2/ 2012)، شوهد في 24/ 12/ 2018 : https://goo.gl/mKyMv4
- هاجر إسماعيل، بالتفاصيل.. قصة شعراوي شهيد حزب الدستور، بوابة شباب جريدة الأهرام، (16 / يناير/ 2013)، شوهد في 23/ 12/ 2018: http://shabab.ahram.org.eg/News/8802.aspx
- هالة شكر.. أول امرأة رئيسًا لحزب في مصر، العربي الجديد، (22/ 2/ 2014)، شوهد في 23/ 12/ 2018 : https://goo.gl/C3dpN5.
- وحيد عبدالمجيد، القصة الكاملة لمعركة الجمعية التأسيسية (2-1)، الشروق، (20 / 6/ 2012)، شوهد في 24 / 12/ 2018 : http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=20062012&id=3a6452e6-5c5f-4856-8300-ff8241b63569.
- وحيد عبدالمجيد، القصة الكاملة لمعركة الجمعية التأسيسية (2-2)، الشروق، (21 / 6/ 2012)، شوهد في 24 / 12/ 2018 : http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=21062012&id=e0f322e9-e17c-42fa-89c0-39057201e099.

ثانيا. مقابلات

- محمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018
- مصطفى إبراهيم، أمين محافظة المنوفية، ومقرر الهيئة العليا بحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 20 / 12/ 2018
- هاني الجمل، المرشح السابق على منصب الأمين العام لحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 17/ 12/ 2018
- هند الخولي، نائبة أمين لجنة الإعلام بحزب الدستور سابقا، مقابلة عبر الإنترنت مع الباحث، 16 / 12/ 2018.
- وليد نصر، عضو المكتب التنفيذي السابق لمحافظة الدقهلية، ومسئول أمانة الحريات المركزية السابق بحزب الدستور، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، القاهرة، 5 /1/ 2019.

■ الفصل الثامن

التيار الشعبي..
تنظيم الثورة، أم تنظيم الناصريين الجدد؟!

أولًا: الخلفية التاريخية والنشأة

هيمـن الناصريـون واليسـاريون في بدايـات ومنتصـف السـبعينيات عـلى النشـاط الطـلابي بالجامعـات، قبـل أن تصعـد الحركـة الطلابيـة الإسـلامية لتزاحمهـما، ثـم لتسـيطر لاحقًـا عـلى العمـل الطـلابي بالجامعـة. واندلـع الصراع بـين اليسـاريين والناصريين مـن جهـة، والإسـلاميين الجـدد مـن جهـة أخـرى داخـل سـاحة الجامعـة بسـبب تناقـض المرجعيـات الفكريـة، والقضايـا التـي تـم تبنيهـا، لكنهـم في أواخـر السـبعينيات وبدايـة الثمانينيـات اصطفـوا جميعًـا أمـام نظـام السـادات بعـد اتفاقيـة كامـب ديفيـد، والتقارب مـع الولايـات المتحـدة، لينقلـب السـادات عـلى الجميـع ويضـع قـادة تلـك المجموعـات في السـجون قبـل اغتيالـه بعـدة أشـهر.

قبـل هـذه الفـترة بقليـل وتحديـدًا في عـام 1973؛ كانـت المجموعـة الناصريـة -ضمـت أمـين اسـكندر وحمديـن صباحـي ومحمـد السـعيد إدريـس وكـمال أبـو عيطـة وعبداللـه السـناوي- تسـاهم في تأسـيس نـادي الفكـر النـاصري بجامعـة القاهـرة، وعمـل هـذا النـادي عـلى نـشر الفكـر العـروبي والاشـتراكي بـين الطـلاب، مسـتعينًا بأبحـاث ودراسـات منظمــة الشــباب الاشــتراكي، وكتابــات المفكــر الفلســطيني أحمــد صدقــي الدجــاني، ومؤلفــات المفكــر القومــي عصمــت ســيف الدولــة، بجانــب مــا كان يصلهــم مــن منشـورات رابطـة الطلبـة العـرب الوحدويـين الناصريـين، مـع حصيلـة برامـج محـاضرات ونـدوات نـادي الفكـر النـاصري. واسـتطاعت هـذه المجموعـة دعـم حمديـن صباحـي في انتخابـات الطلبـة، ليحصـل عـلى رئاسـة اتحـاد طـلاب كليـة الإعـلام، ثـم اتحـاد طـلاب الجامعـة، وصـولا لاتحـاد الجمهوريـة. بعدهـا نسـقت مجموعـة نـادي الفكـر النـاصري مـع مجموعـة أخـرى مـن الطلبـة الناصريـين بجامعـة عـين شـمس، كان مـن بينهـم، محمـد سـامي، الـذي سـيصير لاحقًـا رئيـس حـزب الكرامـة، وطـارق النـبراوي الـذي سـيصير لاحقًـا قيـادة ناصريـة ونقيبًـا للمهندسـين، وبسـام مخلـوف، وأحمـد الجـمال،[1] لينتـشر نـادي الفكـر النـاصري بعدهـا في الجامعـات المصريـة الأساسـية مثـل القاهـرة وعـين شـمس.

خاضـت تلـك المجموعـة معـارك متنوعـة مـع نظـام السـادات، كان أبرزهـا مشـاركتهم في انتفاضـة ينايـر 1977، فضـلًا عـن معـارك أخـرى مرتبطـة برفضهـم للمسـار الـذي اتخـذه السـادات، خصوصًـا مـع التوجهـات الجديـدة الاقتصاديـة والسياسـية التـي تبناهـا النظـام.

1- محمد عبدالحكيم دياب، عام 1977«عام المحنة» الذي غيَّر من حمدين صباحي وصحبه!، القدس العربي، (27/ 6/ 2014)، تاريخ الوصول للرابط 24 / 12/ 2018: mFG5RZ/gl.goo//:https

في منتصف السبعينيات؛ سمح السادات بوجود تعددية سياسية محدودة تقتصر على ثلاثة منابر، تحولت بعدها إلى ثلاثة أحزاب هي: حزب مصر العربي الاشتراكي الذي مثَّل الوسط، وحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي كممثل لليسار، وحزب الأحرار الاشتراكيين كممثل لليمين. كانت تلك التعددية مقيدة، وأحد أبرز محدداتها هو السيطرة المركزية لجهاز الدولة على مجمل الحياة السياسية، بحيث يصبح الحزب القريب من هذا الجهاز هو حزب الأغلبية والحكومة على الدوام، بينما لا يُسمح للأحزاب الأخرى التواجد في السلطة. كان وجود هذه الأحزاب مُهمًّا للسادات في إطار توجهاته الجديدة وتقاربه مع الغرب من ناحية، ومن ناحية أخرى في محاولة للسيطرة على التناقضات الاجتماعية التي برزت بشكل حاد خلال فترة السبعينيات.[2] التحق جزء من الناصريين بحزب التجمع الذي ضم بداخله -إلى جانب الناصريين- ثلاثة أطياف أساسية هي: الماركسيون، والقوميون، وجزء أصغر من الإسلاميين الذين عرفوا بالإسلاميين المستنيرين أو الإسلاميين التقدميين، وبالإضافة إلى هؤلاء، ضمَّ الحزب مجموعات أخرى أصغر حجمًا.[3]

استمرت تلك المنظومة بنفس الشكل في عصر مبارك، غير أنها قيَّدت بشكل واسع مسألة تأسيس أحزاب جديدة، بوضع العراقيل أمامها عن طريق لجنة شؤون الأحزاب التابعة لمجلس الشورى، لذا اضطر بعضها للجوء إلى القضاء الإداري للحصول على رخصة قانونية.

وفي ثمانينيات القرن الماضي حاول الفريق محمد فوزي وزير الحربية في عهد عبد الناصر، ومحمد فايق، وسامي شرف، وفريد عبد الكريم، وضياء الدين داود ومحمد عروق ونبيل نجم وغيرهم؛ تأسيس الحزب العربي الاشتراكي الناصري، ووقع الاختيار على فريد عبد الكريم وكيلًا للمؤسسين، ولم توافق لجنة الأحزاب اعتراضًا على اسم الراحل فريد عبدالكريم وعلى اسم الحزب.[4]

لكن في أبريل من عام 1992؛ حصل الحزب العربي الناصري على الرخصة بحكم قضائي من المحكمة الإدارية العليا، بعد رحلة طويلة من جانب التيار الناصري للحصول على حزب شرعي بدأت منذ منتصف السبعينيات. ومنذ الموافقة على هذا الحزب لم تخل حياته التنظيمية والسياسية من المشاكل التي عملت لاحقًا على انهياره. بدأت الخلافات منذ لحظة النشأة بين كل من ضياء الدين داود المحامي ووزير الشؤون الاجتماعية الأسبق في فترة الستينيات، وهو من قدم طلبًا

2- عبدالغفار شكر، التحالفات السياسية والعمل المشترك في مصر (6791-3991)، سلسلة كتب الأهالي، العدد 94، القاهرة، يوليو 4991، ص 92

3- عبدالغفار شكر، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 22 أكتوبر 0102، وانظر أيضا: عبدالغفار شكر، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، في عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، مركز البحوث العربية والأفريقية، القاهرة، ط1، 0102، ص 79

4- محمد عبدالحكيم دياب، مصدر سبق ذكره

لتأسـيس الحـزب، وبـين الراحـل فريـد عبدالكريـم المحامـي ووكيـل مؤسـسي الحـزب، وانتهـت هـذه الأزمـة بانقسـام الحـزب بـين مقـر طلعـت حـرب ويخـص داود وزمـلاءه ، ومقـر عابديـن ويخـص عبـد الكريـم ورفاقـه. وفيـما بعـد انشـق عـن الحـزب مئـاتٌ مـن قياداتـه الأساسـية وكـوادره، وعـدد كبـير مـن مؤسسـيه ربمـا كان أبرزهـم حمديـن صباحـي، وأمـين اسـكندر، وعـشرات مـن أبنـاء جيلهـما، في عـام 1996، بعـد اجتـماع عاصـف للجنـة المركزيـة اتُّخـذت فيـه بعـض القـرارات التـي لم تـرض أمينـه العـام وقتهـا ضيـاء الديـن داود، الـذي قـام حينهـا بتجميـد سـتة مـن قيـادات الحـزب بقـرار مـن لجنـة النظـام.[5] وكان مـردُّ الخـلاف اقـتراحَ عـدد مـن قيـادات الحـزب الشـبابية أن تخصـص نسـبة مـن المناصـب الحزبيـة الأساسـية للشـباب، خصوصًـا موقـع أمـين عـام الحـزب، ولكـن قيـادة الحـزب لم تقبـل هـذا الاقـتراح، فقـررت مجموعـة الشـباب مغـادرة الحـزب، والاسـتقلال بنشـاطهم السـياسي في إطـار جديـد، وتقدمـوا بطلبهـم إلى لجنـة شـؤون الأحـزاب.[6]

اشـتهر في منتصـف التسـعينيات، والعـشر سـنوات التـي عرفـت بعقـد الغضـب، قضيتـا حـزب الكرامـة وحـزب الوسـط، كلاهما كانا متشـابهين للغايـة في ظروف النشـأة مع اختلاف المرجعيـات السياسـية؛ فمؤسسـو الوسـط ذوو خلفيـة إسـلامية، ومؤسسـو الكرامـة، ذوو مرجعيـة ناصريـة، وكلاهـما كانـا قادمـين مـن تجربـة خـبرة عمـل طـلابي كبـير، المجموعتـان كذلـك انشـقتا عـن تيارَيْـن مُهمَّـين، في منتصـف التسـعينيات انشـقت مجموعـة الكرامـة التـي قادهـا حمديـن صباحـي وأمـين إسـكندر عـن الحـزب العـربي النـاصري، لخلافـات جوهريـة حـول شـكل وطبيعـة إدارة الحـزب مـن الداخـل، فيـما انشـقت مجموعة الوسـط عـن الإخـوان المسـلمين في الفـترة نفسـها، لأسـباب متعلقـة بشـكل هيمنـة مجموعـة بعينها عـلى تنظيـم الإخـوان، وخاضـت كلا المجموعتـين معركـة قانونيـة لتأسـيس حزبَيهـما، لكـن حـال الرفـض مـن القضـاء ظهـور الحزبـين طيلـة فـترة حكـم مبـارك.

في عـام 2002، رفضـت اللجنـة مـشروع حـزب الكرامـة عـلى أسـاس أن برنامجـه لم يكـن اسـتثنائيًّا بمـا يكفـي لتمييـزه عـن مجموعـات المعارَضـة الأخـرى، وفي عـام 2004 رفضـت اللجنـة مجـددًا منـح الحـزب الأهليـة القانونيـة لأنـه تبنَّـى أيديولوجيـة متطرِّفـة كـما زُعِـم، فسـعى الحـزب مجـددًا إلى الحصـول عـلى الاعـتراف الرسـمي في عـام 2006، غـير أن اللجنـة رفضـت طلبـه للأسـباب نفسـها التـي قدّمتهـا في عـام 2002، ولم يتمكّـن الحزب مـن تحقيق هدفـه هـذا إلا في أغسـطس 2011.[7]

5- انتقادات لغياب الشفافية في الانتخابات الداخلية للحزب الناصري، تقرير صادر عن الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، (61 / 21/ 6002)، تاريخ الاطلاع على الرابط 62 /21/ 8102: rGLkXi/lg.oog//:sptth

6- عبدالغفار شكر، حزب الكرامة، في عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، مصدر سابق، ص 741

7- حزب الكرامة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (51/ 2/ 2102)، تاريخ زيارة الرابط 42/ 21/ 8102: cem-eigenrac//:sptth. 56945-bup-ra/51/20/2102/gro

في عـام 1997 أي بعـد خـروج المجموعـة مـن الحـزب العـربي النـاصري مبـاشرة؛ سُـجن أحـد أبـرز قـادة الكرامـة، وهـو حمديـن صباحـي[8] بسـبب دعمـه لـلفلاحـين الذيـن تظاهـروا ضـد القانـون 96 لسـنة 1992، وهـو القانـون الـذي عُـرف بقانـون طـرد المسـتأجرين، حيـث أعطاهـم مهلـة خمـس سـنوات كي ينظمـوا أوضاعهـم مـع المـلاك، تنقـضي في الأول مـن أكتوبـر عـام 1997، وهـو اليـوم الـذى فقـدت فيـه مـا يقـرب مـن مليـون عائلـة أراضىَ كانـوا يتمتعـون بحيازتهـا، والغالبيـة السـاحقة منهـم كانـوا مـن صغـار المزارعـين الفقـراء، وبفقـدان الأرض فقـدوا مصـدرًا رئيسـيًّا لرزقهـم ولأمانهـم الغـذائي أيضًـا.[9]

بعدهـا بثـلاث سـنوات وتحديـدًا في عـام 2000 ومـع انـدلاع الانتفاضـة؛ شـاركت مجموعـة الكرامـة وممثلـون عنهـا مـن الشـباب في تكويـن الحـركات الاحتجاجيـة خـلال السـنوات العـشر السـابقة عـلى الثـورة،[10] التـي بـدأت بصعـود لافـت للحـراك الاحتجاجي والسـياسي الداعـم للقضيـة الفلسـطينية، ورفـض الحـرب الأمريكيـة عـلى العـراق.

شـارك الحـزب عـبر ممثلـه حمديـن صباحـي في الانتخابـات البرلمانيـة عامـي 2000 و2005 عـن دائرتـه بمسـقط رأسـه بكفـر الشـيخ، واسـتطاع دخـول البرلمـان في الدورتـين. وشـاركت مجموعـة الكرامـة في تأسـيس حركـة كفايـة، التـي تزامـن ظهورهـا مـع تصاعـد حركـة الاحتجـاج السـياسي في الشـارع المـصري بشـكل لافـت عامـي 2004 و2005، ثـم دعمـت المجموعـة معركـة اسـتقلال القضـاة في عـام 2006. غـير أن الاحتجاجـات السياسـية الواسـعة خـلال منتصـف بدايـة الألفيـة، والمكاسـب التـي حققتهـا الحركـة المعارِضـة مـع النظـام انحسرت بشـكل كبـير بـدءًا مـن عامـي 2006، و2007، وقـد تزامـن هـذا الانحسـار مـع صعـود موجـة احتجاجـات اجتماعيـة واقتصاديـة واسـعة بـدءًا مـن عـام 2007 وحتـى لحظـة انـدلاع ثـورة ينايـر في عـام 2011.

في عـام 2010 أطـل الاحتقـان السـياسي بشـكل بـارز بعـد التزويـر الواسـع الـذي طـال الانتخابـات البرلمانيـة، وقـد طـال هـذا التزويـر دائـرة حمديـن صباحـي في البرلـس والحامـول، ليعلـن صباحـي حينهـا انسـحابه مـن الانتخابـات بسـبب مـا وصفـه بالتزويـر المفضـوح، وقـال إنـه قـرر الانسـحاب عقـب فشـله في مواجهـة ممارسـات أجهـزة الأمـن ومـا تقـوم بـه مـن تزويـر مفضـوح.[11] وبالتزامـن مـع بـدء جلسـات مجلـس الشـعب 2011، كان نحـو 120 نائبًـا سـابقًا لم يسـتطيعوا الفـوز في الانتخابـات بسـبب عمليـات

8- محمد الخولي، حمدين صباحي: مرشح العمال والفلاحين والطلبة، الأخبار اللبنانية، (11 /5/ 2102)، تاريخ الوصول 52/ 21/ 3102 : 26007/barA/moc.rabhka-la//:sptth

9- ريم سعد، عن قانون الإيجارات الزراعية وعما فعله مبارك بمصر والمصريين، الشروق، (22 / 6/ 4102)، تاريخ الوصول 62/ 21/ 8102: 71af968e4476-677b-02f4-3be2-b2c95fa0=di&41026022=etadc?xpsa.weiv/snmuloc/moc.swenkuorohs.www//:ptth

10- أمين اسكندر، أحد مؤسسي حزب الكرامة، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 02 نوفمبر 0102

11- 3 قتلى في أعمال عنف واعتقالات خلال الانتخابات المصرية، جريدة الاتحاد، (82/ 11/ 0102)، تاريخ الوصول 72/ 21/ 8102: sptth:// y2Gnfb/lg.oog

التزويـر المنهجـة ضدهـم قـد دشَّـنوا برلمانًـا موازيًـا شـعبيًا، وعقـدوا أولى جلسـاته التـي طالبـوا فيهـا حسـنى مبـارك بحـل مجلـس الشـعب وإجـراء انتخابـات جديـدة، وتنفيـذ الأحـكام القضائيـة ببطـلان الانتخابـات في نحـو 92 دائـرة، كان مـن بينهـم: جـمال زهـران، وحمديـن صباحـي، وعـلاء عبدالمنعـم، وسـعد عبـود.[12]

ومـع رجـوع محمـد البرادعـي -الرئيـس الأسـبق لوكالـة الطاقـة الذريـة- إلى مـصر في عـام 2010، وتبنيـه أجنـدةً مطالبـات تدفـع نحـو التغيـير السـياسي؛ انضمـت مجموعـة الكرامـة للجمعيـة الوطنيـة للتغيـير التـي أسسـها البرادعـي مـع رمـوز مـن القـوى السياسـية، وأسـهم شـباب الحـزب -تحـت التأسـيس وقتهـا- في جمـع التوقيعـات عـلى المطالـب التـي نـادت بهـا الجمعيـة الوطنيـة للتغيـير حينهـا.

في الوقـت الـذي تبنـى فيـه مجموعـة كبـيرة من الشـباب تأسـيس حملة لدعـم البرادعي للترشـح للرئاسـة كان هنـاك في التوقيـت نفسـه مشـاريع لحمـلات رئاسـية أخـرى، مثـل حملـة أيمـن نـور وحملـة حمديـن صباحـي. بالطبـع لم تكـن تلـك الحمـلات الثـلاث تتنافـس فيـما بينهـا، فلـم يكـن هنـاك مجـالٌ أساسًـا يسـمح بترشـحهم، فـوضعـوا نصـب أعينهـم الضغـط لإعـادة النظـر في تعديـلات 2007 مـن ناحيـة، ورفـض مـشروع التوريـث مـن ناحيـة أخـرى، كخطـوة أولى قبـل الحديـث عـن فكـرة منافسـة مـن عدمـه.[13]

12- أحمد أبو حجر، برلمان 0102 أطفأ شمس مبارك، برلماني، (72 / 1/ 6102)، تاريخ الوصول 72/ 21/ 8102: wPQtLV/lg.oog//:sptth

13- عماد حمدي، المتحدث الإعلامي لـ»التيار الشعبي»، ومنسق لجنة الانتخابات بحملة حمدين صباحي 2102، وعضو المكتب السياسي بحزب الكرامة، مقابلة إنترنت مع الباحث، 81/ 21/ 8102

ثانيًا: حزب الكرامة بعد الثورة

شـارك أعضـاء حـزب الكرامـة في التظاهـرات التـي خرجـت في 25 و28 ينايـر 2011، وتنظيـم بعضهـا، ثـم شـارك ممثـل عنهـم وهـو حسـام مؤنـس في ائتـلاف شـباب الثـورة، حينـما قـام الائتـلاف بتوسـيع أعضـاء مكتبـه التنفيـذي وضـم أحـزاب وحـركات أخـرى للتنظيـمات التـي كانـت منضويـة فيـه بعـد تنحـي مبـارك مبـاشرة،[14] في خطـوة حـاول فيهـا المكتـب التنفيـذي للائتـلاف تعظيـم قوتـه، وخلـق قـدرة أكـبر عـلى التفـاوض مـع المجلـس العسـكري والإخـوان المسـلمين، والقـوى السياسـية الأخـرى.

لاحقًـا وبعـد خفـوت حركـة الائتـلاف؛ اهتـم أغلـب مؤسسـيه بالانـصراف للإسـهام في تأسـيس أحـزاب جديـدة، أو العـودة لأحزابهـم وحركاتهـم القديمـة، أو المشـاركة في قيـادة حمـلات الانتخابـات الرئاسـية التـي كانـت تتشـكل وتنتظـم حركتهـا في هـذه الفـترة. هكـذا انـصرف أعضـاء الكرامـة إلى العمـل في حملتهـم الخاصـة بالانتخابـات البرلمانيـة الأولى التـي جـرت بعـد الثـورة، ثـم تحركـوا بعدهـا لإعـادة بعـث حملـة حمديـن صباحي التـي كانـت مشروعًـا في عـام 2010.

في الانتخابـات البرلمانيـة الأولى بعـد الثـورة 2012/2011 دخـل حـزب الكرامـة في قائمـة التحالـف الديمقراطـي الـذي قادتـه جماعـة الإخـوان المسـلمين، واسـتطاع أن يحصـد 6 مقاعـد، كانـت مـن نصيـب: أمـين اسـكندر وسـعد عبـود ومحمـود منيـب وكـمال أبـو عيطـة وسـعد نـصري ومحمـد السـعيد إدريـس.[15]

وقـد اهتـم قيـادات حـزب الكرامـة وقتهـا عـلى التأكيـد عـلى أن هـذا التحالـف مجـرد تحالــف انتخــابي، وليــس تحالفًــا سياســيًا. وبــرروا مشــاركتهم فيــه بــضرورة توحيــد الجهـود للتصـدي لمجموعـات النظـام القديـم، وعـدم تمكينهـم مـن المشـاركة السياسـية، وذلـك بعـد فشـل تطبيـق مسـألة العـزل السـياسي لقيـادات الحـزب الوطنـي المنحـل حينهـا. وقـد شـاركت قـوى عديـدة في البدايـة في هـذا التحالـف (سـيتم تنـاول التحالـف الديمقراطــي بالتفصيــل في الفصــل التاســع) وانســحب أغلبهــا فيــما بعــد. وقــد جــرى نقـاش وقتهـا داخـل الكرامـة عـلى الخـروج مـن التحالـف، وحـدث تـردد داخـلي، وظهرت أخبـار تتحـدث عـن خـروج الحـزب، لكنهـم قـرروا في النهايـة الاسـتمرار، لصعوبـة العمـل بشـكل منفـرد، خصوصًـا وأن الحـزب كان قـد تأسـس حديثًـا في العـام نفسـه، ولم تكـن

14- مصطفى شوقي، عضو سابق بالمكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة، مقابلة إنترنت مع الباحث، 52/ 21/ 8102

15- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 1102/ 2102، في عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 1102/ 2102، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ط 1، القاهرة، 2102، ص 873

لديـه القـدرات أو الإمكانيـات التمويليـة المطلوبـة. والسـبب الآخـر أن خلافاتهـم مـع الإخـوان حـول كوتـة حزبهـم في القائمـة أتـت قبـل أيـام قليلـة مـن الانتخابـات مبـاشرة، فصَعُـب عليهـم الانسـحاب، والعمـل عـلى بشـكل منفـرد في هـذا الوقـت الضيـق.[16]

بعـد الانتخابـات البرلمانيـة، بـدأ الاهتـمام داخـل الكرامـة بإعـادة تنظيـم حملـة حمدين لدعـم ترشـحه للانتخابـات الرئاسـية المفـترض إجراؤهـا في منتصـف عـام 2012. وبالفعـل ظهـرت حملـة حمديـن صباحـي لأول مـرة للوجـود بعـد الانتهـاء مـن الانتخابـات البرلمانيـة بأيـام، وقـد اسـتطاعت الحملـة كسـب عضويـات جديـدة مـن القادمـين الجـدد لعـالم السياسـة، خصوصًـا وأن حمديـن حينهـا كان يمثـل بجـوار أبـو العـز الحريـري وخالد عـلي وعبـد المنعـم أبـو الفتـوح مرشـحين محتملـين معبريـن عـن الثـورة.

أُجريـت الانتخابـات الرئاسـية، وجـاء حمديـن في الترتيـب الثالـث بعـد محمـد مـرسي، مرشـح الإخـوان، وأحمـد شـفيق، المرشـح المحسـوب عـلى النظـام القديـم. هـذا النجـاح حققـه حمديـن رغـم عـدم وجـود تنظيـم كبـير لحملتـه، وغيـاب التمويـل الضخـم المتوافـر لحمـلات مـرسي وشـفيق. وقـد فـسر قياديـون مـن حملتـه ذلـك بـأن وراءه أسـباب مختلفـة، أهمهـا -مـن وجهـة نظرهـم- أن حمديـن لم يغـير برنامجـه ورؤيتـه السياسـية منـذ ظهـوره السـياسي، وأن لـه تاريـخ نضـالي منـذ كان قياديًـا للحركـة الطلابيـة في بدايـة ومنتصـف السـبعينيات، وكذلـك موقفـه الواضـح المنحـاز للثـورة عـلى عكـس مـرسي وشـفيق. كذلـك انحـاز جـزء كبـير مـن الداعمـين لحمدين صباحـي قبـل الانتخابات مبـاشرةً إثـر تراجـع شـعبية عمـرو مـوسى وعبدالمنعـم أبـو الفتـوح بعـد المناظـرة الشـهيرة التـي جـرت بينهـما، وهـي المناظـرة التـي خصمـت في رأي الكثيريـن مـن كلا المرشـحَيِّن. كذلـك يؤكـد داعمـو حمديـن أن جـزءًا ممَـن انحـازوا لـه وثقـوا في خطـه السـياسي مقارنة بأبـو الفتـوح، الـذي لم يكـن -في رأيهـم- يمتلـك خطًـا ورؤيـة واضحـة المعـالم، وأنـه فـكَّ ارتباطـه حديثًـا بالإخـوان قبـل ترشـحه مبـاشرة، وأنـه –وفقًـا لرأيهـم- مُحمَّـل بأخطـاء مـن المـاضي، لا يحمـل مثلهـا حمديـن. كـما أكـد داعمـو صباحـي عـلى أنـه يتمتـع بكاريزمـا خطابيـة كبـيرة، أهَّلتـه للتفاعـل مـع قطاعـات شـعبية واسـعة، حـول سياسـات الإفقـار والتهميـش التـي مورسـت عليهـم في عهـدَيِ السـادات ومبـارك، وهـو مـا أكسـبه تعاطفًـا ودعـمًا كبيريـن.[17]

16- معلومات متقاطعة تم الحصول عليها من خلال مقابلات الباحث مع: عماد حمدي، المتحدث الإعلامي لـ»التيار الشعبي»، ومنسق لجنة الانتخابات بحملة حمدين صباحي 2102، وعضو المكتب السياسي بحزب الكرامة، مصدر سبق ذكره، وأحمد علي، مسؤول مكتب الطلاب السابق بـ»التيار الشعبي»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث 32 / 21/ 8102، ومحمد الجبالي، مسؤول مكتب الطلاب السابق بـ"التيار الشعبي"، مقابلة على الإنترنت مع الباحث 02/ 21/ 8102، انظر أيضا : فريدة علي، "الكرامة" ينسحب من التحالف الديمقراطي مع الإخوان المسلمين، موقع صدى البلد، (7 أبريل 2102)، شوهد في 02/ 21/ 8102 : 127921/swen.dalable.www//:sptth

17- معلومات متقاطعة تم الحصول عليها من خلال مقابلات الباحث مع: عماد حمدي، المتحدث الإعلامي لـ»التيار الشعبي»، ومنسق لجنة الانتخابات بحملة حمدين صباحي 2102، مصدر سبق ذكره، وأحمد علي، مسؤول مكتب الطلاب السابق بـ»التيار الشعبي»، مصدر سبق ذكره، ومحمد الجبالي، مسؤول مكتب الطلاب السابق ب»التيار الشعبي»، مصدر سبق ذكره.

بعد خروج حمدين صباحي من الجولة الأولى للانتخابات؛ أدرك هو ورفاقه أن الخمسة ملايين صوت تقريبًا[18] التي تم التحصل عليها[19] لا يجب هدرها في تنظيم حزبي ضيق، وهو حزب الكرامة، الذي كان معبرًا عن حالة ناصرية واضحة، فيما كان الدعم الذي تلقاه حمدين معبرًا عن تيارات متنوعة في الشارع، وقطاعات عريضة ممَن اهتموا بالسياسة بعد الثورة، وقطاعات فلاحية وشعبية فقيرة هنا وهناك داعبها حمدين صباحي بخطاباته عن العدالة الاجتماعية، والمساواة، ورفض الإفقار المتعمد لهم.

هنا دار النقاش حول أهمية استثمار هذا الفوز بتأسيس إطار تنظيمي جامع غير مؤدلج، يتجاوز الحالة الحزبية ويتخطى فكرة الحركات الاحتجاجية، ويمكنه أن يسع الأحزاب والحركات ممن يؤمنون -في نظر مؤسسي التيار- بأهداف الثورة الأساسية، تيار يمكنه أن يحتل موقع قيادة الثورة الذي لم يملأه طرف منذ يناير، وأن يتواجد في مكان الفراغ الذي لم يستطع ائتلاف شباب الثورة مَلْأَه بشكل كامل، وأن يُبنى على برنامج الحملة الرئاسية السابقة وأهدافها.[20]

يلخص أحمد علي، أحد قياديِّي التيار الشعبي، الذي كان مسؤولًا عن المكتب الطلابي، الهدفَ الذي تأسس التيار لأجله قائلًا: "التيار عبَّر عن تكوين تنظيمي جديد، كان الغرض منه هو تجميع القوى التي آمنت بمشروع حملة حمدين صباحي الرئاسية في 2012، لم تكن حملته من حزب الكرامة فقط، بل كان تكوينها في جزء كبير منها يصل إلى 60% من خارج الكرامة، كنا نمتلك أملًا في وجود مظلة تستكمل معركة تحقيق أهداف الثورة الأساسية، كنا نحاول تأسيس كيان يستطيع أن يوازن مع المجلس العسكري وقوى النظام القديم من جهة، والإخوان المسلمين من جهة أخرى، كان الكرامة حزب حمدين ومشروعه، لكن كان من الصعوبة تجميع من التفَّ وراء حمدين في 2012 في حزب لا يعبرُ بالكامل عن تصوراتهم التي تختلف بالطبع في جزء منها عن تصورات الكرامة، فقد كانوا خليطًا من الليبراليين والقوميين واليساريين وحتى إسلاميين مستنيرين ومستقلّين، أغلبهم كانوا من الشباب غير المُسيَّس، لم تكن الانتخابات الرئاسية حينها تكتيكًا من مجموعة الكرامة لتجميع عضويات جديدة وإضافتها للحزب، بل كان الغرض الأساسي هو استكمال مشروع الثورة، عن طريق وجود ممثل لها في أعلى قمة السلطة التنفيذية، لكن هذا لم يحدث، لذا رأينا أن نستكمل هذا المشروع عبر إطار آخر

18- إجمالي الأصوات التي حصل عليها حمدين صباحي تقترب من 5 ملايين صوت، حيث حصل على 372,028,4 صوتا بنسبة 27.02% من إجمالي الأصوات الكلية في الجولة الأولى

19- "العليا للانتخابات: الإعادة بين مرسي وشفيق.. و4.64% نسبة التصويت في الجولة الأولى"، اليوم السابع، (82/ 5/ 2102)، تاريخ الوصول للرابط 2/ 4/ 3102: j1FNWE/lg.oog//:sptth

20- عماد حمدي، المتحدث الإعلامي لـ»التيار الشعبي»، مقابلة إنترنت مع الباحث، مصدر سبق ذكره

يعكس برنامج وتصور الحملة».. أحمد علي نفسه، الذي كان عضوًا في لجنة تسيير التيار، لم يكن عضوًا في حزب الكرامة وكذلك قياديون ناصريون آخرون بالتيار.[21]

لم يطرح التيار الشعبي نفسه باعتباره تكوينًا ناصريًا، بل جبهة وطنية لها برنامج وأجندة وطنية عامة، ومحددات وأهداف كُلّية. وتنصُّ الوثيقة التأسيسية للتيار الشعبي المصري على أن الدافع وراء قيام التيار هو العمل على تحقيق أهداف الثورة في الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة، وتؤكد الوثيقة أيضًا أن الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية في مصر أثبتت أن لديها قاعدة دعم شعبي قوية، فقد حصل زعيم الحركة حمدين صباحي على ثالث أعلى عدد من الأصوات بعد محمد مرسي وأحمد شفيق. وقد حدد التيار الشعبي المصري ثلاثة أهداف كشروط مسبقة لإنجاز أهداف الثورة وتحقيق نهضة مصرية شاملة:[22]

• إقامة نظام سياسي ديمقراطي، في إطار دولة وطنية مدنية ديمقراطية، تقوم على دستور يكرّس جميع الحريات العامة؛ ويحقق الفصل بين السلطات؛ ويعيد بناء مؤسسات الدولة؛ ويضمن استقلال السلطة القضائية؛ ويضمن حرية الصحافة والإبداع والفكر والمعتقد، ويوفّر المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، ويرسّخ سيادة القانون والمؤسسات.

• تحقيق العدالة الاجتماعية القائمة على التحوّل المجتمعي الجذري عن طريق البدء بمشروع تنمية شاملة يضمن تكافؤ الفرص، وكفاية الإنتاج، والتوزيع العادل للثروة.

• استعادة دور مصر القيادي في العالمين العربي والإسلامي وفي أفريقيا، والعمل على بناء كتلة دولية جديدة للوقوف في وجه العولمة السريعة، ودعم الحق المشروع في مقاومة الاحتلال سواء في فلسطين أو العراق أو أي مكان آخر، كما تتمثّل رسالة التيار الشعبي المصري في بناء قاعدة شعبية وتسمية المرشحين للمنافسة في الانتخابات المحلية والبرلمانية والرئاسية، وتسعى الحركة أيضًا إلى تأسيس الشركات وجماعات المجتمع المدني، التي ستعمل على مشاريع التنمية وتوفير الخدمات للمواطنين من أجل التواصل مع أكبر شريحة ممكنة من سكان مصر.[23]

21- أحمد علي، مسؤول المكتب الطلابي بـ «التيار الشعبي»، مقابلة إنترنت مع الباحث، مصدر سبق ذكره

22- القوى المدنية في مصر، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، تاريخ الوصول للرابط 62/ 21/ 8102: o57h3C/lg.oog//:sptth

23- المصدر نفسه

ثالثًا: الهيكل التنظيمي للتيار الشعبي

تأثـر الهيـكل التنظيمـي للتيـار الشـعبي بالهيـكل التنظيمــي للحــركات الجبهويــة الواســعة التــي كانــت قائمــة قبــل الثــورة، كان التنظيــم عبــارة عــن هيـكل أفقــي غـير هــيراركي، يسـمح بمراكـز تأثـير في لجنتـين أو أكـثر بالتيـار بجـوار المؤســس أو النخبــة الصغــيرة التــي تقــوده.

كان الجــزء الأعــلى قياديًّــا في التيــار الشــعبي هــو مجلــس الأمنــاء، وكان مســؤولًا عــن وضـع الخطـوط الأساسـية للتيـار ومراقبـة أدائـه، ويفصـل في القـرارات السياسـية المفصليــة، لكــن في بقيــة القــرارات كان دوره أقــرب لمجلــس استشــاري، ولم يكــن لــه علاقـة بالقـرارات التنظيميـة اليوميـة. وقـد ضـمَّ المجلـس مجموعـة واسـعة مـن رمـوز الكتلــة المدنيــة والفنانــين والصحفيــين والإعلاميــين والاقتصاديــين والسياســيين، دعاهــم حمديـن صباحـي لتأسـيس التيـار الشـعبي، مـن بينهـم: كـمال أبـو عيطـة، النقـابي وعضـو مجلـس الشـعب السـابق عـن الكرامـة، وعبـد الحليـم قنديـل، ونيفـين مسـعد، وعـلاء عبدالمنعـم، وممـدوح حمـزة، وإسـعاد يونـس، ومحمـد العـدل، وعـزازي عـلى عـزازي، وبهـاء طاهـر، وعبـد الخالـق فـاروق، وعبـد الحكيـم عبدالنـاصر، وجـمال فهمـي، وجـمال زهـران، وخالـد يوسـف، ويوسـف الحسـيني، وشـيرين القـاضى، وسـيد حجـاب، وجـمال بخيـت، وفـاروق الفيشـاوي، وآخـرون.[24]

يقـع المكتـب التنفيـذي أو مكتـب تسـيير أعـمال التيـار الشـعبي بعـد مجلـس الأمنـاء مبـاشرة داخـل الهيـكل التنظيمـي للتيـار، وكان يضـم 17 عضـوًا أغلبهـم من الشـباب، لهم توجهـات سياسـية مختلفـة، وبعضهـم أعضـاء في أحـزاب أخـرى، وكان المكتـب التنفيـذي مسـؤولًا عـن إدارة العمـل اليومـي بالتيـار. وكان جـزء مهـم مـن أعضـاء المكتـب أعضـاء سـابقين في ائتـلاف شـباب الثـورة، مثـل: مصطفـى شـوقي وهـو اشـتراكي كان عضـوًا سـابقًا بالائتـلاف وتيـار التجديـد الاشـتراكي وحـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكي، وخالـد تليمـة الـذي كان عضـوًا بالائتـلاف، وممثـلًا عـن شـباب حـزب التجمـع، وعـماد حمـدي مُنسـق لجنـة الانتخابـات بحملـة حمديـن صباحـي، وخالـد عبـد الحميـد عضـو تيـار التجديـد الاشـتراكي والتحالـف الشـعبي الاشـتراكي، وممثـل عـن حركـة شـباب مـن أجـل العدالـة والحريـة في ائتـلاف شـباب الثـورة، ونـاصر عبدالحميـد، وهـو ممثـل الجمعيـة الوطنيـة

24- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات مع عماد حمدي، وأحمد علي، ومحمد الجبالي، أعضاء سابقين بالتيار الشعبي، وحملتي حمدين صباحي في انتخابات الرئاسة 2102/ 4102، مصدر سبق ذكره، انظر أيضا: أمين صالح وهاني عثمان، "التيار الشعبي" يشكل "مجلس أمناء"، ويضم 57 شخصية.. اليوم السابع، (41/ 9/ 2102)، تاريخ الإطلاع على الرابط 52/ 21/ 8102: LwGT7i/lg.oog//:sptth

للتغيير في ائتلاف شباب الثورة، وكانت مجموعته الأساسية التي عمل فيها بعد خروجه من الائتلاف هي حزب الدستور، وخالد السيد عضو المكتب التنفيذي السابق لائتلاف شباب الثورة، وأحمد كامل بحيري، وآخرين. وتحت المكتب التنفيذي تتواجد مجموعة من اللجان، هي: لجنة العمل الجماهيري، لجنة الاتصال السياسي، لجنة إعلامية، لجنة طلابية، لجنة المرأة، لجنة عمالية، لجنة التنظيم والعضوية، لجنة العلاقات الخارجية.[25]

يلاحظ هنا عدة ملامح في تكوين التيار الشعبي تجبُ الإشارة إليها. الملمح الأول، هو الحضور الظاهر والقوي والفاعل لقيادات من ائتلاف شباب الثورة. الملمح الثاني، بدا من التكوين الذي تشكل منه مجلس أمناء التيار أن المجلس ذو طابع شكلي، فأعضاءه منشغلون بتنظيماتهم وأحزابهم، وهناك درجة كبيرة من التنوع داخلهم، بل أن بعضهم لم يكن له خبرة أصلًا بالعمل السياسي، وآخرين من الواضح أن وجودهم هدفه التأكيد على فكرة أن التيار الشعبي يمثل حالة جماعية معبرة عن قطاعات واسعة، لخلق قيادة للثورة. والفكرة الأخيرة هذه -خلق قيادة للثورة- هي ذاتها التي حاول البرادعي تنفيذها في حزب الدستور، الذي تشكّل هو أيضًا من تنوع طيفي واسع، وتبنى تصورات سياسية عابرة للأيديولوجيا. كما أن حزب التيار المصري حاول أيضًا في نفس الاتجاه، بعد فشل ائتلاف شباب الثورة في تحقيق ذلك، من وجهة نظره. وكذلك حزب العدل، وآخرين، سعوا لتحقيق نفس المهمة. أما الملمح الثالث، فهو قيام حمدين بترك مهمة قيادة التيار الشعبي لمجموعة الشباب، كما ترك من قبل قيادة حزبه القديم الكرامة، في محاولة لتأكيد صورة المرشح الرئاسي السابق أو المستقبلي، الذي سيركز على مشروع يتجاوز الحزبية.

وبالطبع مثَّل حزب الكرامة النواة التنظيمية الأساسية في بداية تأسيس التيار الشعبي، لكن كانت تتواجد مجموعات أخرى غير أعضاء الكرامة، كأفراد من المسيَّسين الجدد الذين التحقوا بالعمل السياسي بعد الثورة، ومجموعات واسعة من طلاب الجامعات، ومجموعة ممثلة عن أحزاب أخرى. وهكذا تم التوافق على أن يتم التعامل مع حزب الكرامة باعتباره واحد ضمن الأحزاب الأخرى الممثلة في التيار.

كان التيار أقرب لإطار جبهوي، يضم مجموعة متنوعة من الأفراد ذوي اتجاهات مختلفة، لكن بعد فترة وفي ظل الضغط لتقنين وضعه، برزت الحاجة لتحويله إلى حزب، أو الانضمام لحزب قريب من أفكار التيار. وهنا دار سجال حول وجهتي

25- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات مع عماد حمدي، وأحمد علي، ومحمد الجبالي، مصدر سبق ذكره

نظـر، الأولى تسـاءلت عـن الجـدوى مـن بنـاء حـزب جديـد معـبر عـن التيـار في ظـل وجـود الكرامـة، فيـما طرحـت وجهـة النظـر الأخـرى أن التيـار يختلـف في تكوينـه عـن الكرامـة، حينهـا أعطـى حمديـن صباحـي الفرصـة لشـباب التيـار بـأن يقومـوا بتحويـل التيـار إلى حـزب، وبالفعـل أخـذوا خطـوة فطرحـوا أسـماء خمسـة أفـراد مـن التيـار كـوكلاء مؤسسـين، هـم: رائـد سـلامة، وخالـد تليمـة، وعمـرو حلمـي، ومعصـوم مـرزوق، وحسـام مؤنـس. لكنهـم واجهـوا مشـاكل إجرائيـة عديـدة، مـا بـين ضيـق الوقـت، وعـدم وجـود تمويـلات كافيـة تدعـم فكـرة التوكيـلات، بعدهـا دخـل مـن تبقـى مـن مجموعـة التيـار الشـعبي وحـزب الكرامـة في مسـار مـن التفاوضـات، انتهـت بدمـج الكيانـين في كيـان واحـد حمـل اسـم تيـار الكرامـة، وبسـبب هـذا الاندمـاج انسـحب بعـض الشـباب التيـار، مَـن رفضـوا الدمـج.[26]

26- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات مع محمد الجبالي، مسؤول سابق لمكتب الطلاب بالتيار الشعبي، مصدر سبق ذكره، وأحمد علي، عضو المكتب التنفيذي للتيار الشعبي، ومسؤول سابق عن مكتب الطلاب بالتيار الشعبي، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره

رابعًا: حركة التيار الشعبي في المجال السياسي

حاول مؤسسو التيار -وفي ظل المجال العام الذي كان مفتوحًا بما أعطى فرصة كبيرة للعمل على الأرض- التحركَ لخلق كيان جماهيري له قواعده المنظمة، وألا يقصروا نشاطهم فقط على العمل السياسي. كان يسيطر على أذهانهم تجربة الإخوان المسلمين، الذين نجحوا في بناء قواعد جماهيرية كبيرة عبر العمل في مساحات غير سياسية، وخلق شبكات أخطبوطية منتشرة في القرى والنجوع.

تبنى التيار الشعبي العمل على ثلاث مساحات: اجتماعية وسياسية وثقافية. ونظريًا كان الأمر جيدًا للغاية، على أساس أن يسعى التيار الشعبي إلى خلق تنظيم جماهيري، له شعبية تُمكِّنُه من مزاحمة الإخوان المسلمين اجتماعيًا وسياسيًا. لكن عمليًا لم يتحقق هذا الأمر بأي قدر، باستثناء النجاح الجزئي الذي حققته الذراع الطلابية للتيار الشعبي بالجامعات في انتخابات الاتحادات الطلابية مارس 2013، وهو النجاح الذي شاركته فيها قطاعات طلابية أخرى. حيث نجح تحالف طلاب التيار الشعبي مع طلاب بعض القوى غير الإسلامية في هزيمةَ طلاب الإخوان المسلمين في جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية وكفر الشيخ وطنطا وأسيوط، هذا غير اكتساحهم الانتخابات في جامعة حلوان عبر تحالف صوت الطلبة، الذي ضم طلاب التيار الشعبي وحركة مقاومة والاشتراكيين الثوريين و6 أبريل الجبهة الديمقراطية وحركة كفاية.[27]

وعلى المستوى السياسي والاجتماعي؛ طغى على حركة التيار النمط الاحتجاجي التقليدي، خصوصًا بعد الظروف التي شابت المجال السياسي عقب تأسيسه مباشرة. حيث شهدت الحياة السياسة حالة كبيرة من التوتر والاستقطاب إثر الجدال والصراع الذي ارتبط بتأسيس اللجنتَين التأسيسيتين الأولى والثانية للدستور في 2012، ثم الإعلان الدستوري الذي أصدره محمد مرسي، حينها وجد التيار نفسه مرغمًا على التحالف مع مجموعة من الأحزاب والحركات السياسية اليسارية والليبرالية والناصرية، التي شكلت جبهة الإنقاذ.

27- سمر نصر، التيار الشعبي يفوز بأمانة اتحاد طلاب "كفر الشيخ".. وتحالف "صوت الطلبة" يكتسح بجامعة حلوان، الأهرام، (31/ 3/ 3102)، شوهد في 42/ 21/ 8102: ptth://etag.marha.gro.ge/sweN/835023.xpsa ، انظر أيضا: نجلاء مكاوي، الانتخابات الطلابية في مصر قراءة في المقدمات والنتائج، جريدة السفير اللبنانية، (71/ 6/ 3102) شوهد في 22/ 21/ 8102: sptth://oog.lg/VYbyazK وباهي حسن، «صباحي» لـ«طلاب التيار الشعبي والدستور»: بكم يقينًا الثورة ستنتصر، المصري اليوم، (5/ 3/ 3102)، شوهد في 62/ 21/ 8102: sptth:// www.almasryalyoum.moc/swen/sliated/697292

وفقًا لأقوال قيادات من التيار الشعبي؛ فإن محمد مرسي أحدث أزمة كبيرة بهذا الإعلان، لأنه قام بتحصين قراراته الرئاسية من النقض قضائيًّا، وهذا الأمر كان معناه أنه يستطيع أخذ أيّة قرارات تتعارض مع الدستور والقانون. كما قام بضرب استقلالية القضاء حينما أقال النائب العام عبد المجيد محمود وسمح لنفسه بتعيين نائب جديد، رغم أن التيار الشعبي ومعه بعض الحلفاء في جبهة الإنقاذ متحفظين على أداء النائب العام القديم. واعتبر التيار الشعبي وجبهة الإنقاذ أن الإعلان الدستوري هو رِدّة عن المسار الثوري الذي بدأ مع يناير، وبالتالي عملوا على رفض الإعلان وما ترتب عليه.[28]

دعم التيار الشعبي طيلة الشهور الأولى من عام 2013، الحراك المضاد لمحمد مرسي والإخوان، بغرض إسقاط الدستور الذي خرج من لجنة تأسيسية ذات أغلبية إسلامية، ورفض الإعلان الدستوري وما يترتب عليه، والضغط لتشكيل حكومة وحدة وطنية. وبالفعل تمكّنت جبهة الإنقاذ من حشد تظاهرات ضخمة على فترات للضغط من أجل تحقيق هذه المطالب، أعقبها تراجع محمد مرسي عن بعض مواد الإعلان الدستوري.[29]

وبعد فترة ظهرت حركة تمرد التي كان من ضمن مؤسِّسيها شباب كانوا في التيار الشعبي، وانضموا إليها بصفتهم الشخصية وليسوا كممثلين عن التيار الشعبي، مثل محمد عبدالعزيز، الذي كان ضمن المكتب التنفيذي للتيار، وحسن شاهين، الذي كان في قيادات الصف الثاني بالتيار، وآخرين. وقد استطاعت حركة تمرد أن تكسب زخمًا واسعًا بعد ظهورها بفترة قصيرة، خصوصًا وأن الشارع كان محتقِنًا بشدة بسبب الأزمات التي واجهت مرسي وحكومة هشام قنديل فيما يخص توفير الطاقة، وهي أزمات شكلت حالة ضغط كبيرة، واعتمد عليها كلٌّ من جبهة الإنقاذ وحملة تمرد لزيادة التعبئة ضد قرارات مرسي، وخلق حالة مضادة لضرب شعبية الإخوان المسلمين.[30]

لاحقًا، تراجعت بشكل كبير حركة التيار الشعبي بعد 3 يوليو 2013 بفعل أزمات مختلفة، ما بين ذاتية وموضوعية، مثله مثل أغلب الأحزاب والحركات التي ظهرت ونشأت إبان الثورة.

ذَوَت حركة التيار الشعبي، وانفضت مجموعاته وأفراده الذين أتوا من مساحات مختلفة، إما لأحزابهم الأصلية التي أتَوا منها، وإما انسحبوا تمامًا من المجال السياسي، ثم لاحقًا لم يجد من تبقى من أفراد التيار الشعبي طريقًا -وكان أغلبهم

28- عماد حمدي، المتحدث الإعلامي عن «التيار الشعبي»، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره

29- المصدر نفسه

30- معلومات متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات الباحث مع عماد حمدي، المتحدث الإعلامي للتيار الشعبي، مصدر سبق ذكره، وأحمد علي، مسؤول مكتب الطلاب بالتيار الشعبي، مصدر سبق ذكره

مـن الناصريـين- سـوى الاندمـاج في حـزب الكرامـة، وفي مؤتمـر عـام تـم الإعـلان عـن دمـج الكيانـين في كيـان واحـد أطلـق عليـه اسـم «تيـار الكرامـة».[31]

كانـت خطـوة نتـج عنهـا إضافـة ودمـج مجموعتـين شـبه متماثلتـين داخـل كيـان واحـد، لكنهـا لم تضـف للمجـال السـياسي المخنـوق جديـدًا، في ظـل وضـع صـار لاعبـوه الأساسـيون قـوى أخـرى مختلفـة تمامًـا عـن تلـك التـي نشـأت بعـد ثـورة ينايـر.

31- حمدي قاسم، إعلان اندماج "الكرامة" مع "التيار الشعبي" الأسبوع المقبل، (1 /4/ 7102)، شوهد في 72 /21/ 8102: www//:sptth.
1511111/sliated/swen/moc.muoylayrsamla

مراجع الفصل الثامن

أولا. الكتب

- عبدالغفار شكر، التحالفات السياسية والعمل المشترك في مصر (1993-1976)، سلسلة كتب الأهالي، العدد 49، القاهرة، يوليو 1994
- عبدالغفار شكر، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، في عبدالغفار شكر، عماد صيام، مصطفى الجمال، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية في مصر، مركز البحوث العربية والأفريقية، القاهرة، ط1، 2010.
- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2011/ 2012، في عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ط 1، القاهرة، 2012.

ثانيا. الصحف والمواقع

- أحمد أبو حجر، برلمان 2010 أطفأ شمس مبارك، برلماني، (27 / 1/ 2016)، شوهد في 27/ 12/ 2018: https://goo.gl/VLtQPw
- أمين صالح وهاني عثمان، "التيار الشعبي" يشكل "مجلس أمناء"، ويضم 75 شخصية.. اليوم السابع، (14/ 9/ 2012)، شوهد في 25/ 12/ 2018: https://goo.gl/i7TGwL
- انتقادات لغياب الشفافية في الانتخابات الداخلية للحزب الناصري، تقرير صادر عن الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، (16 / 12/ 2006)، شوهد في 26 /12/ 2012: https://goo.gl/iXkLGr
- إجمالي الأصوات التي حصل عليها حمدين صباحي تقترب من 5 ملايين، حيث حصل على 4,820,273 صوتا بنسبة 20.72% من إجمالي الأصوات الكلية في الجولة الأولى
- "العليا للانتخابات: الإعادة بين مرسي وشفيق.. و46.4% نسبة التصويت في الجولة الأولى"، اليوم السابع، (28/ 5/ 2012)، تاريخ الوصول للرابط 2/ 4/ 2013: &http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=690562
- القوى المدنية في مصر، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، تاريخ الوصول للرابط 26/ 12/ 2018: https://goo.gl/C3h75o.
- باهي حسن، «صباحي» لـ«طلاب التيار الشعبي والدستور»: بكم يقينًا الثورة

ستنتصر، المصري اليوم، (5/ 3/ 2013)، شوهد في 26/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/292796

- حمدي قاسم، إعلان اندماج "الكرامة" مع "التيار الشعبي" الأسبوع المقبل، (1 /4/ 2017)، شوهد في 27 /12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/1111151
- حزب الكرامة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، (15/ 2/ 2012)، شوهد في 24/ 12/ 2018:https://carnegie-mec.org/2012/02/15/ar-pub-54965
- ريم سعد، عن قانون الإيجارات الزراعية وعما فعله مبارك بمصر والمصريين، الشروق، (22 / 6/ 2014)، شوهد في 26/ 12/ 2018: http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=22062014&id=b2c95fa0-02f4-3be2-77b6-6744e869fa17
- سمر نصر، التيار الشعبي يفوز بأمانة اتحاد طلاب "كفر الشيخ".. وتحالف "صوت الطلبة" يكتسح بجامعة حلوان، الأهرام، (13/ 3/ 2013)، شوهد في 24/ 12/ 2018: http://gate.ahram.org.eg/News/320538.aspx
- فريدة علي، "الكرامة" ينسحب من التحالف الديمقراطي مع الإخوان المسلمين، موقع صدى البلد، (7 أبريل 2012)، شوهد في 20/ 12/ 2018 : https://www.elbalad.news/129721
- محمد الخولي، حمدين صباحي: مرشح العمال والفلاحين والطلبة، الأخبار اللبنانية، (11 /5/ 2012)، شوهد في 25/ 12/ 2013 : https://al-akhbar.com/Arab/70062
- 3 قتلى في أعمال عنف واعتقالات خلال الانتخابات المصرية، جريدة الاتحاد، (28/ 11/ 2010)، شوهد في 27/ 12/ 2018: https://goo.gl/bfnG2y
- محمد عبدالحكيم دياب، عام 1977«عام المحنة» الذي غيَّر من حمدين صباحي وصحبه!، القدس العربي، (27/ 6/ 2014)، شوهد في 24 / 12/ 2018: https://goo.gl/ZR5GFm
- نجلاء مكاوي، الانتخابات الطلابية في مصر قراءة في المقدمات والنتائج، جريدة السفير اللبنانية، (17/ 6/ 2013) شوهد في 22/ 12/ 2018: https://goo.gl/VY-byazK

رابعا. المقابلات:

- أحمد علي، مسؤول مكتب الطلاب السابق بـ"التيار الشعبي"، مقابلة على

الإنترنــت مــع الباحــث 23 / 12/ 2018

- أمــين اســكندر، أحــد مؤســسي حــزب الكرامــة، مقابلــة شــخصية مــع الباحــث، القاهــرة، 20 نوفمــبر 2010
- عبدالغفار شكر، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 22 أكتوبر 2010
- عــماد حمــدي، المتحــدث الإعلامــي لـ"التيــار الشــعبي"، ومنســق لجنــة الانتخابــات بحملــة حمديــن صباحــي 2012، وعضــو المكتــب الســياسي بحــزب الكرامــة، مقابلــة إنترنــت مــع الباحــث، 18/ 12/ 2018
- مصطفــى شــوقي، عضــو ســابق بالمكتــب التنفيــذي لائتــلاف شــباب الثــورة، مقابلــة إنترنــت مــع الباحــث، 25/ 12/ 2018
- محمــد الجبــالي، مســؤول مكتــب الطــلاب الســابق ب"التيــار الشــعبي"، مقابلــة عــلى الإنترنــت مــع الباحــث 20/ 12/ 2018

■ الفصل التاسع

قراءة لتحالفات القوائم في الانتخابات البرلمانية 2012/2011

أولًا: الطريق إلى الانتخابات

بعد يومين فقط من تنحي مبارك عن الحكم، وتحديدًا في الثالث عشر من فبراير عام 2011؛ أصدر المجلس العسكري الذي كان يدير البلاد حينها، إعلانًا دستوريًا أعلن فيه تعطيل العمل بدستور البلاد، وحل مجلسي الشعب والشورى (البرلمان)، كما نصّت بنود الإعلان أيضًا عن أن المجلس سيتولى إدارة البلاد بصفة مؤقتة لمدة ستة أشهر، أو انتهاء انتخابات مجلسي الشعب والشورى ورئاسة الجمهورية، كما نصَّب المجلس العسكري رئيس المجلس ممثلًا عن البلاد في الداخل والخارج خلال الفترة المؤقتة، وتضمن بيان المجلس التعهد بالبدء في تعديل الدستور وطرحه للاستفتاء الشعبي، والإعداد لانتخابات تعددية حرة لاختيار البرلمان.[1]

بعدها قام المجلس العسكري بتشكيل لجنة دستورية لتعديل بعض مواد دستور 1971، والذي تم تعليقه بعد تنحي مبارك، وقد جرى الاستفتاء على هذه التعديلات في 19 مارس 2011. وبينما تعاملت اللجنة مع بعض أسئلة المرحلة الانتقالية، فإنها تجاهلت أسئلة أخرى، على سبيل المثال ركزَّت اللجنة على معايير رمزية لتقليص صلاحيات الرئيس، لكنها لم تتضمن تفاصيل من نوع النظام الانتخابي، كما كانت غامضة بشأن تسلسل المرحلة الانتقالية. بالإضافة إلى ذلك وُجِّهت اتهامات للجنة بأنها كانت متحيزةً للإسلاميين، حيث رأسها المستشار طارق البشري، وهو قاضٍ سابق ومؤرخ ومفكر إسلامي، ولأنها ضمَّت في عضويتها أيضًا، المحامي البارز صبحي صالح، عضو جماعة الإخوان المسلمين والعضو السابق في مجلس الشعب. وقد أثارت هذه اللجنة المخاوف في الأوساط المدنيّة والثورية من أن المجلس العسكري وحركة الإخوان يتآمران سويًّا لوضع جدول للمرحلة الانتقاليّة يصب في صالحهما، وكان هذا الأمر أولَ ما ولَّد حالة التوتر والاستقطاب السياسي بعد التوافق الذي كان قائمًا بين القوى السياسية طيلة فترة الـ 18 يومًا في ميدان التحرير.[2] ثم جاء الاستفتاء الذي أُجري في 19 مارس 2011 ليعَظم حالة الاستقطاب الشديدة بين القوى الإسلامية من ناحية، والقوى الثورية والمدنية التقليدية من ناحية أخرى.

كما زرع الاستفتاء لاحقًا بذور الاختلاف التالي حول شرعية ونزاهة العملية الانتخابية التي جرت في 2011/2012، لأن المجلس الأعلى للقوات المسلحة قام بصياغة إعلان

1- حسن سلامة، مستقبل بناء النظام الديمقراطي على ضوء التعديلات الدستورية، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 42، السنة 11، أبريل 2011، ص 102-103

2- التقرير النهائي لبعثة مركز كارتر لمتابعة الانتخابات البرلمانية في مصر 2011-2012، مركز كارتر، أطلانطا، 2012، ص 9

دستوري تم إصداره في أواخر مارس 2011، احتوى على المواد المعدلة التي تمّت الموافقة عليها في الاستفتاء، وأضاف موادَّ إليها لم تُطرح للموافقة الشعبية، وبالإضافة إلى هذا فإن صياغة بعض المواد التي تضمنها الاستفتاء قد تغيرت في الإعلان الدستوري. وقد سبب هذا الأمر قلقًا وارتباكًا في الشارع بين القوى السياسية، وأضعف أسس المرحلة الانتقالية، ما مهَّد الطريق لاحقًا لظهور الطعون الدستورية، وعجَّل بعدها بحل مجلس الشعب بقرار قضائي.[3]

من ناحية أخرى؛ جاءت جملة القوانين واللوائح التنفيذيّة الجديدة المنظّمة للعمليّة الانتخابيّة محافِظةً للغاية، وفي نفس الإطار الفلسفيّ والقانوني الذي دشّنه النظام السياسيّ السابق، فقد حافظت التعديلات الدستورية على نسبة التمثيل الخاصّةِ بالعمّال والفلاحين (50%)، وهي النّسبة -التي رآها البعض- قد تجاوزها الزّمن وتجاوزتها طبيعة النّظام السياسيّ الجديد المزمع إنشاؤه، خاصّة في ظلّ لجوء العديد من المرشّحين إلى تغيير صفتهم الانتخابيّة إلى فلاح أو عامل، فيما تم الحفاظ على ضعف سلطات مجلس الشورى، ورفضت مطالب القوى السياسية بزيادة سلطاته أو إلغائه، ليظلّ الشّورى أقرب إلى المجلس الاستشاريّ منه إلى التّشريعيّ. كما ساوم المجلس العسكري على مطالب القوى السياسية والثورية في فرض قانون العزل السياسيّ على قيادات الحزب الوطني المنحَلّ ومنْعِهم من خوض الانتخابات لما اقترفوه من جرائمَ سياسية في البلاد على مدار العقود الفائتة؛ فتارة سوَّف المجلس وأخرى أجَّل، وفي ثالثة فرض الأمر الواقع فتمَّ إصدار القانون في نهاية المطاف دون تطلّعات القوى السياسية، وجاء ذلك بعد فوات الأوان وإغلاق فترة إيداع التّرشيحات، حيث خاض الكثير ممّن انتموا إلى الحزب الوطني المنحَلّ الانتخاباتِ تحت راية أحزابٍ معروفة، أو على المقاعد الفرديّة.[4]

3- المصدر نفسه

4- أحمد عبد ربه، الأحزاب المصريّة وانتخابات البرلمان المصري 2011/ 2012، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، نوفمبر، 2011، ص 2

ثانيًا: الأحزاب المتنافسة في البرلمان

في 28 مارس 2011 أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة مرسومًا بقانون رقم (12) لسنة 2011 بتعديل بعض أحكام قانون الأحزاب السياسية رقم 40 لسنة 1977، والذي بموجبه حدثت إعادة تنظيم للحياة الحزبية في مصر؛ حيث فتح القانون المذكور الباب لتأسيس عدد كبير جدًّا من الأحزاب في مصر، بالمقارنة بما كان عليه الوضع في عهد مبارك. فقد تم تعديل مجموعة مهمة من الشروط التي كانت تَعوق تأسيس الأحزاب، أهمها إلغاء لجنة شؤون الأحزاب القديمة التي كانت تسيطر على إدارتها السلطة التنفيذية، حيث كان يرأسها رئيس مجلس الشورى (الذي كان ينتمي لحزب الأغلبية الذي يرأسه رأسُ النظام حينها)، وبعضوية وزير الداخلية والعدل ووزراء آخرين، وبالتالي كان التصريح بنشأة حزب جديد من عدمه رهنًا بيد النظام مُمثَّلًا في وزراء حكومته، فيما انتقل هذا الأمر بعد تعديل 2011 إلى لجنة قضائية.[5]

لكن لم يكن هذا القانون بمستوى طموح المجموعات الثورية الصغيرة التي رأت في القانون الجديد عدة إشكاليات؛ أبرزها البنود الخاصة بالتمويل، والبند الخاص بحتمية وصول عدد توكيلات مؤسسي الحزب لـ 5000 توكيل، والشرط الخاص بنشر أسماء المؤسِّسين في صحيفتين يوميتين، على أن يكونوا من عشر محافظات على الأقل بما لا يقل عن 300 عضو من كل محافظة،[6] حيث عُدَّ شرط الخمسة آلاف عضو مؤسس شرطًا مجحفًا للغاية، أعاق خروج بعض الأحزاب السياسية مثل حزب التيار المصري، الذي اندمج لاحقًا في حزب مصر القوية.

حينما فُتِح الباب لتأسيس الأحزاب ومع الزخم الواسع الذي شهده المجال السياسي بعد الثورة مباشرة؛ نشأ عدد كبير من الأحزاب، وصل عددها مع الأحزاب القديمة إلى أكثر من 100 حزب.[7] وقد مرَّ تأسيس الأحزاب خلال عامي الثورة بموجتين أساسيتين. الموجة الأولى كانت من الأحزاب التي عبَّر أغلبها عن التيارات الأيديولوجية والسياسية التقليدية، بالإضافة إلى أحزاب عديدة حمل كلٌّ منها لواء التعبير عن الثورة وأهدافها. فظهر من الجانب الإسلامي حزب الوسط، بعد قبول أوراقه من محكمة القضاء الإداري عقب أسابيع معدودة من 25 يناير،

5- أحمد عبدالحميد حسين، إشكالية التمويل في العمل الحزبي، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 59، القاهرة، يوليو 2015، ص 123

6- تطور الحياة الحزبية في مصر، الهيئة العامة للاستعلامات، شوهد في 28 /12/ 2018: http://www.sis.gov.eg/section/325/121?lang=ar.

7- مروة شوقي، صاحب مشروع "دمج الأحزاب": نهدف لتقليص العدد من 106 إلى 10 فقط، مصراوي، (8/ 4/ 2018)، شوهد في 29/ 12/ 2018: https://goo.gl/EZd1aR

بعد محاولات استمرت لأكثر من 15 عامًا للحصول على المشروعية القانونية، ثم جاء تأسيس حزب الحرية والعدالة، الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين، وحزب النور، مُمثِّل الدعوة السلفية في الإسكندرية، إضافة إلى ظهور أحزاب إسلامية أخرى مثَّلت أذرعًا سياسية لجماعات سلفية وجهادية قديمة؛ مثل حزب البناء والتنمية الذراع السياسية للجماعة الإسلامية، وحزب الفضيلة، وحزب الأصالة، وحزب الإصلاح والتنمية، وغيرها.[8]

تأسّست -في المقابل- أحزاب مدنية، ليبرالية ويسارية، كان أبرز أهدافها تقليص سيطرة الأحزاب ذات المرجعية الدينية على المجالين السياسي والاجتماعي بعد الثورة، وكان أهمّ تلك الأحزاب المصري الديمقراطي الاجتماعي، والمصريين الأحرار، الليبرالي الذي قاد تأسيسه رجل الأعمال المصري نجيب ساويرس، ومصر الحرية، الليبرالي الذي أسَّسه أستاذ العلوم السياسية عمرو حمزاوي، وأحزاب أخرى عبرت عن التيار الناصري، كان أهمها الكرامة الذي كان موجودًا قبل الثورة لكنه لقي نفس التعنت الذي قابله الوسط، قبل أن يتم الموافقة على تأسيسه هو أيضًا بقرار قضائي. كذلك ظهرت عدة أحزاب يسارية مثل: التحالف الشعبي الاشتراكي، الذي جاء كمحاولة لتأسيس حزب لليسار العريض، وضمَّ بداخله قطاعات يسارية متنوعة، والاشتراكي المصري، الذي أسسه عدد من كوادر ما يُسمى بجيل السبعينات. والعمال والفلاحين، وهو محاولة لم تصمد بادرت بها حركة الاشتراكيين الثوريين.

وفي مساحة المنتصف ظهرت أحزاب معبِّرة عن تيار الوسط، مثل العدل، الذي ظهر باعتباره أبرز الأحزاب المعبرة عن الثورة، وضم قطاعات شابة واسعة سواء من الذين التحقوا بالسياسة بعد الثورة، أو من الشباب الذين التفوا حول البرادعي بعد رجوعه إلى مصر في 2010، حيث كان أحد أبرز مؤسِّسيه مصطفى النجار، الذي كان منسقًا لحملة البرادعي ودعم مطالب التغيير-لازم، وقد لقى الحزب-حينها- زخمًا واسعًا ساعة تأسيسه. وبجواره كانت هناك أحزاب جديدة أيضًا على نفس المساحة تقريبًا، مثل التيار المصري[9] وحزب مصر الذي أسسه الداعية عمرو خالد، وغيرها.

الموجة الثانية من الأحزاب التي نشأت بعد الثورة، هي التي يمكن أن يُطلَق عليها أحزاب الحملات الرئاسية، وهي التي ظهرت بعد منتصف عام 2012 على أنقاض الحملات الرئاسية لبعض مرشحي الرئاسة، كالدستور، ومصر القوية، والتيار الشعبي (تأسس في البداية كجبهة ثم تحول لحزب)، والمؤتمر الذي أسَّسه المرشّح الرئاسي الأسبق عمرو موسى، وكذلك حزب الحركة الوطنية الذي أسسه أحمد

8- أحمد عبدالحميد حسين، إشكالية التمويل في العمل الحزبي، مصدر سبق ذكره، ص 121

9- لم يستطع مؤسسو الحزب استكمال توكيلاته، وظل يعمل تحت التأسيس، وتعرض لأزمات قبيل 30 يونيو 2011، ثم اندمج لاحقا في «حزب مصر القوية».

شـفيق (آخـر مـن تـولى رئاسـة الـوزراء في عهـد مبـارك)، وبجـوار هـذه الأحـزاب أتـت أحـزابٌ بعضُهـا قديـم كالوفـد والتجمـع، وبعضُهـا جديـد محسـوب عـلى مجموعـات ديمقراطيـة، وبعضهـا محسـوب عـلى النظـام القديـم.[10]

في الانتخابـات البرلمانيـة الأولى التـي جـرت بعـد الثـورة، اقتـصرت المنافسـة عـلى أحـزاب الموجـة الأولى، أي لم تشـارك فيهـا أحـزاب الموجـة الثانيـة، التـي تأسسـت فيـما بعـد. ودخلـت أحـزاب الموجـة الأولى في ائتلافـات متعـددة لخـوض الانتخابـات تحـت قوائـم موحـدة، وهـي ذاتهـا انقسـمت لثـلاث مجموعـات أساسـية، أحـزاب دخلـت في قوائـم تحالفيـة، وأحـزاب لم تدخـل في تحالفـات وإنمـا نزلـت في قوائـم منفـردة كحـزب الوفد، ثم المجموعـة الثالثـة وهـي الأحـزاب التـي تأسسـت عـلى يـد كتـل مرتبطـة بالحـزب الوطني القديـم، وأغلبهـا أحـزابٌ شـكَّلها نـواب حـزب وطنـي قدامـى، اعتمـدوا في وجودهـم الانتخـابي عـلى العائـلات والعصبيـات القبائليـة أو الجهويـة التـي يمثلونهـا في مناطقهـم، وتتركـز هـذه المجموعـات في ثـلاث مناطـق أساسـية، الأريـاف، والصعيـد، ومحافظتـي سـيناء الشـمالية والجنوبيـة. وفي الأقسـام التاليـة مـن هـذا الفصـل، سـيتم اسـتعراض وقـراءة قوائـم المجموعـة الأولى ذات الطبيعـة التحالفيـة، والنتائـج التـي حصدتهـا في الانتخابـات البرلمانيـة التـي جـرت نهايـة 2011، واسـتمرت حتـى بدايـة 2012.

10- المصدر نفسه، ص 121

ثالثًا: قائمة التحالف الديمقراطي

1. الإخوان وخبرة التحالفات القديمة

لم يكـن تحالـف الأحـزاب -حتـى التـي بينهـا وبـين الإخـوان صراع تاريخـي- مـع الإخوان المسـلمين في انتخابـات مجلـس الشـعب 2012/2011 مسـتغربًا أو جديـدًا؛ فقـد خـاض نـوابٌ مـن الإخـوان انتخابـات 1984 و1987 عـلى قوائـم حـزب الوفـد ثـم قوائـم حـزبي العمـل والأحـرار، لأجـل مصلحـة مشـتركة خدمـت كلا الطرفـين.

ففـي عـام 1984 صـدر قانـون يجعـل الانتخابـات بنظـام (القوائـم الحزبيـة النسـبية المشروطـة) فقـط، وهـو ما كان يعني بعدم السـماح لغـير الحزبيين من المواطنين بالترشـح، وبنـاء عـلى هـذا القانون كانت الأحزاب وحدها هي من تسـتطيع التقـدم بقوائم انتخابية، وبحيـث لا يقـل عـدد العـمال والفلاحـين فيها عـن النصف، وليـس للأفراد الحق في الترشـح إلا مـن خـلال هـذه القوائـم، ليقطـع حينهـا نظـام مبـارك الطريـق أمـام خـوض الإخـوان الانتخابـات حيـث لم يكـن لهـم حزب ينضـوون تحته وقتهـا. وكانت «نسـبيةٌ" تعني أن كل حـزب يُؤخـذ مـن قوائمه مقاعد بنسـبة ما حصـل عليه في الدائـرة من الأصـوات الصحيحة، ابتـداء مـن رأس القائمـة مـع مراعـاة نسـبة العـمال والفلاحـين، و"مشروطـةٌ" تعنـي أن القوائـم الخاصـة بالحـزب الـذي لم يحصـل عـلى 8% مـن مجموع أصـوات الناخبـين الذين أدلَـوا بأصواتهـم خـاسرة، وليـس لهـا أى نصيـب في أى مقعـد، ويـؤول مـا حصلـت عليـه هـذه الأحـزاب مـن أصـوات لصالح حـزب الأغلبية. كان المقصـود من هذا القانـون تحديدًا وقتهـا تحجيـمَ وصـول مجموعتـين مُهمَّتَـين، هـما الإخـوان المسـلمين، وكانوا من المسـتقلين الذيـن ليـس لهـم حـق الترشـح، وكذلـك تحجيـم وصـول حـزب الوفـد الجديـد، الـذي كان مـن الصعوبـة الشـديدة حصولـه على نسـبة الــ 8%، حيث لم يكن مضى على نشـأته سـوى ثلاثـة أشـهر فقط.[11]

تحـت ضغـط هـذا القانـون فاوضـت جماعـة الإخـوان المسـلمين حـزب الوفـد الجديـد للترشـح عـلى قوائمـه، وافـق حينهـا الحـزب الليـبرالي الـذي أدرك جيـدًا أنـه لا يمكنـه وحـده تجـاوز نسـبة الــ 8 % بـدون الإخـوان المسـلمين، الـذي يمتلكـون قاعـدة تنظيميـة كبـيرة، وشـعبية جارفـة، وبالفعـل خـاض الإخـوان والوفـد هـذه الانتخابـات عـلى قائمـة واحـدة.[12]

11- إبراهيم الزعفراني، (أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين، من جيل السبعينيات الذي أسهم في تأسيسها الثاني)، الإخوان وانتخابات مجلس الشعب عام 1984، حساب إبراهيم الزعفراني على موقع فيسبوك، (29 / 11/ 2015)، شوهد في 29/ 12/ 2018 : https://goo.gl/oNQpvy

12- المصدر نفسه

ثـم بعـد صـدور حكـم المحكمـة الدسـتورية ببطـلان مجلـس الشـعب الذي انتخـب عام 1984، لإخلالـه بالدسـتور لأنـه لم يسـمح لغـير الحزبيـين بالترشـح؛ تمـت الدعـوة لعقـدة انتخابـات برلمانيـة جديـدة، وحينهـا رفـض حـزب الوفـد التحالـف مـرة أخرى مـع الإخوان لعـدة أسـباب؛ أولهـا بسـبب شـعوره أنـه أقـوى في هـذه الجولـة بعـد أن حقـق انتصـارًا جيـدًا في انتخابـات 1984، عـلىً مـن أسـهمه بشـكل كبير، كذلك مـرّ الوفد بعـد مرور ثلاث سـنوات عـلى تأسيسـه بحالـة اسـتقرار تنظيمـي، عززهـا تفوقـه في الانتخابـات، وانضـمام قطاعـات برجوازيـة كبـيرة وصغـيرة إلى جسـده التنظيمـي، الأمـر الأهـم أن الوفـد أدرك أن تكـرار تجربـة التحالـف مـرة أخـرى مع الإخـوان معناها بالتبعيـة ذوبان شـخصية الوفد في الإخـوان وضيـاع شـعبيته، كـما أحـب الوفد أن يتخلـص من الضغـوط الداخليـة والخارجية التي تتهمُه بأنه السـبب في السـماح للإخوان بالمرور في المجال السـياسي، وإثبات وجودهم وشـعبيتهم عـلى أكتافـه، لهـذه الأسـباب وغيرهـا قـرر حـزب الوفـد أن ينفـرد في انتخابـات عـام 1987 بقائمـة حزبيـة وحـده، واعتـذر للإخـوان حينهـا عـن تكـرار التجربـة، ومـن ثـم لجـأ الإخـوان لحـزبي العمل والأحـرار وكوَّنوا مـا عرف حينهـا بائتلاف التحالف الإسـلامي.[13]

2. وثيقة للتوافق تقود للتحالف

خـلال شـهر مـارس 2011، وعـلى إثـر حالـة الاسـتقطاب الشـديد التـي بـرزت نتيجـة الخـلاف حـول اسـتفتاء 19 مـارس ونتائجـه، ونتيجـة التخـوف مـن الإعـلان الدسـتوري الـذي صـدر في نهايـة مـارس 2011 والـذي تمـت إضافـة مـواد زائـدة إليـه بجـوار تلـك المـواد التـي تـم الاسـتفتاء عليهـا،[14] بـادرت جماعـة الإخـوان المسـلمين بالدعـوة للحـوار، في محاولـة منهـا لوضـع حـد لهـذا الاسـتقطاب، ومـن أجـل التشـاور حـول وضـع أسـس للتوافـق الوطنـي. كان أهـم مـا أثـار التخوفـات مـن الإعـلان الدسـتوري هـو إلزامـه مجلـس الشـعب القـادم بتشـكيل لجنـة تأسيسـية لعمـل دسـتور جديـد، وهـو البنـد الـذي أحـدث قلقًـا لـدى القـوى الثوريـة والقـوى المدنيـة التقليديـة، التـي أدركـت أن هـذا البنـد معنـاه تحديـدًا هيمنـة واضحـة للقـوى الإسـلامية عـلى وضـع الدسـتور، بالإضافـة لفلـول الحـزب الوطنـي المُنحـلّ لأنهـما وحدهـما كانـا المُؤهلَـين لحصـد مقاعـد أكـبر في البرلمـان القـادم دون غيرهـما.

ودرءًا لتلـك المخـاوف دعـا مرشـد الإخـوان قـادة الأحـزاب للتشـاور يوم 16 مـارس 2011 عـلى مـشروع وثيقـة تصبح إطـارًا للدسـتور المقبـل. وطرحت الجماعـة وثيقـة مبدئية هي وثيقتهـا القديمـة التـي صـدرت في خريف عـام 2010، تحت عنـوان مبادرة مـن أجل مصر.

13- إبراهيم الزعفراني، (أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين، من جيل السبعينيات الذي أسهم في تأسيسها الثاني)، الإخوان وانتخابات مجلس الشعب عام 1987، حساب إبراهيم الزعفراني على موقع فيسبوك، (30 / 11/ 2015)، شوهد في 29/ 12/ 2018 : https://goo.gl/CH1PmJ

14- داليا عثمان، «المصري اليوم» تنشر نص «الإعلان الدستوري».. وانتخابات الرئاسة قبل نهاية العام الجاري، المصري اليوم، (30 /3/ 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/122361

وكان هـذا اللقـاء بمثابـة نـواة للتحالـف الديمقراطـي لاحقًـا، وبعـد ظهـور مسـودة الوثيقة تحـول النقـاش في اجتماعـات قادة الأحزاب إلى الاتفاق على تأسـيس تحالـف انتخابي، يضم أغلـب الأحـزاب القديمة والجديدة، و"يضمن تمثيلاً أوسـع للأحزاب والقوى السياسـية كلها، ويمنـع اخـتراق المـال والعصبيـات وفلـول النظـام السـابق"، وفقًا لروايـة وحيـد عبدالمجيد، منسـق قائمة التحالف الديمقراطي وأسـتاذ العلوم السياسـية والرجل المحسـوب على حزب الوفـد، وهـو الـذي كان شـاهدًا عـلى ظهور قائمـة التحالف الديمقراطـي من أولهـا لنهايتها، وهـو أيضًـا الرجـل الـذي تـم اختيـاره في منصب المنسـق لهـذا التحالف، باقـتراح من حزب الوفـد، وبموافقـة من أغلبيـة الأحزاب.[15]

تـم الاتفـاق في اجتـماع اسـتضافه حـزب الوفـد في 14 يونيـو 2011 بحضـور 13 حزبًـا، عـلى أن تكـون هـذه الوثيقـة أساسًـا لتحالـف ديمقراطـي يقـوم عـلى التعـاون مـن أجـل بنـاء نظـام ديمقراطـي، والتوافـق عـلى المبـادئ الأساسـية للدسـتور الجديـد، ثـم نُوقشـت الوثيقـة عـلى نطـاق أوسـع في الاجتـماع الـذي اسـتضافه حـزب الحريـة والعدالـة يـوم 21 يونيـو 2011 بحضـور 18 حزبًـا.[16]

تضمـن مـشروع الوثيقـة في البدايـة قسـمين: أولهـما المبـادئ العامـة الرئيسـية التـى يمكـن التوافـق عليهـا كأسـاس للنظـام الديمقراطـيّ، والثـاني إجـراءات عاجلـة عـلى المـدى القصـير، ولمَّـا كان بعـض هـذه الإجـراءات قـد تحقـق، تـم اسـتبعاد القسـم الثـاني، وإدراج بعـض مـا ورد فيـه مـما ينطـوي عـلى مبـادئ عامـة ضمـن المبـادئ الأساسـية، وكان مـن أهـم مبـادئ الوثيقـة: الحـق في تـداول السـلطة عـبر الاقـتراع العـام الحـر النزيـه، وحريـة تشـكيل الأحـزاب السياسـية بالإخطـار عـلى ألا تكـون أحزابًـا دينيـة أو عسـكرية أو فئويـة، وأن تكـون السـلطة القضائيـة وحدهـا هـي مـن تفصـل في تقريـر مـا هـو مخالـف للدسـتور، وأن الإسـلام ديـن الدولـة الرسـمي، ومبـادئ الشريعـة الإسـلامية هـي المصـدر الرئيـسي للتشريـع، مـع حـق غـير المسـلمين في الاحتـكام إلى شرائعهـم في أحوالهـم الشـخصية،[17] وغيرهـا مـن بنـود أسـهم في صياغتهـا حينهـا أغلـب الأحـزاب السياسـية التـي شـاركت في اجتـماع التحالـف في البدايـة.

ثـم أعلـن حـزب الحريـة والعدالـة -الـذراع السياسـية لجماعـة الإخـوان المسـلمين- وحـزب الوفـد رسـميًّا عـن تبنـي تشـكيل تحالـف انتخـابي واسـع، يخـوض الانتخابـات بقائمــة موحــدة، واسـتجابت لهـذه الدعـوة مجموعـة كبـيرة مـن الأحـزاب كان مـن بينهـا: التجمـع، والنـاصري، والعـدل، والوسـط، والغـد، ومـصر الحريـة، والنـور، والكرامـة، والتوحيـد العـربي، والجمعيـة الوطنيـة للتغيـير، وفي الاجتـماع الـذي عقـد يـوم 12 يونيـو

15- وحيد عبدالمجيد، «التحالف الديمقراطي».. رحلة الصعود والتفكك، جريدة الوطن، (20/ 11/ 2012)، شوهد في 27 /12/ 2018: https://www.elwatannews.com/news/details/80136

16- سمير حمدي، وثيقة التحالف الديمقراطي من أجل مصر، الوفد (7 / 7/ 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018 : https://goo.gl/MHMU5Y

17- المصدر نفسه

2011، بمقر الوفد قرر الحاضرون تشكيل ثلاث لجان، الأولى لإعداد مشروع قانون انتخابات مجلس الشعب، والثانية لجنة تعمل على التنسيق بين أحزاب القائمة، والثالثة لتلقي الملاحظات، وخرج الاجتماع بنسخة أولية لوثيقة حملت عنوان (مبادرة التحالف الوطني من أجل حكومة وحدة وطنية).[18]

في نفس اليوم أيّ 21 يونيو 2011؛ صدر أول بيان ضمني باسم التحالف الديمقراطي، تم التأكيد فيه على ضرورة «حشد الجهود والطاقات لتأسيس الإجماع الوطني لتحقيق أهداف ثورة الشعب، وبناء التحول الديمقراطي، وتأسيس الدولة القانونية القائمة على المواطنة وسيادة الشعب"، كما تضمن البيان اتفاق المشاركين في الاجتماع على إصدار وثيقة توافقية، واقتراح مشروع قانون لانتخاب مجلس الشعب "يضمن تمثيلًا أوسع للأحزاب والقوى السياسية كلها، ويمنع اختراق المال والعصبيات وفلول النظام السابق"، وصدر ذلك البيان بتوقيع 17 حزبًا لم يكمل بعضها الطريق في إطار هذا التحالف كان من بينها: الحرية والعدالة، والوفد، والغد، والكرامة، والناصري، والتجمع، والنور، والجبهة الديمقراطية، والعمل، والجيل، ومصر الحرية، والحضارة، والعدل، وانتهى ذلك الاجتماع إلى تشكيل لجنة لوضع اقتراح لمشروع قانون جديد لانتخاب مجلس الشعب، وعقدت هذه اللجنة اجتماعين، وأعدت الاقتراح المطلوب على أساس نظام القوائم النسبية وغير المشروطة للأحزاب والمستقلين (أى أن يكون لأي عدد من المستقلين الحق في تكوين قائمة انتخابية، وعدم اشتراط نسبة حد أدنى للتمثيل في المجلس).[19]

في 28 يونيو 2011 أقرَّت مجموعة الأحزاب التي شكلت قائمة "التحالف الديمقراطي من أجل مصر" مشروعَ قانون لمجلس الشعب، أعدته لجنة منبثقة عن التحالف، يأخذ بنظام القائمة المغلقة للأحزاب والمستقلين، وأوضح التحالف أنه سيرسل هذا المشروع إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ثم أصدر التحالف بيانًا طالب فيه بإعطاء فرصة معقولة للاستعداد للانتخابات، مقترحين أن تكون هناك فترة كافية للحملات الانتخابية بعد إعلان فتح باب الترشيح، وأوضح البيان أن التنسيق الانتخابي لا يعني في هذا السياق توزيع حصص، بل التعاون في حمل أعباء جسيمة تواجه البلاد، ورأى إعطاء أولوية لوضع قواعد وضوابط هذا التنسيق في ضوء قانون مجلس الشعب الجديد، واتفق التحالف على الشروع في رفع الواقع الانتخابي في الدوائر والمحافظات، ووضع الأسس التي يمكن البناء عليها لاختيار المرشحين من الأحزاب والشخصيات العامة المستقلة ذات التاريخ الوطني، ومنع

18- عبدالغفار شكر، التحالفات الانتخابية لمجلس الشعب 2011/ 2012، في عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ط 1، 2012، ص 101

19- وحيد عبدالمجيد، «التحالف الديمقراطي».. رحلة الصعود والتفكك، مصدر سبق ذكره

تأثير المال والعصبيات على الانتخابات، وأن يحكم المفاضلة بين المرشحين الحاجة إلى خبرات وكفاءات، فيما لم يوقع حزب مصر الحرية على البيان الصادر، وهو ما يعني انسحاب الحزب من التحالف، فيما انضم حزبا الفضيلة السلفي، والخضر إلى التحالف.[20]

3.انسحاب الأحزاب الكبرى من التحالف الديمقراطي

في 7 يوليو 2011 وأثناء استضافة حزب الوفد لاجتماع التحالف، والذي شارك فيه رؤساء وممثلو حزب الحرية والعدالة (محمد مرسي)، وحزب الوفد (السيد البدوي)، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة أخرى من الأحزاب من بينها: الكرامة، والناصري، والتجمع؛ أعلن عدد من الأحزاب رفضها الانضمام إلى التحالف الديمقراطي، رغم مشاركتها في بعض الاجتماعات والنقاشات التي قادت إلى إعلان وثيقته، مثل الوسط والعدل ومصر الحريّة وغيرها، إما قلقاً من سيطرة الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة عليه، أو اعتراضًا على مشاركة أحزاب أخرى مُتَّهَمةٍ بارتباطها بالحزب الوطني السابق في تأسيسها.

وفي 7 أغسطس 2011 انسحب حزب التجمع من التحالف، أى بعد شهر على توقيع الوثيقة، بسبب اعتراضه على عدم استجابة الأحزاب لاقتراحه بشأن إدانة ما صدر عن التيار الديني في جمعة 29 يوليو 2011 ومطالبته بالاعتذار عما حدث فيها، وهي الجمعة التي عرفت باسم (جمعة الشريعة)، واتخذ حزب التجمع قراره بالانسحاب عقب اجتماع التحالف الديمقراطي الذي استضافه حزب الوفد في 6 أغسطس 2011. كما انسحب حزب النور من التحالف الديمقراطي، وأعلن ذلك رسميًا في الثاني من سبتمبر 2011، وكان وجود حزب النور في هذا التحالف قلقًا منذ البداية نتيجة حساسيته الشديدة من الدور المميز لحزب الحرية والعدالة وحزب الوفد، وشعوره بأنهما لا يضعانه في الموقع الذي يليق به، فقد كان اتجاه الإخوان وحزبهم في ذلك الوقت هو التحالف مع الأحزاب والشخصيات المدنية الليبرالية واليسارية في المقام الأول، بخلاف ما حدث بعد ذلك عقب انتخابات البرلمان، وخصوصًا منذ أن بدأ العمل في الجمعية التأسيسية للدستور. أما الحزب الناصري وحزب البناء والتنمية المنبثق عن الجماعة الإسلامية، فقد انسحبا تباعًا في منتصف أكتوبر 2011 احتجاجًا على عدم حصولهما على عدد معقول من المرشحين في قوائم التحالف الديمقراطي.

20- هاني الوزيري، «التحالف الديمقراطي» يقرُّ «القائمة المغلقة»..، المصري اليوم، (28/ 6/ 2011)، شوهد في 27/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/140841

وخـلال الفـترة التاليـة أصبحـت الانتخابـات البرلمانيـة هـي الشـغل الشـاغل لأحـزاب التحالـف الديمقراطـي، حيـث ركـزت اجتماعاتهـا كلهـا عليهـا. وهنـا، تحديـدًا، بـدأ هـذا التحالـف يفقـد طابعـه الـذي ارتبـط بظـروف تأسيسـه، وهـو أن يكـون كيانـًا سياسـيًا يسـعى إلى بنـاء توافـق وطنـي واسـع ويضـع حـدًّا للاسـتقطاب، وأخـذ يتحـول إلى تحالف انتخـابي. وكان حـزب الوفـد هـو أكـبر الأحـزاب التـي غـادرت التحالـف الديمقراطـي في أول أكتوبـر 2011، فقـد تعـذر التوفيـق بـين تصـور حـزب الوفـد لنسـبة مرشـحيه في الانتخابـات وموقـف حـزب الحريـة والعدالـة الـذي لم يلتـزم بمـا أعلنـه في البدايـة وهـو أنـه لـن ينافـس عـلى أكـثر مـن 30 في المائـة مـن مقاعـد البرلمـان.[21]

ظهـر مـن خـلال شـهادة وحيـد عبدالمجيـد أن جماعـة الإخـوان المسـلمين -في رأيـه- قـد أخلَّـت بوعدهـا فـيمـا يخـص فكـرة التوافـق، التـي طرحتهـا في البدايـة أثنـاء الدعـوة للنقـاش حـول وثيقـة التحالـف. وأنهـا لم تقـدم تنـازلات كافيـة للقـوى السياسـة الأخـرى، رغبـة منهـا في الهيمنـة عـلى المجلـس الـذي سـيتم انتخابـه، ولاحقـًا الهيمنـة عـلى اللجنـة التأسيسـية للدسـتور. واعتـبر عبـد المجيـد في شـهادته التـي نشرهـا في نوفمـبر 2012، أن "جماعـة الإخـوان المسـلمين اتجهـت فعليـًا إلى تفكيـك التحالـف تدريجيـًا، بعـد أن حققـت هدفهـا منـه وهـو تحسـين صورتهـا، وإعـادة تقديمهـا إلى الـرأي العـام في مـصر وإلى المجتمـع الـدولي في صـورة جديـدة، ونجحـت في تجميـد التحالـف الديمقراطـي فعليًّـا لـكي تتحـرر مـن الالتـزام بوثيقتـه التـي وقعهـا د. محمـد مـرسي شـخصيًّا، وتضمنـت مبـادئ تصلـح أساسًـا لدسـتور ديمقراطـي حديـث بعيـدًا عـن هيمنـة أي تيـار".[22]

4. تعليلات الأحزاب المشاركة في التحالف

يبقـى هنـاك سـؤال ملـح: لمـاذا لجـأت بعـض الأحـزاب المدنيـة للتحالـف مـع الإخـوان المسـلمين في قائمـة التحالـف الديمقراطـي؟ إجابـة هـذا السـؤال بالنسـبة للأحـزاب التـي شـاركت في التحالـف، أو التـي وافقـت عـلى المشـاركة ثـم انسـحبت، هـي أنـه سـؤال خاطـئ مـن الأصـل، حيـث يسـتبعد السـياق السـياسي الـذي تأسـس فيـه التحالـف، ومجمـل الـشروط التـي حكمـت تلـك اللحظـة.

بالإضافـة لتلـك الإجابـة؛ سـنجد أن بعـض القـوى التـي شـاركت تسُـوق مـبرراتٍ أخـرى، أهمهـا أنـه كانـت هنـاك ثمـة حاجـة لتوحيـد القـوى الموجـودة داخـل الميـدان، بتنوعاتهـا الأيديولوجيـة، لتحقيـق مـا تبقـى مـن أهـداف الثـورة عـبر البرلمـان، وتحقيـق واحـد مـن شـعارات الثـورة بعـد تنحـي مبـارك هـو «مـن الميـدان إلى البرلمـان»، ومنـع وصـول نـواب قدامـى مـن الحـزب الوطنـي المنحـل للمجلـس التشريعـي. فكثـير مـن الأحـزاب الجديدة

21- وحيد عبدالمجيد، «التحالف الديمقراطي».. رحلة الصعود والتفكك، مصدر سبق ذكره

22- المصدر نفسه

التي ظهرت بعد الثورة خرجت من مجال سياسي تم تجريفه تمامًا في عصر مبارك، ولم تكن قد استكملت تشكيل تنظيماتها بعد، وهو ما يجعلها عاجزة عن مواجهة فلول الوطني وحدها. ولأنه وفقًا للمسار الذي تم تحديده بالإعلان الدستوري الذي أصدره المجلس العسكري، كان من المفترض أن يقوم مجلس الشعب الجديد باختيار اللجنة التي ستضع الدستور، وهو ما دفع القوى الأصغر إلى ضرورة البحث عن صيغ توافقية تضمن بها وجودًا في البرلمان، والمشاركة بالتالي في انتخاب اللجنة التي ستضع دستور البلاد، ومن ثَمَّ لبَّت دعوة حزبي الحرية والعدالة، والوفد، الحزبين الأكبر والأقوى حينها.[23]

كان التحالف الانتخابي مع الإخوان من وجهة نظر هذه الأحزاب لا يعني بالمرة أنه تحالف سياسي، لأن ممثلي أحزابهم في البرلمان خاضوا معارك ضد الإخوان بعد ذلك، ولكن المرحلة الانتقالية حينها كانت تستلزم وجود مشاريع قوانين أساسية تُسهم في وضع أسس جديدة للحياة السياسية التي لم تتأسس بعد، ومشاريع القوانين هذه تحتاج إلى توافق وطني عليها. والإخوان -بصفتهم أصحاب الحزب الأكبر حينها- كان يُفترض عليهم أن يسعَوا إلى تحقيق هذا التوافق، قبل الأحزاب الصغيرة. ومن هنا فإن التحالف الانتخابي الذي تم في انتخابات 2012/2011 مثله مثل أي تحالفات انتخابية قديمة أخرى، تم بناؤها لأهداف تكتيكية مرتبطة بتنظيم وجود هذه الأحزاب، وكسر الحد الأدنى اللازم من الأصوات لدخولها في البرلمان وليس أكثر.[24]

البعض أيضًا يبرر أنه رغم انقلاب الإخوان على فكرة التوافق فيما يخص وضع الأحزاب بالقوائم، لكن كان صعبًا على أحزابهم الانسحاب حينها، لأنهم لم يكن لديهم سوى وقت ضيق للغاية قبل الدخول فعليًّا في مسار التنافس الانتخابي، كما كان صعبًا عليهم النزول بشكل منفرد، بحكم وضعهم التنظيمي الضعيف، ومواردهم المالية الشحيحة، خصوصًا وأن أغلب الأحزاب الصغيرة تأسست بعد الثورة مباشرة.[25]

محمد محمود عويضة، أحد مؤسسي حزب التوحيد العربي -وهو حزب انشقت مجموعته عن حزب العمل القديم، وكونت حزبًا إسلاميًا ذا ميول قومية- قال حينها مبررًا وجودهم في التحالف الانتخابي مع حزب الحرية والعدالة: "إن التحالف سيجبر حزب الحرية والعدالة على التنازل عن نسبة ترشحه على 50% من مقاعد

23- آراء متقاطعة تم التحصل عليها من خلال مقابلات الباحث مع: عماد حمدي، المتحدث الإعلامي لـ«التيار الشعبي»، ومنسق لجنة الانتخابات بحملة حمدين صباحي 2012، وعضو المكتب السياسي بحزب الكرامة، مقابلة إنترنت مع الباحث، 18/ 12/ 2018. وأحمد علي، مسؤول مكتب الطلاب السابق بـ«التيار الشعبي»، مقابلة على الإنترنت مع الباحث 23 / 12/ 2018

24- المصدر نفسه

25- المصدر نفسه

البرلمان، وإلا لماذا دعانا إلى هذا التحالف؟" كما كان التحالف بالنسبة لهذه الأحزاب الجديدة، والصغيرة في نفس الوقت فرصةً للمشاركة في وضع مبادئ وأسس للتنسيق الانتخابي".[26]

5. النتائج التي حصدتها قائمة التحالف الديمقراطي

حصل التحالف الديمقراطي الذي قاده حزب الحرية والعدالة على 227 مقعدًا، منها 127 مقعدًا عن القوائم، و100 عن الفردي، كان هناك مستقلون، من بينهم وحيد عبدالمجيد، منسق التحالف، وحصل حزب الكرامة على 6 مقاعد لكل من: أمين اسكندر، وسعد عبود، ومحمد منيب، وكمال أبو عيطة، ونصري مسعد، ومحمد السعيد إدريس، ومنها ممثل واحد عن حزب العمل هو مجدي قرقر، وواحد عن حزب الحضارة، وللحزب ممثل آخر في المقاعد الفردية، كما أن هناك ممثلًا لحزب مصر العربي، وهو عادل القلا.[27]

26- هاني الوزيري، «التحالف الديمقراطي» يقرُّ «القائمة المغلقة»..، مصدر سبق ذكره

27- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2012/2011، في عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مصدر سبق ذكره، ص 377

رابعًا: قائمة الكتلة المصرية

بعد خروج حزب التجمع من المشاورات الأولى الخاصة بتكوين التحالف الديمقراطي من أجل مصر؛[28] شارك مع حزب المصريين الأحرار والحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي في الدعوة لتكوين تحالف مضاد لتحالف الإخوان، هدفه بالأساس كبح جماعة الإخوان المسلمين عن السيطرة على الأغلبية في برلمان 2012/2011، وكذلك هيمنتها على أغلب المؤسسات التشريعية والرقابية، والتنفيذية كرئاسة الجمهورية.

أعلن المصريين الأحرار من البداية، وفي منتصف يونيو 2011، أنه لن يتحالف مع الإخوان المسلمين، أو النور، ووصف التحالف الديمقراطي بأنه ليس تحالفًا، بل صفقة بين القوى المشاركة لتقسيم كعكة مقاعد مجلس الشعب فيما بينها، ثم تشكلت لجنة للتنسيق الانتخابي، ضمت ممثلين عن أحزاب متعددة، حاولت ضم ائتلاف شباب الثورة، وحزب النهضة كي تخفف من حالة الاستقطاب الديني العلماني، الذي صاحب تشكيل الكتلة المصرية في مواجهة التحالف الديمقراطي، بحيث تضم الكتلة أحزابًا ذات ميول إسلامية وشباب الثورة، لكن الأمر انتهى بالفشل بسبب إصرار قيادات المصريين الأحرار والمصري الديمقراطي الاجتماعي على عدم تغيير اسم القائمة بدلًا من «الكتلة المصرية» إلى "تحالف استمرار الثورة".[29]

كما جرى تفاوض بسيط مع حزب الوفد لإلحاقه بقائمة الكتلة، لكنه رفض، وقرر النزول بقائمة منفردة، اعتمادًا على قواعده التنظيمية، وخبرته القديمة في الانتخابات.[30]

كما أعلنت بقية الأحزاب الأخرى انسحابها بسبب اعتراضها تحديدًا على شكل ترتيب القوائم، وضم أعضاء منتمين سابقًا للحزب الوطني المنحل، وكذلك لهيمنة المصريين الأحرار على طريقة وضع ترشيحات القوائم،[31] وأخيرًا استقرت القائمة على ثلاثة أحزاب فقط هي المصريين الأحرار والتجمع والمصري الديمقراطي الاجتماعي، وتوزعت النسب بينها كالآتي: 50 % لحزب المصريين الأحرار، و40% للمصري

28- محمد إسماعيل، «التجمع» يرفض الانضمام لتحالف «الوفد والإخوان»، (21 يونيو 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018 : https://goo.gl/HbfGCU

29- عبدالغفار شكر، التحالفات الانتخابية لمجلس الشعب 2011/ 2012، مصدر سبق ذكره، ص 103

30- محمد عرفات، الأمين العام السابق للحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة على الإنترنت مع الباحث، 6 / 1/ 2019.

31- معلومات متقاطعة تحصل عليها الباحث من خلال مقابلته مع: عبدالغفار شكر، رئيس حزب التحالف الشعبي الاشتراكي السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18/ 11/ 2018، ومحمد سالم، عضو المكتب السياسي بالحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، وبلال حبش، عضو المكتب السياسي لحزب «المصريين الأحرار»، مصدر سبق ذكره

الديمقراطـي الاجتماعـي، و10% للتجمـع.

وبعيـدا عـن التجمـع باعتبـاره أول الأحـزاب التـي تأسسـت بعـد فتـح المجـال السـياسي لتعدديـة مقيـدة في عهـد السـادات، والمـصري الديمقراطـي الاجتماعـي، الـذي تـم تناولـه باسـتفاضة في الفصـل الثالـث، فمـن المُفيـد هنـا الحديـث عـن نشـأة حـزب المصريـين الأحـرار وطبيعـة التكوينـات التـي أسـهمت في تشـكيله.

يُعـد المصريـين الأحـرار أحـد أبـرز وأقـوى الأحـزاب الليبراليـة التـي ظهـرت بعـد الثـورة مبـاشرة، تبنَّـى الحـزب مـع بعـض الأحـزاب الليبراليـة واليسـارية حينهـا خطابًـا يؤسـس لأهميـة وجـود قاعـدة قويـة مـن الأحـزاب المدنيـة التـي يمكنهـا كبـح سـيطرة الأحـزاب الإسـلامية عـلى المجـال السـياسي، وتعاظـم نفوذهـا وصعودهـا بقـوة بعـد ثـورة ينايـر.

كان مهنـدس عمليـة تأسـيس الحـزب رجـلَ الأعـمال الشـهير نجيـب سـاويرس، الـذي دخـل في مفاوضـات مـع سياسـيين ورجـال أعـمال، وتـم الإعـلان عـن تأسـيس الحـزب في 19 يونيـو 2011.

كان جـزءًا مـن اسـتراتيجية الحـزب اسـتهداف جمهـور الأقبـاط باعتبارهـم كتلـة غـير مُمَثَّلـةٍ سياسـيًّا بشـكل جيـد، والاعتـماد عليهـم كإحـدى القواعـد الاجتماعيـة التـي يمكـن أن تُصـوِّت للحـزب أمـام كتلـة اجتماعيـة شـعبية واسـعة تديـن بالـولاء الاجتماعـي للأحـزاب الإسـلامية.

احتـوى الحـزب في عضويتـه عـلى تمثيـل جيـد للأقبـاط في تكوينـه التنظيمـي، ووصلـت نسـبتهم -وفـق معلومـات أدلى بهـا عضـو قيـادي بالحـزب للباحـث- إلى 40%، وبجانـب هـؤلاء، كانـت الفئـة الأولى التـي اسـتهدفها مؤسسـوه كعضويـة أساسـية هـم نخـب الطبقـة البرجوازيـة، والشريحـة العليـا للطبقـة المتوسـطة مـن رجـال الأعـمال والبرلمانيـين والسياسـيين السـابقين مـن أعضـاء الحـزب الوطنـي المنحـل، وحـزب الجبهـة الديمقراطيـة وحــزب الغــد، وأســاتذة جامعــات، والأهــم بالطبــع قيــادات مجتمعيــة في الصعيــد والأريـاف لهـا ارتباطـات عضويـة وثيقـة بمجتمعاتهـا المحليـة، ويفضـل مـن لهـم خلفيـة بالترشـح سـابقًا في مجلـسي الشـعب والشـورى.[32]

وقـد أقـر نجيـب سـاويرس لاحقًـا، أنَّـه قـام بإدمـاج بعـض وجـوه نظـام مبـارك أثنـاء تأسـيس حزبـه، مـبررًا ذلـك بأنـه لا يـأتي بمرشـحيه مـن القمـر، بـل اختـار بعضهـم مـن رجـال نظـام مبـارك، معتـبرًا أن أعضـاء الحـزب الوطنـي المنحـل ليسـوا فاسـدين كلهـم بالـضرورة، وأن لكثـير منهـم تواجـدًا اجتماعيًـا كبـيرًا في دوائرهـم، وهـو أمـر يصعـب تجاهلـه.[33]

32- بلال حبش، عضو المكتب السياسي لحزب «المصريين الأحرار»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 18/ 11/ 2018

33- ياسمين محفوظ، «المصريين الأحرار» يكشف تفاصيل رفض الانضمام لـ«دعم مصر»: حزب وطني جديد، جريدة الوطن، (12 أكتوبر 2015)، تاريخ زيارة الرابط 29 ديسمبر 2015: https://www.elwatannews.com/news/details/872014

استطاع الحزب في فترة وجيزة أن يجمع 160 ألف توكيل أثناء تأسيسه، واعتمد 5 آلاف طلب، تم تقديمها كي ينال رخصته الرسمية في يونيو 2011 ليخوض الانتخابات بعدها.[34]

قبيل الانتخابات البرلمانية مباشرة؛ دخل الحزب في مفاوضات مع مجموعة من الأحزاب الليبرالية واليسارية، أبرزها كان المصري الديمقراطي الاجتماعي، والتجمع، والوفد، والتحالف الشعبي الاشتراكي، والجبهة الديمقراطية، وبعض الأحزاب المدنية الصغيرة، لتأسيس تحالف انتخابي تحت اسم «الكتلة المصرية" لمواجهة الائتلاف الذي كان يقوده حزب الحرية والعدالة. وبعد دخول أحزاب وخروج أخرى على أرضية التفاوض على عدد المقاعد المفترض توزيعها بين كل حزب وآخر داخل ائتلاف الكتلة المصرية تأسس الأخير بين ثلاثة أحزاب هي: المصريين الأحرار، والمصري الديمقراطي الاجتماعي، والتجمع.

كان من المستغرب أن تتشكل الكتلة المصرية من ثلاثة أحزاب، ضمنها اثنان مختلفان تمامًا في التصورات السياسية والأيديولوجية. لكن في حقيقة الأمر فقد تشكلت بالأساس كقائمة تعبر عن تحالف مضاد للسيطرة الإسلامية على المجال السياسي والاجتماعي من ناحية، ومن ناحية أخرى -وبحد توصيف بعض قيادات هذه الأحزاب- لم يكن هذا التحالف سوى تحالف انتخابي مؤقت يسمح بوجود ممثلين عن أحزاب علمانية بالبرلمان، لكن لاحقًا كل حزب سيعمل بمفرده بناء على برنامجه السياسي.[35]

كان كل حزب مشارك في ائتلاف الكتلة المصرية يستفيد بشكل ما أو بآخر من المكوّنَين الحزبين الآخرين معه. كان المصريين الأحرار ماكينة الائتلاف الماليّة التي وفرت دعمًا ماليًّا غير محدود لمرشحيه، فيما كان المصري الديمقراطي الاجتماعي واجهة جيدة بما يضمه من رموز سياسية وثورية، فكان من الطبيعي إذن في ظل مناخ كان قريبًا من الثورة وأحداثها، أن يعتمد المصريين الأحرار على هذه الوجوه، خصوصًا مع طبيعته المحافظة التقليدية.

ونفس الشيء بالنسبة للتجمع، فرغم قدرات الحزب المحدودة فيما يخص مسألة الانتخابات ذاتها، وموارده الشحيحة للغاية، وكذلك ضعف الحزب الذي تزايد بشكل كبير -خصوصًا في العقد الأخير قبل الثورة وبعدها- بسبب العلاقة الوطيدة التي تربط أبرز قياداته (رفعت السعيد رئيس الحزب السابق) بنظام مبارك من ناحية، وجمود الحزب تقريبًا بسبب ممارسات قياداته الداخلية من ناحية أخرى،

34- المصدر نفسه

35- معلومات متقاطعة تم الحصول عليها من خلال مقابلات الباحث مع: بلال حبش، عضو المكتب السياسي لحزب «المصريين الأحرار»، مصدر تم ذكره، ومحمد سالم، عضو المكتب السياسي عن الحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، 9/ 10/ 2018

رغـم ذلـك فـإن التجمـع أعطـى للقائمـة فيـما يخـص معركتهـا مـع الإسـلاميين نـبرة واضحـة، خصوصًـا مـع المعـارك العديـدة السـابقة التـي خاضهـا الحـزب ورئيسـه ضـد التيـار الإسـلامي بشـكل عـام منـذ التسـعينيات.

اسـتطاعت قائمـة الكتلـة أن تحقـق نسـبة أقـل مـن المعقولـة، حيـث حصلـت إجـمالًا عـلى 35 مقعـدًا، منهـا 34 مقعـدًا للقوائـم، وواحـد للفـردي بدائـرة قـصر النيـل بالقاهـرة، وقـد تضمنـت هـذه المقاعـد 14 مقعـدًا للمصريـين الأحـرار، و18 للمـصري الديمقراطـي الاجتماعـي، ومقعديـن للتجمـع، ومقعـدًا لمرشـح الكتلـة إجـمالًا.[36] ويتضـح أن النسـبة التـي حصـل عليهـا المصريـين الأحـرار جـاءت ضعيفـة أخـذًا في الاعتبـار التمويـل الكبـير الـذي سـاهم بـه، والتنسـيق -وفـقًا حتـى لمحللـين ليبراليـين مثـل عمـرو حمـزاوي- مـع الكنيسـة لضـمان تصويـت الكتـل القبطيـة للكتلـة المصريـة.[37] إلا أن الكتلـة المصريـة قابلتهـا عـدة عوائـق؛ أولهـا عـدم وجـود خـبرة تنظيميـة في إدارة الانتخابـات، رغـم اجتهـاد الحزبـين في ضـم أعضـاء مـن نـواب الحـزب الوطنـي المنحـل إلى القائمـة، الأمـر الثـاني أن مـن فضَّـل التصويـت لصالـح مسـاحة ليبراليـة مناوِئـةٍ للإخـوان ذهـب صوتـه لحـزب الوفـد الـذي انضـم إليـه عـدد كبـير مـن نـواب وأعضـاء الوطنـي القدامـى، ثـم العقبـة الثالثـة التـي واجهـت الكتلـة المصريـة، وبالطبـع الحـزب الأهـم فيهـا المصريـين الأحـرار، تجلـت في الصعـود غـير المسـبوق للإسـلاميين (سـواء الإخـوان أو السـلفيين)، الذيـن امتلكـوا قواعـد جماهيريـة كبـيرة أهَّلتهـم لحصـد أغلبيـة كاسـحة في أول برلمـان يتـم انتخابـه بعـد الثـورة.

صـدرت الكتلـة المصريـة نفسـها كائتـلاف انتخـابي علـماني منـاوئ لجماعـة الإخـوان المسـلمين، يبـذل محاولاتـه بشـكل كبـير لكبـحِ هيمنـة الإخـوان والسـلفيين عـلى مجمـل الحيـاة السياسـية في مـصر، خاصـة وأن الإخـوان المسـلمين والسـلفيين كذلـك لم يعطـوا -وفقًـا لآراء كل أعضـاء القيـادات الحزبيـة المدنيـة في مقابلتهـم مـع الباحـث[38]- لشركائهـم في العمليـة السياسـية أي إشـارة جـادة وحقيقيـة عـلى شـعار "مشـاركة لا مغالبـة" الـذي كان الإخـوان يرددونـه طـوال الوقـت، بـل العكـس هـو مـا حـدث؛ حيـث سـيطر الإخـوان عـلى أغلبيـة مجلـسي الشـعب والشـورى، وعـلى الرئاسـة، وعـلى اللجنـة التأسيسـية للدسـتور، وعـلى اختيـار وطريقـة تشـكيل حكومـة هشـام قنديـل، وهـو مـا عـزز مـن حالـة الاسـتقطاب بشـكل كبـير.

عـزرت الكتلـة المصريـة وجودهـا في المنافسـة الانتخابيـة بتمويـل مـالي ضخـم، وبخطـاب سـياسي مناقـض للخطـاب الـذي يصـدره الإسـلاميون الذيـن رفعـوا منـذ جمعـة 29 يوليـو

36- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2012/2011، في عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مصدر سبق ذكره، ص 377

37- المصدر نفسه

38- رأي تم التأكيد عليه طوال الوقت من خلال مقابلات الباحث مع أغلب أعضاء الأحزاب والحركات المدنية

2011 شـعار "تطبيـق الشريعـة" والخـوف عـلى ديـن الدولـة، فيـما رفعـت أحـزاب الكتلـة المصريـة شـعار «مدنيـة الدولـة المصريـة».

رغـم ذلـك -والحديـث هنـا للباحثَين عمـرو حمـزاوي وميشـيل ديـن- نسـقت الكتلـة المصريـة بقـوة مـع الكنائـس المسـيحية لضـمان تصويـت المسـيحيين الأقبـاط لمرشـحيها، ونتيجـة لذلـك -وعـلى خـلاف الأهـداف الأوّليـة للأطـراف المعنيّـة- أضحـت البيئـة السياسـة مـع اقـتراب موعـد الانتخابـات البرلمانيـة لعـام 2011 أكـثر اسـتقطابًا عـلى خطـوط دينيـة، وهـذا أضر بالجاذبيـة الانتخابيـة للكتلـة المصريـة، وانحـرف بـهـا عـن الطبيعـة العلمانيـة لبرنامجهـا.[39]

وعـلى حـد وصـف الباحـث سـامح فـوزي، شـكلَ مسـار التصويـت الـذي أخـذه المسـيحيون الأقبـاط في انتخابـات 2012/2011 للكتلـة المصريـة وبعدهـا في الانتخابـات الرئاسـية 2012، خصوصًـا في الجولـة الثانيـة لأحمـد شـفيق المرشـح الرئـاسي المحسـوب عـلى النظـام القديـم، تجسـيد لحالـة مـن التكتـل الاضطـراري. والسـبب الواضـح لذلـك -وفـقًا لفـوزي- جـاء نتيجـة أن التصـورات العقديـة لأطـراف كـثر في الحركـة الإسـلامية التـي التفَّـت حـول الإخـوان، ثـم رئيسـهم محمـد مـرسي، لم تكـن تحمـل للأقبـاط مشـاعر ودّ، أو إقـرار واضـح بحقهـم في المواطنـة الكاملـة، بـل عـلى العكـس حيـث كانـوا يتهمـون الأقبـاط بالتمـدد عـلى حسـاب المسـلمين في الـثروة والمكانـة. وبعـد تنحـي مبـارك زادت أحـداث العنـف الموجهـة نحـو الأقبـاط بشـكل كبـير، وعظَّمـت مـن حالـة التخـوُّف مـن الإسـلاميين مثـل: الأحـداث الطائفيـة بأطفيـح، وخـروج أهـالي قنـا ضـد تعيـين اللـواء عـماد ميخائيـل محافظًـا لهـم، حيـث قطعـوا طريـق السـكك الحديديـة في سـابقة أولى في تاريـخ مـصر الحديـث، وظلـوا معتصمـين حتـى رضخـت السـلطة لمطلبهـم، واتهامـات لشـباب مـن الأقبـاط بـازدراء الديـن الإسـلامي، وحصـار السـلفيين للكاتدرائيـة بدعـوى تسـليم سـيدات مسـلمات محتجـزات بداخلهـا.

وقـد صـوَّت الأقبـاط في الانتخابـات البرلمانيـة الأولى -وفـقًا لفـوزي- للكتلـة المصريـة في الأغلـب الأعـم عـدا بعـض الاسـتثناءات، وقـد ظهـر الصـوت القبطـي كانعـكاسٍ مبـاشر لحالـة الفـرز عـلى أسـاس دينـي، والتـي بـدأ بهـا التيـار الإسـلامي خارطـة الطريـق في اسـتفتاء مـارس 2011، حيـث حشـد الإسـلاميون في التصويـت بنعـم عـلى أسـاس دينـي بحـت، رغـم أن المـادة الدسـتورية الخاصـة بالشريعـة لم تكـن أصـلًا موضـع اسـتفتاء، وفي المقابـل حشـد التيـار المـدني إلى جـوار المسـيحيين بالتصويـت بالرفـض أمـلًا في أن يُوضـع الدسـتور أولًا قبـل إجـراء الانتخابـات البرلمانيـة التـي كان مـن المتوقـع أن يحصـد التيـار الإسـلامي الأغلبيـة فيهـا، وهـو مـا حـدث بالفعـل.[40]

39- عمرو حمزاوي، ميشيل دنّ، الأحزاب السياسية العلمانية في مصر: تنازع من أجل الهوية والاستقلال، مركز كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2017، ص 20-21

40- سامح فوزي، الكنيسة والسلوك التصويتي للأقباط المسيحيين، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 54،

في مقابلة للباحث مع ناشط من قيادات اليسار الديمقراطي، الذين لم يلتحقوا بالحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، تحدث عن أن الثورة كانت تحتاج لحزب يساري يعبر عن قطاعات ثورية حقيقية. فيما بدا واضحًا أن المصري الديمقراطي الاجتماعي سيعتمد على تركيبة اجتماعية أكثر محافظة، كما بدا ومنذ الوهلة الأولى لتأسيس الحزب. وخلال سعيه لبناء تحالفات لدخول البرلمان، مال لقائمة انتخابية، يهمين عليها رجال الأعمال، وتحوي فلول سابقين من الحزب الوطني. وقد أشار القيادي اليساري أنه حينما سأل صديق له بالحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، عن: كيف سينظمون العمل مع حلفائهم بالقائمة، أخبره بأن حزبه -أي المصري الديمقراطي الاجتماعي- "سيقوم بإدارة التنظيم الانتخابي، فيما سيدفع المصريون الأحرار الأموال، أما الكنيسة فستقوم بالحشد". لم يحب القيادي بالطبع أن يعلن للباحث عن اسم صديقه بشكل صريح، لكنه كان يوضح أن نشأة بعض الأحزاب كان يقوم بالأساس على مسألة مقاومة الإخوان في المجالين العام والسياسي، وأن الاستقطاب الذي كان ظاهرًا حينها يوضح أن مسارات التصويت كانت مضغوطة بخطابين حاديّن للغاية، وإن كان المنطق يقول هنا بأن الإخوان والسلفيين تحملوا جزءًا أزيد من هذا الاستقطاب، بفعل أنهم يمثلون الأغلبية من جهة، ومن جهة أخرى مبادرتهم بتصدير خطابات وشعارات دينية شديدة الحدة، كالتعبئة التي حدثت بجمعة الشريعة في 29 يوليو 2011 على سبيل المثال.

في المقابل، طرح قيادات من المصري الديمقراطي الاجتماعي والمصريون الأحرار وجهة نظر منطقية للغاية، وهي بأنهم كانوا يعولون على إخراج الأقباط من حالة العزلة السياسية التي فُرضت عليهم طوال عصر مبارك، حينما كانت الكنيسة تمثلهم سياسيًا ودينيًا. فكان من الطبيعي دفع الأقباط للانخراط في الزخم السياسي الذي تلى الثورة، عبر المسار الطبيعي، وهي الأحزاب السياسية، لأن هذا هو التجسيد الأمثل لممارسة العمل السياسي، وليس عبر المؤسسات الدينية. وبالطبع كان من المنطقي أن يتم استهدافهم كقاعدة تصويتية، واستهداف نخب منهم في عضوية الأحزاب. يضاف على ذلك أن الشريحة القبطية مثلها مثل شرائح كثيرة غيرها في المجال العام، كانت قلقة للغاية من الخطاب السياسي الحاد الذي صدرته جماعات الإسلام السياسي بعد الثورة، والذي تُرجم بعضه لأحداث عنف، مورست ضدهم بعد الثورة مباشرة.[41]

السنة 14، القاهرة، أبريل 2014، ص 137-138

41- وجهة نظر متقاطعة تم مناقشتها في مقابلات مع : محمد سالم، عضو المكتب السياسي عن الحزب الديمقراطي المصري الاجتماعي، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره، وبلال حبش، عضو المكتب السياسي لحزب «المصريين الأحرار»، مقابلة شخصية مع الباحث، القاهرة، مصدر سبق ذكره، ومحمد نعيم، عضو سابق بمجموعة «البوصلة»، وعضو سابق بالهيئة العليا للحزب الديمقراطي الاجتماعي، مقابلة سكايب مع الباحث، 12/ 12/ 2013.

خامسًا: قائمة الثورة مستمرة

قبل تكوين هذه القائمة، دخل التحالف الشعبي الاشتراكي بداية في مفاوضات مع أحزاب الكتلة المصرية، للمشاركة في الكتلة، لكن هذه المفاوضات فشلت بسبب إصرار تلك الأحزاب على وضع عناصر من فلول الوطني في قوائم الكتلة، ووجود حزب التجمع ضمن أحزابها، وضغوط شباب التحالف الراديكاليين بسبب هيمنة المصريين الأحرار عليها[42] (ذلك حسب رواية قيادات من حزب التحالف)، وربما تكون فشلت بسبب الخلاف حول عدد المقاعد المخصصة للتحالف (حسب رواية كوادر من المصريين الأحرار والمصري الديمقراطي الاجتماعي).

وفي جميع الأحوال انتهى الأمر بخروج التحالف الشعبي الاشتراكي من ائتلاف الكتلة المصرية، وقيامه بتأسيس قائمة جديدة هي الثورة مستمرة بالاشتراك مع عدد من أحزاب وحركات شباب الثورة، مثل: مصر الحرية، والتيار المصري، وحركة 6 أبريل-الجبهة الديمقراطية، وحركة شباب من أجل العدالة والحرية. وأسفر ذلك عن ترشح عدد من أعضاء ائتلاف شباب الثورة البارزين على القائمة، مثل: إسلام لطفي، وعبدالرحمن فارس، وأسماء محفوظ، ومحمد القصاص عن التيار المصري؛ وخالد السيد، وياسر الهواري، ومحمد عواد، عن حركة شباب من أجل العدالة والحرية؛ وعمرو عزّ، وطارق الخولي، عن حركة 6 أبريل-الجبهة الديمقراطية؛ وخالد تليمة، ممثل التجمع في ائتلاف شباب الثورة؛ ومعاذ عبدالكريم، ممثل شباب الإخوان في ائتلاف شباب الثورة. كما ترشح على القائمة عدد من الرموز السياسية البارزة، مثل: أبو العز الحريري، ومدحت الزاهد، عن حزب التحالف الشعبي الاشتراكي؛ وعمرو حمزاوي، رئيس حزب مصر الحرية سابقًا؛ والإعلامية جميلة اسماعيل، التي ستساهم في تأسيس حزب الدستور لاحقًا؛ والفنانة تيسير فهمي عن حزب المساواة والتنمية.[43]

وقد نجح لقائمة الثورة مستمرة 7 مرشحين، 5 لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، ومقعد واحد للفردي ذهب للمرشح عمرو حمزاوي رئيس حزب مصر الحرية، ومقعد فردي آخر. ولم ينجح أي من الشباب الذين ترشحوا على ذات القائمة، من

42- عبدالغفار شكر، رئيس حزب التحالف الشعبي الاشتراكي السابق، مقابلة شخصية مع الباحث، مصدر سبق ذكره

43- أحمد عبد الجليل، الجبهة الحرة تنشر قائمة بيضاء لمرشحي البرلمان، مصرس (نقلا عن جريدة الفجر)، (15/ 11/ 2011)، شوهد في 5 / 1/ 2019: https://www.masress.com/elfagr/82884 ، انظر أيضا: عمرو عبدالعليم، « المرشحين المفضلين في انتخابات مجلس الشعب المرحلة الأولى»، صفحة الناشط على موقع فيسبوك، (27 / 12/ 2011)، شوهد في 6/ 1/ 2019 : https://goo.gl/LV44sC، و بسمة المهدي ومحمود عثمان، معركة تكسير العظام فى «قصر النيل».. عبدالمجيد يواجه تيسير فهمى.. وجميلة إسماعيل بلا منافس.. وائتلاف الثورة ينافس نفسه بجنوب القاهرة، اليوم السابع، (25/ 10/ 2011)، شوهد في 5 / 1/ 2019: https://goo.gl/1UwMLU

جميع حركات شباب الثورة.[44]

وعُدَّ هذا الفوز بالنسبة للتحالف الشعبي الاشتراكي نتيجةً لا بأس بها، باعتبار الموارد المالية القليلة التي كان يمتلكها، وحداثة الأحزاب التي شكلت القائمة، وكذلك مقارنة بالوضع الذي كانت عليه المجموعات اليسارية قبل الثورة، التي لم يكن يمثلها أحزاب من الأساس في البرلمان أو في المجال السياسي عمومًا، باستثناء التجمع الذي كان قريبًا من نظام مبارك. لكن النتائج بشكل عام بالنسبة لمجموعة شباب ائتلاف شباب الثورة الذين ترشحوا على ذات القائمة جاءت مُخيِّبةً للآمال بشكل كبير للغاية، فلم ينجح أي منهم في المرور لمجلس الشعب الجديد، وسبَّبَ لهم هذا الأمر صدمة كبيرة كونهم كانوا حتى فترة قصيرة للغاية نجومًا في مشهد ثورة يناير.

كانت وجوه قائمة الثورة مستمرة هي الأكثر شهرة إعلاميًا على الأقل، لكن القائمة ذاتها هي الأضعف لأسباب عديدة. فالانتخابات البرلمانية 2011/2012 كانت التجربة الأولى لمرشحي القائمة، والأحزاب التي شكلتها كلها أحزاب ضعيفة بسبب قدراتها التنظيمية والمالية، وبسبب حداثة تكوينها. وكانت أغلب القائمة لشباب من الثورة لم يكن لهم أي سابق خبرة بتنظيم وإدارة حملات انتخابية، ولا تواصل قاعدي مع الجماهير. حتى شباب الإخوان السابقون أيضًا كانت قدراتهم التنظيمية تتركز بالأساس في مساحات ليس لها ارتباط بالعمل مع الشارع، مثل العمل مع القطاعات الطلابية، أو التنسيق السياسي. هذا غير سيطرة النبرة الاحتجاجية على مجمل الخطاب السياسي لشباب الثورة. بالإضافة إلى أن مركز اهتمامهم وقتها كان التواجد الدائم داخل الفعاليات الثورية، التي كانت تحرز نتائج سياسية على المستوى العام، لكنها لم تحقق لهم تواصلًا جماهيريًا في مناطقهم المحلية، بعضهم مثلًا شارك في أحداث محمد محمود الأولى على حساب دعايته الانتخابية، ولم يكن لديهم سوى بضعة أيام للترويج لحملاتهم الانتخابية قبل الجولة الأولى للانتخابات مباشرة.

من المهم نقل اقتباسات للشباب الذين شاركوا في هذه القائمة للتدليل على الصعوبات التي قابلوها:

طارق الخولي وكان عضوًا بحركة 6 أبريل وممثلًا عنها في ائتلاف شباب الثورة، برر عدم نجاحه في الانتخابات بضعف الدعاية والإنفاق المالي، لكنه ليس نادمًا على خوض التجربة، لأنها أكسبته خبرة قوية، واكتشف أن الأمور على الأرض بخلاف الأمور في ميدان التحرير. ويضيف الخولي أن تلك الانتخابات لم تكن معركة شريفة

44- للمزيد، انظر الفصل الثاني، ائتلاف شباب الثورة.

في ظـل ضعـف إمكانـات الشـباب، ووجـود دعايـة انتخابيـة في يـوم الصمـت، ويَنحـو فيهـا باللائمـة عـلى الشـباب لأنهـم تركـوا ميـدان التحريـر مبكـرًا بعـد الثـورة، ووقعـوا في فـخ الاندمـاج في الكيانـات السياسـية، وانخرطـوا في حمـلات التشـويه المتبـادل، مـا أدى إلى عـدم ثقـة الجمهـور بهـم. ويؤكـد أخـيرًا (في حـوار مـع BBC العربيـة في ديسـمبر 2011): "يجـب عـلى شـباب الثـورة أن يعـترف بـأن شرعيـة ميـدان التحريـر سـقطت، وبـدأت مرحلـة شرعيـة البرلمـان"، ثـم يحـذر مـن أن "البرلمـان المقبـل سيُواجَه بإضرابـات واعتصامـات كبـيرة، وسـيتحمل عـبء إصـلاح كل الأمـور، وربمـا يدخـل في صدامـات مـع المجلـس العسـكري".. بينـما عـلى جانـب آخـر حاولـت أسـماء محفـوظ، مرشـحة القائمـة عـن دائـرة مـصر الجديـدة، الانسـحاب مـن الانتخابـات إلا أن حزبهـا التيـار المـصري رفـض ذلـك، فضـلًا عـن انتهـاء المـدة القانونيـة للانسـحاب، فأصبحـت مرشـحة مـع وقـف التنفيـذ، وكان مبررهـا لذلـك هـو "نزيـف الـدم في ميـدان التحريـر" ورفضهـا لمـا تصفـه بـ"سـحب البسـاط مـن تحـت الميـدان ومنحـه للانتخابـات".[45]

45- محمود أبو بكر، شباب الثورة «الخاسر الأبرز» في الانتخابات، بي بي سي العربية، (2 / 12/ 2011)، شوهد في 28 / 12/ 2018: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/12/111202_egypt_youth

سادسًا: قائمة حزب النور

تأسس حزب النور كذراع سياسية معبرة عن المدرسة السلفية بعد تنحي مبارك مباشرة، وصَدم الحزب حينها مراقبيه بمفاجآت متتالية: ممارساته البراجماتية للغاية بالمفارقة مع مُكونَه المذهبي والعقدي السلفي المتشدد، وأيضًا بالقدرات التنظيمية الكبيرة التي أبداها كوادر الحزب، وكذلك بالصورة التي حاول الحزب أن يظهر بها قياداته السياسية والإعلامية (يسري سلامة قبل استقالته وانضمامه لحزب الدستور، نادر بكار، عماد عبدالغفور قبل استقالته). بالرغم من حداثة عمل الحزب بالسياسة، التي لم تتجاوز أشهر، لكن كانت المفاجأة الأكبر، هي حصوله على الترتيب الثاني في الانتخابات البرلمانية 2011/2012 متقدمًا على أحزاب كبيرة، لها تاريخ من المشاركة في الانتخابات، وقواعد تنظيمية، وهياكل حزبية مثل الوفد، أو أحزاب في قائمة انتخابية، وراءها تكتلات كبيرة اجتماعية واقتصادية مثل أحزاب الكتلة المصرية.

انسحب النور وبقية الأحزاب السلفية من قائمة التحالف الديمقراطي التي قادها الحريّة والعدالة، بعد أن شعر السلفيون أن الإخوان أسهموا في هذه القائمة لأجل مدِّ صلاتِهم بالأحزاب المدنية على حساب بقية الأحزاب الإسلامية حينها، وكذلك لاختلافهم مع الإخوان على هيمنة الحرية والعدالة على تشكيل القوائم، وتأخير ممثليهم بشكل كبير بها. وقد تصدر النور القائمة الجديدة، ومعه حزبي الأصالة، والبناء والتنمية.[46]

وكانت أهم مفاجآت انتخابات مجلس الشعب 2012/2011 هو مجيء حزب النور تاليًا لحزب الحرية والعدالة، حيث حصد المنصب الثاني بنسبة 25%،[47] وتفصيلًا حصدت قائمته بأحزابها الثلاثة على 127 مقعدًا، منها 96 مقعدًا على القوائم، و31 على المقاعد الفردية، من بينها كان هناك 14 مقعدًا لحزب البناء والتنمية، و3 مقاعد لحزب الأصالة السلفي، وقد أعلنت مجموعة البناء والتنمية عن تكوينها كتلة مستقلة بالمجلس،[48] منفصلة في مواقفها عن حزب النور.

لقد نجح حزب النور، الذي كان يخوض الانتخابات لأول مرة، وبكوادر غير مدربة إطلاقًا على العملية الانتخابية ومجرياتها، في تحقيق نتيجة كبيرة، رغم أن المدرسة السلفية كانت بعيدة تمامًا عن العمل السياسي حتى قيام الثورة. وقد تحقق

46- وحيد عبدالمجيد، «التحالف الديمقراطي».. رحلة الصعود والتفكك، مصدر سبق ذكره.

47- يسري العزباوي، بين الاستقرار والتغيير.. الخرائط التصويتية المحتملة للانتخابات البرلمانية القادمة، المركز العربي للبحوث والدراسات، (29/ 12/ 2013)، شوهد في 1 / 12/ 2018 : http://www.acrseg.org/2274/bcrawl

48- عمرو هاشم ربيع، نتائج الانتخابات البرلمانية 2011/ 2012، مصدر سبق ذكره، ص 377

هـذا النجـاح نتيجـة لعوامـل مختلفـة، أهمهـا تمتـع حـزب النـور والمدرسـة السـلفية بشـبكة اجتماعيـة ضخمـة، بناهـا عـبر أكـثر مـن ثلاثـة عقـود منـذ نشـأة المدرسـة في الإسـكندرية بـين منتصـف وأواخـر سـبعينيات القـرن العشريـن، حيـث اعتمـد فيهـا عـلى ممارسـة العمـل الدعـوي ممزوجًـا بالعمـل الأهـلي والاجتماعـي. وقـد حصـد الحـزب عـدد كبـير مـن الأصـوات في معاقلـه الأساسـية، في الإسـكندرية ومحافظـات الدلتـا خاصـة كفـر الشـيخ والبحـيرة ودميـاط. العامـل الثـاني الـذي سـاعد عـلى نجاحـه الكبـير كان تفتـت أصـوات الأحـزاب المدنيـة، بسـبب تفرقهـا بـين قوائـم مختلفـة. كـما اسـتفاد حـزب النـور خـلال الشـهور التـي تلـت الثـورة مـن حالـة الاسـتقطاب الدينـي-العلـماني، وقـد عـزز اسـتفادته بخطـاب يرتكـز عـلى الهُوِيَّـة الدينيـة، فـكان مركـز دعايتـه الانتخابيـة هـو تطبيـق الشريعـة، والحفـاظ عـلى هويـة الدولـة الإسـلامية، في مواجهـة خطـاب القـوى المدنيـة المعـادي لأسـلمة الدولـة والمجتمـع.

مراجع الفصل التاسع

أولا. الكتب

- عمرو هاشم ربيع (مؤلف وآخرون)، انتخابات مجلس الشعب 2011/ 2012، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ط 1، 2012
-

ثانيا. الدراسات

- أحمد عبدالحميد حسين، إشكالية التمويل في العمل الحزبي، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 59، القاهرة، يوليو 2015
- التقرير النهائي لبعثة مركز كارتر لمتابعة الانتخابات البرلمانية في مصر 2011- 2012، مركز كارتر، أطلانطا، 2012
- أحمد عبد ربه، الأحزاب المصريّة وانتخابات البرلمان المصريّ 2011/ 2012، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، نوفمبر، 2011
- حسن سلامة، مستقبل بناء النظام الديمقراطي على ضوء التعديلات الدستورية، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 42، السنة 11، أبريل 2011
- سامح فوزي، الكنيسة والسلوك التصويتي للأقباط المسيحيين، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيحية، العدد 54، السنة 14، القاهرة، أبريل 2014
- عمرو حمزاوي، ميشيل دنّ، الأحزاب السياسية العلمانية في مصر: تنازع من أجل الهوية والاستقلال، مركز كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2017.
- يسري العزباوي، بين الاستقرار والتغيير.. الخرائط التصويتية المحتملة للانتخابات البرلمانية القادمة، المركز العربي للبحوث والدراسات، (29/ 12/ 2013)، شوهد في 1 / 12/ 2018 : http://www.acrseg.org/2274/bcrawl.

ثالثا. الصحف والمواقع

- إبراهيم الزعفراني، (أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين، من جيل السبعينيات الذي أسهم في تأسيسها الثاني)، الإخوان وانتخابات مجلس الشعب عام 1984، حساب إبراهيم الزعفراني على موقع فيسبوك، (29 / 11/ 2015)، شوهد في

29/ 12/ 2018 : https://goo.gl/oNQpvy.

- إبراهيم الزعفراني، (أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين، من جيل السبعينيات الذي أسهم في تأسيسها الثاني)، الإخوان وانتخابات مجلس الشعب عام 1987، حساب إبراهيم الزعفراني على موقع فيسبوك، (30 / 11/ 2015)، شوهد في 29/ 12/ 2018 : https://goo.gl/CH1PmJ.
- أحمد عبد الجليل، الجبهة الحرة تنشر قائمة بيضاء لمرشحي البرلمان، مصرس (نقلا عن جريدة الفجر)، (15/ 11/ 2011)، شوهد في 5 / 1/ 2019: https://www.masress.com/elfagr/82884.
- بسمة المهدي ومحمود عثمان، معركة تكسير العظام فى «قصر النيل».. عبدالمجيد يواجه تيسير فهمى.. وجميلة إسماعيل بلا منافس.. وائتلاف الثورة ينافس نفسه بجنوب القاهرة، اليوم السابع، (25/ 10/ 2011)، شوهد في 5 / 1/ 2019: https://goo.gl/1UwMLU.
- تطور الحياة الحزبية في مصر، الهيئة العامة للاستعلامات، شوهد في 28 /12/ 2018: http://www.sis.gov.eg/section/325/121?lang=ar
- داليا عثمان، «المصري اليوم» تنشر نص «الإعلان الدستوري».. وانتخابات الرئاسة قبل نهاية العام الجاري، المصري اليوم، (30 /3/ 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/122361.
- سمير حمدي، وثيقة التحالف الديمقراطي من أجل مصر، الوفد (7 / 7/ 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018 : https://goo.gl/MHMU5Y.
- عمرو عبدالعليم، « المرشحين المفضلين في انتخابات مجلس الشعب المرحلة الأولى»، صفحة الناشط على موقع فيسبوك، (27 / 12/ 2011)، شوهد في 6/ 1/ 2019 : https://goo.gl/LV44sC..
- مروة شوقي، صاحب مشروع «دمج الأحزاب»: نهدف لتقليص العدد من 106 إلى 10 فقط، مصراوي، (8/ 4/ 2018)، شوهد في 29/ 12/ 2018: https://goo.gl/EZd1aR
- محمود أبو بكر، شباب الثورة «الخاسر الأبرز» في الانتخابات، بي بي سي العربية، (2 / 12/ 2011)، شوهد في 28 / 12/ 2018: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/12/111202_egypt_youth
- محمد إسماعيل، «التجمع» يرفض الانضمام لتحالف «الوفد والإخوان»، (21 يونيو 2011)، شوهد في 28/ 12/ 2018 : https://goo.gl/HbfGCU
- هاني الوزيري، «التحالف الديمقراطي» يقرُّ «القائمة المغلقة».، المصري

اليـوم، (28/ 6/ 2011)، شـوهد في 27/ 12/ 2018: https://www.almasryalyoum.com/news/details/140841

- وحيـد عبدالمجيـد، «التحالـف الديمقراطـي».. رحلـة الصعـود والتفـكك، جريـدة الوطـن، (20/ 11/ 2012)، شـوهد في 27 /12/ 2018: https://www.elwatannews.com/news/details/80136
- ياسـمين محفـوظ، «المصريـين الأحـرار» يكشـف تفاصيـل رفض الانضـمام لـ«دعم مـصر»: حـزب وطنـي جديـد، جريـدة الوطـن، (12 أكتوبـر 2015)، تاريـخ زيـارة الرابـط 29 ديسمبر 2015: https://www.elwatannews.com/news/details/872014

رابعًا. المقابلات

- أحمـد عـلي، مسـؤول مكتـب الطـلاب السـابق بـ«التيـار الشـعبي»، مقابلـة عـلى الإنترنـت مـع الباحـث 23 / 12/ 2018
- بـلال حبـش، عضـو المكتـب السـياسي لحـزب «المصريـين الأحـرار»، مقابلـة شـخصية مـع الباحـث، القاهـرة، 18/ 11/ 2018
- عـماد حمـدي، المتحـدث الإعلامـي لـ«التيـار الشـعبي»، ومنسـق لجنـة الانتخابـات بحملـة حمديـن صباحـي 2012، وعضـو المكتـب السـياسي بحـزب الكرامـة، مقابلـة إنترنـت مـع الباحـث، 18/ 12/ 2018
- عبدالغفـار شـكر، رئيـس حـزب التحالـف الشـعبي الاشـتراكي السـابق، مقابلـة شـخصية مـع الباحـث، القاهـرة، 18/ 11/ 2018
- محمـد سـالم، عضـو المكتـب السـياسي عـن الحـزب الديمقراطـي المـصري الاجتماعـي، مقابلـة شـخصية مـع الباحـث، القاهـرة، 9/ 10/ 2018.
- محمـد عرفـات، الأمـين العـام السـابق للحـزب الديمقراطـي المـصري الاجتماعي، مقابلـة عـلى الإنترنـت مـع الباحـث، 6 / 1/ 2019.
- محمـد نعيـم، عضـو سـابق بمجموعـة «البوصلـة»، وعضـو سـابق بالهيئـة العليـا للحـزب الديمقراطـي الاجتماعـي، مقابلـة سـكايب مـع الباحـث، 12/ 12/ 2013.

فهرس